

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية



دار المغارف بمصر

تاريخ السيل والملوك
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأوّل قبل كلّ أوّل ، والآخِر بعد كلّ آخر ، [والدائم بلا زوال] (١) ، والقائم (٢) على كلّ شيء بغير انتقال ، والخالق خلقه من غير أصل (٣) ولا مثال ؛ فهو (٤) الفرد الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقي بعد كلّ أحد ، إلى غير نهاية ولا أمد . له الكبرياء والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطان والقدرة ، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في (٥) وحدانيته نديد ، أو في تدبيره مُعين أو ظهير ، أو أن يكون له ولد ، أو صاحبة أو كُفء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تتركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] (٦) ، وهو اللطيف الخبير .

أحمدّه على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمد من أفرده بالحمد ، وشكر من رجا بالشكر منه المزيد ، وأستهديه من القول والعمل لما يقربني منه ويرضيه ، وأومن به إيمان مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوحيه ، داعياً خلقه إلى عبادته ؛ فصدع بأمره ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأمته ، وعبده حتى أتاه اليقين من عنده ، غير مقصّر في بلاغ ، ولا وان في جهاد ؛ صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكاها ، وسلم .

(١) ما بين العلامتين تكلمة من أ .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبتته عن أ .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « وفي » ، وما أثبتته عن أ .

أما بعد ، فإنَّ الله جلَّ جلاله ، وتقدست أسماءه ، خلقَ خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم ، بل خلق من خصه منهم بأمره ونهيه ، وامتحنه بعبادته ، ليعبده [فيجود عليهم بنعمه]^(١) ، وليحمدوه على نعمه فيزيدهم من فضله ومينته ، ولا يسبغ عليهم فضله وطوله^(٢) ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٣) . فلم يزد خلقه إياهم - إذ خلقهم - في سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرة ، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم يتقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة^(٤) ، لأنه لا تغيره الأحوال ، ولا يدخله الملل ، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال^(٥) ؛ لأنه خالق الدهور والأزمان ، فعم جميعهم في العاجل فضله وجوده ، وشمئهم كرمه وطوله ، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، وخصهم بعقول يصلون بها إلى التمييز^(٦) بين الحق والباطل ، ويعرفون بها المنافع والمضار ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً ، والسماء سقفاً محفوظاً ، وبناء مسموكاً^(٧) ؛ وأنزل^(٨) لهم منها الغيث بالإدراة ، والأرزاق بالمقدار ، وأجرى لهم [فيها]^(٩) قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبين ، فجعل لهم الليل لباساً^(١٠) ، والنهار معاشاً ، وخالف - مناً منه عليهم وتطوياً - بين قمر الليل وشمس النهار ، فحأية الليل وجعل آية النهار مبصرة ، كما قال جلَّ جلاله وتقدست أسماءه : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضلاً

٣/١

(١) تكلمة من ا .

(٢-٢) ا : « ويسبغ عليهم من كرامته وطوله » .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨ .

(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبتته عن ا .

(٥) في جميع الأصول : « الليالي » .

(٦) ط : « يفتقرون بها التمييز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبتته من ا .

(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبتته من ا .

(٨) ا : « سكتاً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً^(١) .

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار

والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم ، ٤ / ١

وحين حلّ ديونهم وحقوقهم ؛ كما قال عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ

قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالصَّحِجِ^(٢) ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً

وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ

ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .^(٣) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ^(٤) .^(٥)

إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلقه ، وتفضلاً منه به عليهم وتطولا ، فشكره على نعمه

التي أنعمها عليهم من خلقه خلقاً عظيماً ، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه ، على

ما ابتدأهم به من فضله وطوله ، كما وعدمهم جلّ جلاله بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ^(٦) ،^(٧)

وجمع لهم إلى^(٨) الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم ، الفوز^(٩) بالنعيم المقيم ،

والخلود في جنات النعيم ، في أجل آخرتهم . وأخبر لكثير منهم الزيادة التي وعدمهم

فقدّمهم إلى حين مصيرهم [إليه] ^(١٠) . ووقت قدومهم عليه ، توفيراً منه كرامته

عليهم يوم تُبلى السرائر^(١١) . وكفر نعمته خلق منهم عظيم ، فجحدهوا آلاءه

وعبدوا سواه ، فسلب^(١٢) كثيراً منهم ما ابتدأهم^(١٣) به من الفضل والإحسان ، وأحلّ

(١) سورة الإسراء ١٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٣) سورة يونس ٥ ، ٦

(٤) سورة إبراهيم ٧

(٥) ط : « بين » .

(٦) ط : « والفوز » .

(٧) تكلّف من ا .

(٨) ا : « يوم يرجعون إليه » .

(٩-١٠) ط : « فلبسهم ما ابتدأهم » ، وما أثبتته عن ا

بهم النعمة^(١) المهلكة في العاجل ، وذآخر لهم العقوبة المخزية في الآجل ، ومتع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوقيراً منه عليهم أوزارهم ؛ ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعدّ لهم .

نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه^(٢) ، ونسأله التوفيق لما يُدنى من رضاه ومحبته .

• • •

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان ، من [لندن]^(٣) ابتداء ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فناءهم^(٤) ، من انتهى إلينا خبره من ابتداء الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمته ؛ من رسول له مرسل ، أو ملك مسلط ، أو خليفة مستخلف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن آخر ذلك له محمهم ، وجعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجل له نقمه . ومن كفر منهم نعمه فنتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ؛ مقررناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه^(٥) ، وجُمِل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطول به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أكله^(٦) ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقدمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحجى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قدر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره ؟ وهل هو فان ؟ وهل بعد فئاته شيء غير وجه المسبّح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فئاته وانقضائه ؟ وكيف

(١) : « النعم » .

(٢) : « إلى سخطه » .

(٣) : تكملة من أ .

(٤) : كذا في أ ، وفي ط : « قيامهم » ، وفي ن : « انتباههم » .

(٥) : ط : « نعماته » ، والأجود ما أثبتته عن أ .

(٦) : يراد بالأكل هنا مدة العمر التي يعيشها المرء في الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه؟ وكيف يكون فذاؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١/٦
 ويجيز من الدلالة غير طويل؛ إذ لم تقصد بكتابتنا هذا قصدا الاحتجاج لذلك، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم، ومبالغ ولاياتهم، والكائن الذى كان من الأحداث في أعصارهم. ثم أنا متبع^(١) آخر ذلك كله - إن شاء الله وأتد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكثرتهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذى كانت به وفاته. ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم. ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلفاء لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانة^(٢) عمّن حميت منهم روايته، وتقبّلت^(٣) أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبتت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره. و [ما]^(٤) السبب الذى من أجله نُبت من نُبت منهم خبره، والعلة التى من أجلها وهن من وهن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب^(٥) في العون على ما أقصده وأنويه، والتوفيق لما أتمسه وأبغيه؛ فإنه وليّ الحول والقوة، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً.

• • •

وليعلم الناظر في كتابنا^(٦) هذا أن اعتمادى في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه، والآثار التى أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بجمع العقول، واستنبط

- (١) : « نبت » .
- (٢) : « الإبانة » .
- (٣) ط : « ونقلت » .
- (٤) : « تكلم من أ » .
- (٥) : « أرغب » .
- (٦) : « كتابى » .

بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادئين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن في كتابي^(١) هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه^(٢) سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يوتَ في ذلك من قبيلتنا ، وإنما أتى من قبيل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدبنا ذلك على نحو ما أدت إلينا .

(١) : « كتابنا » .

(٢) : « يستشعنه » .

القول في الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير - تعني به : إذ الحجاج أمير . وتقول : أتيتك زمان الصَّرام [وزمن الصَّرام] ^(١) - تعني به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً ^(٢) من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جاءَ الشَّتاءُ وقَميصي أخلاقُ شراذِمٌ بضَحَكٍ مِنْهُ التَّوَأقُ ^(٣)

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سباسب ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّنْفِ ^(٤)

يريد بقوله : « زماناً » ، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار

٨/١

على ما قد بينت ووصفت .

(١) تكلمة من أ ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة : أوان اجتناء ثمرها .

(٢) أ : « زماناً » .

(٣) البيتان في اللسان (توق - شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى ، ويقال : قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخليفة . وشراذم : قطع . والتوَأق : ابنة .

(٤) ديوانه ٢٢ ؛ وهو في أمال المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتنفى هنا :

الاستفناء ؛ وفي ط : « التنف » ، تحريف ، صوابه في أ .

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك ، فقال بعضهم : قدر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة^(١) ، وليأتين عايتها مئتان^(٢) [من^(٣) سنين ، ليس عليها^(٤) موحد .

• • •

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة . حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستائة سنة ، وإني^(٤) لأعرف كل زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت^(٥) لوهب بن منبه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

• • •

(١) ط : « ومنو سنة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكله من أ .

(٣) ط : « لها » ، وما أثبتته عن أ ، ر .

(٤) ط : « إني » ، يحذف الواو ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبتته عن أ .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار وعلى بن سهل، قالوا: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أجلُّكم في أجل من كان قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الآن إنما أجلُّكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت سفيان الثوري، أبو اليقظان، عن ليث بن أبي سليم، عن مغيرة بن حكيم، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بقي لأمتي من الدنيا إلا كقदार الشمس إذا صُلِّيت العصر».

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك، قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعَيْقِيَان^(١) بعد العصر، فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه».

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثني - قال ابن بشار: حدثني خلف ابن موسى، وقال ابن المثني: حدثنا خلف بن موسى - قال: حدثني أبي، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً - وقد كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شِقٌّ يسير - فقال^(٢): «والذي

(١) قُعَيْقِيَان، بالضم ثم الفتح، على التصغير: أحد جبال مكة. (ياقوت).

(٢) ط: «قال»، وما أثبتته من أ.

نفس محمد بيده ما بقى من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما ترون من الشمس إلا اليسير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السرى وأبو هشام الرفاعى ، قالوا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] ^(١) والساعة كهاتين » - وأشار بالسبابة والوسطى .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كريب ^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأشار بالمسبحة التى تليها - وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فيطر ^(٣) ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » - وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

(١) تكله من أ .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه في أ .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه في أ ، وهو فطر بن خليفة القرشى ، ذكره

ابن حجر فيمن روى عن أبي خالد الوالى ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٢ .

حدثنا ابن المنثري ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا ١١/١
شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة :
سمعت قتادة يقول في قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدري
أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال :
حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن
قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد في حديثه :
وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا أيوب بن
سويد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن
مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« أنتم [و] ^(١) الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ،
فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به
الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كئيتين » .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،

عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فذكر مثله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: حدثني معبد، حدث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقال بإصبعيه: هكذا.

حدثنا ابن المنثري قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسى^(١): وأشار وهب بالسبابة والوسطى.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح وقتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين إصبعيه.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

حدثنا محمد بن يزيد الأدمي، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثتُ والساعة كهاتين»—وضم بين إصبعيه الوسطى، والتي تلي الإبهام—وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم، أتيتم، أنا ذاك أنا ذاك».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وجمع بين إصبعيه.

(١) أبو موسى: كنية ابن المنثري.

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتي تلى الإبهام .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعیم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثني عبد الله بن بُرَيْدة ^(١) ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتسبقني » .

حدثني محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عبيدة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المستورد بن شداد الفهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت في نفس الساعة ^(٢) ، سبقتها كما سبقت هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجمعهما .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن أبي جَبيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت مع الساعة كهاتين » ، — وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة — « كفضل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شَيْبيل بن عوف ، عن أبي جَبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتهما نقطتان

وأخرها هاء » .

(٢) بعثت في نفس الساعة ، أي بعثت وقد حان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير

سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » - قال الطبري : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما - وقال : « سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة » ، أو « [في] ^(١) نفس الساعة » .

فعلوم إذ كان اليوم أوله طلوع الفجر وآخره غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما روينا عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : « ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » . وأنه قال لأصحابه : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » - وجمع بين السبابة والوسطى - « سبقتها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر وذلك إذا صار ظل كل شيء مثليه - على التحرى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقريباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه جبير بن نفيير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبي ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذي مقداره ألف سنة = كان بيناً أن أولتى القولين - اللذين ذكرت في مبلغ قدر مدة جميع الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب - بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس ، الذي روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة مبيعة آلاف سنة .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام؛ إذ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي^(١) قدر اليوم الواحد منها ألف عام = كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قول النبي صلى الله عليه وسلم ما روينا عن أبي ثعلبة الخشني عنه، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحواً من ذلك وقريباً منه . والله أعلم .

• • •

فهذا الذي قلنا - في قلمرمة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها - من أثبت ما قيل في ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التي بينها على صحة ذلك . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحاً سندُه لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدثني به محمد بن سنان القزاز، قال : حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث، حدثنا زبَّان، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحقُّب ثمانون عاماً، اليوم منها سدس الدنيا» . فبيِّن في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سنين الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة .

• • •

وقد زعم^(٢) اليهود أن جميع ما ثبت عندهم - على ما في التوراة مما هو^(٣) فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم - أربعة آلاف سنة وستائة سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبي نبي، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط « الذي » ، وصرابه من أ .

(٢) ط : « تزعم » ، وما أثبت من أ .

(٣) كذا في أ ، ب ، ك ، وفي ط : « ما بين » .

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله ، وتفصيل غيرهم ممن فصله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسيرة وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .
وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذى ادّعتة اليهود من ذلك باطل ، وأن الصحيح من القول فى قدر مدة أيام الدنيا — من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم فى التوراة التى هى فى أيديهم — خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ ، وملك ملك ، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سنّى ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة فى التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذى وُقت لنا فى التوراة أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون — بزعمهم — خروجه ووقته .

١٧/١

وأحسب^(١) أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة ، هو الدجال الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .
وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيئومرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيئومرت ، يزعمون أنه آدم أبو البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون ؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس ، ومن قائل منهم إنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة ، وأنه إنما هو جامر بن يافث^(٢) ابن نوح ، كان بنوح عليه السلام برّاً ولجدهمته ملازماً ، وعليه حدّياً شقيقاً ، فدعا الله له ولذريته [نوح]^(٣) — لذلك من بره به وخدمته له — بطول العمر ، والتمكين فى

(١) ط : « فأحسب » .

(٢) كذا ضبط فى القاموس ، كصاحب ، ووقع فى سفر التكوين مضبوطاً بالفتح .

(٣) من ا .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه (١) له
 ولهم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيومرت ذلك وولده ، فهو أبو القرمس ،
 ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ،
 وغلبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسندكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا
 انتهينا إلى ذكرنا تاريخ الملوك ومبالغ أعمارهم ، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

القول في الدلالة

على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٨/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعاتُ الليل والنهار إنما هي مقادير من تجرئ الشمس والقمر في الفلك ، كما قال الله عز وجل :
 ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) .

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك ، كان يبقين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان ، وأن محدث ذلك الله الذي تفرّد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) .

ومن تجهيل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدهما يترد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظلمة ، وأن الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، ونسخ لسواد الليل وظلمته ، وهو النهار .
 فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد - كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من] (٣) أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيتهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

(١) سورة يس ٣٧ - ٤٠

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٣) من أ .

لا شك بعده ، وذلك إبانة^(١) ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالفهما^(٢) . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أن ما لم يكن ثم كان ، أنه محدث مخلوق ، وأن له خالقاً ومحدثاً .

وأخرى ، (٢) أن الأيام والليالي معلومة ، وما عد من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ، فإن يكن شفعا فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإن أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأولاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا يد له من مبتدئ ، هو خالقه .

(١) : « يتخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإن الساعات إنما هي قطع^(١) الشمس والقمر درجات الفلك .

فإذا^(٢) كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ما حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس - قال هناد: وقرأت سائر الحديث^(٤) [على أبي بكر] -^(٥) أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلقت الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمداخن والعمران والخراب؛ فهذه أربعة، [ثم] ^(٥) قال: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسي مِّنْ قَوِّهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ﴾^(٦)، لمن سأل . قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال من يحيى ومن يموت ، وفي الثانية أتى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له

(١) : « مطلع » تحريف .

(٢) جواب « إذا » : « فإن كان كذلك » ص ٢٦

(٣) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦١ (بولاق) .

(٤) ط : « في سائر الحديث » ، وما أثبتته عن ا .

(٥) زيادة من التفسير .

(٦) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أنممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَالْقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۗ فَأُصِرُّ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ۗ ﴾^(١) .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصدائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلق خلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع^(٢) ، قال : حدثنا الفضيل^(٣) بن سليمان ، حدثني محمد بن زيد ، قال : حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ٢١/١ أخبرني ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الساعة التي في يوم الجمعة ، وذكرنا أنه قالها ؛ قال^(٤) عبد الله بن سلام : أنا أعلم أي ساعة هي ؛ بدأ الله في خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهي في آخر ساعة من يوم الجمعة .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة : أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

(١) سورة ق ٣٨ ، ٢٩

(٢) كذا ضبطه صاحبة التقريب ؛ يفتح الموحدة وكسر الزاي .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله فيه الأرض ويسطها^(١) ، قالوا : فالأثنين ؟ قال : خلق الله فيه آدم ، قالوا : فالثلاثة ؟ قال : خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا : فيوم الأربعاء ؟ قال : الأقوات ، قالوا : فيوم الخميس ؟ قال : خلق السموات ، قالوا : فيوم الجمعة ؟ قال : خلق الله في ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا : السبت — وذكروا الراحة — قال : سبحان الله ! فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسْتَأْمِنُ لِنُجُوبِ ﴾ .

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خُلِقَا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن^(٢) كان ذلك كذلك ، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما — سوى الملائكة وآدم — مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار ؛ إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر دَرَجَ الفلك .

وإذا كان صحيحاً أن الأرض والسماء وما فيهما ، سوى ما ذكرنا ، قد كانت ولا شمس ولا قمر — كان معلوماً أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار . وكذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر عنه أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، يعنى بالنور الشمس إن شاء الله .

• • •

فإن قال لنا قائل : قد زعمت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التي خلقها ، فأثبت مواقيت ، وسميتها بالأيام ، ولا شمس ولا قمر ، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته ، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً !

(١) ط : « كسبها » ، ص « وكسبها » ؛ وما أثبت من أ .

(٢) « فإن كان » ، جواب : « إذا » فيما سبق ص ٢٤ .

قيل: إن الله سَمَّى ما ذكرته ^(١) أياماً، فسميته بالاسم الذى سماه به ، وكان وجهُ تسمية ذلك أياماً ، ولا شمس ولا قمر ؛ نظير قوله عز وجل : ﴿ وَالَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴾ ^(٢) ولا بكرة ولا عشى هنالك ؛ إذ كان لا ليل في الآخرة ولا شمس ولا قمر ؛ كما قال جل وعز : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ ^(٣) . فسمى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً ، إذ كان يوماً لا ليل بعد مجيئه ؛ وإنما أريد بتسمية ما سَمَّى أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا ، التى العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا ، التى تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك ، كما سَمَّى بكرة وعشياً لما يرزقه أهل الجنة في قدر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان في الدنيا بالشمس ومجراها في الفلك ، ولا شمس عندهم ولا ليل .

٢٢/١

وينحو الذى قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

• ذكر بعض من حضرنا ذكره من قال ذلك :

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني الحجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قال : ^(٤) يقضى الله عز وجل أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ؛ ثم كذلك حتى يمضى ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً ، ثم كذلك أبداً ، قال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(٥) قال : اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة : « كن فيكون » ، ولكن سماه يوماً ، سماه كما شاء . كل ذلك

(١) ١ : « ذكرت »

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الطهري التفسير ٢١ : ٥٩ (بولاق) .

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)
قال: هو هو سواء.

• • •

وبنحو الذي ورد^(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر، بأن الله
جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك،
ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه .
• ذكر الخبر عن قال ذلك منهم :

حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا ابنُ يمان، حدثنا سليمان،
عن ابنِ جُريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابنِ عباس:
﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِمِينَ﴾^(٣).
قال: قال الله عز وجل للسموات: أطلعي شمسي وقمرى، وأطلعي نجوى^(٤).
وقال للأرض: شققي أنهارك، وأخرجي ثمارك، فقالتا: أتينا طائمين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة:
﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٥)، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها
وصلاحتها^(٦).

• • •

فقد بينت هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ذكرناها عنه أن الله عز وجل خلق السموات والأرض قبل خلقه
انزمان والأيام والليالي، وقبل الشمس والقمر. والله أعلم.

(١) سورة الحج ٤٧.

(٢) ١: «روى».

(٣) سورة فصلت ١١.

(٤) كذا في ١، والتفسير، وفي ط: «وقمرى ونجوى».

(٥) سورة فصلت ١٢. (٦) الخبر في التفسير ٢٤: ٦٤ (بولاق).

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار

وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢).

فإن^(٣) كان كل شيء هالك غير وجهه - كما قال جل وعز - وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقتهما لمصالح خلقه، فلا شك أنهما فانيان هالكان، كما أخبر؛ وكما قال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٤) يعني بذلك أنها عميت فذهب ضوءها، وذلك عند قيام الساعة، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه؛ إذ كان مما يدين بالإقرار^(٥) به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس، وإنما ينكره قوم من غير أهل التوحيا، لم نقصد بهذا الكتاب قصد الإبانة عن خطئ قولهم. فنكل الذين^(٦) ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد، مقرون بأن الله عز وجل محييهم بعد فنائهم، وباعينهم بعد هلاكهم، خلا قوم من عبدة الأوثان، فإنهم يقرون بالفناء، وينكرون البعث.

٢٥/١

(١) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) ١: «فإذ».

(٤) سورة التكوثر: ١.

(٥) ر: «إذ كان مما يقر به».

(٦) ط: «وكل النى»، وما أثبتته عن أ.

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء
 وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الاقتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الاقتراق، فعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأن الاقتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فعلوم أن الاقتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس^(١) ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخل من المحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً، وتفريق مفترق له إن كان مفترقاً. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفترقه إن كان مفترقاً من لا يشبهه، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والاقتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبه شيء، وهو على كل شيء قدير - فبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات ومحدثات، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها، إذ كان من المحال أن يكون شيء يحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذكره:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٢)، لأبلغ الحجج،

(١) أ، ك: «ما هو جنس ما شاهدنا».

(٢) سورة الفاشية ١٧ - ٢٠

وأدلُّ الدلائل — لمن فكَّر بعقل ، واعتبر^(١) بفهم — على قِدَمِ بارئها ، وحدوث كل ما جانسها ، وأنَّ لها خالقاً لا يشبهها .

وذلك أن كلَّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإنَّ ابنَ آدم يعالجه ويدبِّره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غيرَ ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إنَّ ابنَ آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد^(٢) شيء من ذلك من غير أصل ؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد^(٣) ذلك لم يحدث نفسه ، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجد له من هو مثله ، ولا هو أوجد نفسه ، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يُعجزه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه ، وهو الله الواحد القهار .

• • •

فإن قال قائل : فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين ؟
 قيل : أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا : لو كان المدبِّر اثنين ، لم يخلوا من اتفاق أو اختلاف ؛ فإن كانا متفقين فعناهما واحد ، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنتين . وإن كانا مختلفين كان محالا وجود الخلق على التمام والتدبير على الاتصال ؛ لأن المختلفين ، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه ؛ بأن أحدهما إذا أحيأ أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدهما أفضى الآخر ، فكان محالا وجود شيء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال .
 وفي قول الله عز وجل ذكره : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٤) ، وقوله عز وجل : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥)

(١) : « أعين » .

(٢) ، ر : « اتخاذا » .

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة المؤمنین « ٩١ ، ٩٢ »

أبلغ حجة، وأوجز بيان، وأدل دليل على بطول^(١) ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله ، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخل أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالثنوية، وإقرار بالتوحيد، وإحالة في الكلام بأن قائله سمى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جل وعز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لأن أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله، وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة، كالنار التي تسخن، والثلج الذي يبرد ما أسخنه النار.

وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخل كل واحد من الاثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قويين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كل واحد منهما قوياً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكره عما يشرك المشركون!

فتبين إذاً أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء، وهو الكائن بعد كل شيء، والأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وأنه كان ولا وقت ولا زمان، ولا ليل ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور^(٢) إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم، وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثني علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) ١: « بطلان » ؛ وهما مصدران صحيحان .

(٢) ١: « ولا ضياء » .

« إنكم تُسألون بعدى عن كلِّ شىء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلَّ شىء فمن ذا خلقه ! » .

حدثني عليّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال : قال يزيد بن الأصم : حدثني نجبة بن صبيغ ، قال : كنت عند أبي هريرة فسألوه عن هذا فكبير وقال : ما حدثني خليلي بشىء إلا قد رأيته - أو^(١) أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغني أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلِّ شىء ، والله كان قبل كلِّ شىء ، والله كائن بعد كلِّ شىء .

* * *

٢٩/١ فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شىء غيره ، وأنه أحدث الأشياء فدبرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذين يُجرهما في أفلاكهما ، وبهما عُرفت الأوقات والساعات ، وأرخت التواريخ ، وفصل بين الليل والنهار ، فلنقل : فبمّ ذلك الخلق الذى خلق قبل ذلك ؟ وما كان أوله ؟

(١) ط : « وأنا » ، وما أتبعه عن ا .

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح - وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح - عن أيوب بن زياد ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي ، قال : قال أبي عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شيء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كل شيء » .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رباح بن زيد^(١) ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٣٠/١

حدثني محمد بن معاوية الأنماطي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعاني فقال :

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبتته عن أ ؛ ذكره ابن حجر فوين روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٢ ، و ٧ : ٤٣١ .

أى بنى ، اتق الله واعلم أنك لن تتقى^(١) الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ،
والقدر خيرته وشره ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق
الله عز وجل خلق القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال :
اكتب القدر ، قال : فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

° ° °

وقد اختلف [أهل]^(٢) السلف قبلنا في ذلك ، فنذكر أقوالهم ، ثم نتبع
البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .

فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
ذكر من قال ذلك :

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن
فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله
من شيء القلم فقال له : اكتب ، فقال^(٣) : وما أكتب يا رب ؟ قال : اكتب
القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رُفِعَ
بخار الماء ففتق منه السموات .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،
عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله من شيء
القلم ، فجرى بما هو كائن .

حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان — أو مجاهد — ، عن ابن عباس بنحوه .

(١) ط : « لن تلقى الله » ، وصوابه من أ ، ر ، ن ، س .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) أ : « قال » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ،
حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء^(١) ، عن أبي الضحاح مسلم بن
صبيح ، عن ابن عباس ، قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ ربي عز وجل القلم ،
فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

* * *

وقال آخرون : بل أولُ شيءٍ خلقَ الله عز وجل من خلقه النور والظلمة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق :
كان أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة
ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قولُ ابن عباس ،
للخير الذي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل]^(٢) ، أنه قال :
أول شيءٍ خلق الله القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلت : أولى القولين — اللذين أحدهما أن أولَ
شيءٍ خلق الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة — قولُ من قال : إن أولَ
شيءٍ خلق الله من خلقه القلم ، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التي حدّثكموها ابن بشار
قال : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم^(٣) ، عن مجاهد ، قال : قلت
لابن عباس : إن ناساً يكذبون بالقدّر ، فقال : «إنهم يكذبون بكتاب الله ،
لأخذنّ بشعر أحدهم فلا نفضنّ به» ، إن الله تعالى ذكره كان على عرشه قبل أن
يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم ، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

٣٢/١

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبي ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفي ، وانظر
تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكلّة من ا .

(٣) في ر ، ك : «أبي هاشم» ، وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي
المكي ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثوري . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٦ .

ولإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التي حدثكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ۚ ﴾^(١) ، فكان كما وصف نفسه عز وجل ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة ؟

قيل : أما قول ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد روى عن أبي هاشم هذا الخبر شعبة ، ولم يقل فيه ما قال سفيان ؛ من أن الله عز وجل كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثري ، قال : حدثني عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ،

قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدري ابن عمر ٢٢/١ — أو ابن عباس — قال : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اجر ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه .

وكذلك قول ابن إسحاق الذي ذكرناه عنه معناه أن الله خلق النور والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذي عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روينا عنه أولى قول في ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أول شيء خلقه الله عز وجل القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عم بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شيء خلقه الله القلم » ، كل

شيء^(١) ، وأن^(٢) القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيَان وأبي الضَّحَا ، عن ابن عباس ، أولى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ط : « قبل كل شيء » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « أن » ، بغير واو .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سبحانه رقيقاً ، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكم كتابه فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ (١) ، وذلك قبل أن يخلق عرشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالوا : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رَزِين ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في سماء (٢) ، ماتحته هواء ، وما فوقه (٣) هواء ، ثم خلق عرشه على الماء (٤) »

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رَزِين العُقَيْلِيّ ، قال :

(١) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « في غمام » . والماء ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدري كيف كان ذلك الماء . وفي رواية : « كان في سما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شيء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف واللفظ ؛ ولا بد من تقدير مضاف محذوف في قوله : « أين كان ربنا » كما حذف في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ر : « ولا فوقه » . وفي ك : « تحته هواء ، وماء فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر ؛ لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجري في تلك الساعة ، ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سبحانه رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آتة يكتب بها - وهو القلم - ومن شيء يكتب فيه - وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ - وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة » .

قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق^(١) السموات والأرض ؟
قال : « في^(٢) أعماق ، فوقه هواء ، وتحتة هواء^(٣) ، ثم خلق عرشه على الماء » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شميل ، قال : حدثنا المسعودي ،
أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين — وكان من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا
عليه ، فجعل يبشّره ويقولون : أعطينا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا : جئنا نسلّم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقّه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ،
قال : فاقبلوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قبيّنا ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله لا شيء غيره^(٤) » ، وكان عرشه على الماء ، وكتب
في الذكر قبل كل شيء ، ثم خلق سبع سموات . ثم أتاني آت فقال : تلك
ناقتك قد ذهبت ، فخرجت ينقطع دونها السراب ، ولوددت أني تركتها^(٥) .

٣٥/١

حدثني أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع
ابن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » ، فقالوا : قد بشّرتنا فأعطنا ، فقال :
« اقبلوا البشرى يا أهل اليمن » ، فقالوا : قد قبيّنا ، فأخبرنا عن هذا الأمر كيف
كان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله عز وجل على العرش ، وكان
قبل كل شيء ، وكتب في اللوح كل شيء يكون » . قال : فأتاني آت فقال :
يا عمران ، هذه ناقتك قد حلّت عقابها ، فقمت ، فإذا السراب ينقطع بيني
وبينها ، فلا أدري ما كان بعد ذلك

* * *

(١) أ : « خلق » .

(٢-٣) ك : « في غمام فوقه هواء وماء » .

(٣) التفسير : « ولا شيء غيره »

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق)

ثم اختُلف في الذي خلَقَ تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سنان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان^(١) ابن عبيد الله ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل خلق العرش أول ما خلق ، فاستوى عليه .

• • •

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قالوا : إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاء الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ودحا الأرض في يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع . وقد قيل : إن الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم الكرمي ، ثم خلق بعد الكرسي العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

• • •

(١) في ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبتته عن ا ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرت قبل عن أبي رزّين العُقَيْلِيّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عمام ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذى خلقه عليه غير موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِقَ بعد خلق الله الماء ، وإما أن يكون خُلِقَ هو والماء معا . فأما (١) أن يكون خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبي رزّين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

• • •

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ، فإن (٢) كان ذلك كذلك ، فقد كان الماء والريح خُلِقَا قبل العرش .

ذكر من قال : كان الماء على متن الريح :

حدثني ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (٣) : على أىّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أىّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح (٤) .

(١) ط : « وأما » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ا : « فإذا » .

(٣) سورة هود ٧ .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال : والسماوات والأرض وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل - فيما قيل - الكرسي .

• ذكر من قال ذلك :

٢٨/١ ، حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول - وذكر من عظمته - فقال : إن السماوات والأرض والبحار نبي الهيكل ، وإن الهيكل نبي الكرسي ، وإن قدميه عز وجل لعلى الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، و [قد] ^(١) عاد الكرسي كالنعل في قدميه . وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف السماوات محدد بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممهدة جزائر ، بين كل أرضين بحر ، والبحر يحيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

* * *

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلق سائر خلقه ألف عام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا مبشر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمْرَةَ يقول : إن الله خلق القلم ، فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبَّح الله ومجَّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلاله خلق السماوات والأرض خلق - فيما ذكر - أياماً ستة ، فسمى كل يوم منهن باسم غير الذي سُمي به الآخر .

* * *

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد ، واسم الآخر منهن هوز ، واسم الثالث منهن حطى ، واسم الرابع [منهن] (١) كلمن ، واسم الخامس [منهن] (٢) سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثني الحضرمي ، قال : حدثنا مصرف بن عمرو الياي (٣) ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من كندة ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، ليس منها (٤) يوم إلا له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وقد حدثت به عن حفص غير مصرف وقال (٤) : عنه ، عن العلاء بن المسيب ، قال : حدثني شيخ من كندة قال : لقيت الضحاك بن مزاحم ، فحدثني قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ؛ لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

* * *

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

* * *

(١) تكملة من ١

(٢) ط : « الإياي » ، صوابه من ١ .

(٣) ١ : « فيها » .

(٤) ١ : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذ كان جائزاً (١) أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، و بلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

* * *

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : الأيام سبعة . ١٠/١

* * *

وكلا القولين - اللذَيْن روينا أحدهما عن الضحاك وعطاء ، من أن الله خلق الأيام الستة ، والآخر منهما عن وهب بن منبّه من أن الأيام سبعة - صحيح مؤتلف غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك في ذلك كان أن الأيام التي خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه (٢) في خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٣) ، وأن معنى قول وهب بن منبّه في ذلك كان أن عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

* * *

واختلف السلف في اليوم الذي ابتداء الله عزّ وجلّ فيه في خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتداء في ذلك يوم الأحد .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيباني ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله تبارك وتعالى ابتداء الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين .

(١) ط : « إذ كان ذلك جائزاً » .

(٢) ١ : « ابتداء » .

(٣) سورة هود ٧ .

حدثني المثني بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله عز وجل بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق (١) السموات والأرض يوم الأحد والاثنين . ٤١/١

حدثني محمد بن أبي منصور الآملي ، حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء الخلق يوم الأحد .

حدثني المثني ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

• • •

وقال آخرون : اليوم الذي ابتداء الله فيه في ذلك يوم السبت .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أبي إسحاق ، قال : يقول أهل التوراة : ابتداء الله الخلق يوم الأحد : وقال أهل الإنجيل : ابتداء الله الخلق يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون (٢) فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتداء الله الخلق يوم السبت . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال كل فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتداء الله الخلق في يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتداء في يوم السبت ، وقد مضى ذكرنا الخبرين ، غير أننا نعيد من ذلك في هذا

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبتته عن ١ .

(٢) كذا في الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعض ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

• • •

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم ٤٢/١ الأحد ، فما حدثنا به هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هناد : وقرأت سائر الحديث - أن اليهود آتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » .

وأما الخبرُ عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصدائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

• • •

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتداء الله تعالى ذكره فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأن الله عزّ ذكره فرغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليله على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكم]^(١) تنزيله ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ . وقال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أُتِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّيَالِي . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الذَّنْبِيَّ بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ .

ولا خلاف بين (٣) جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى في قوله : ﴿ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان في الأيام الستة اللاتي ذكرهن قبل ذلك ، فعلوم إذ كان الله عز وجل إنما خلق السموات والأرضين وما فيهن في ستة أيام ، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن خلقه إياه كان في يوم الجمعة — أن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلًا في الأيام الستة ، كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، لا في ستة ، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل ؛ فتبين (٤) إذأ — إذ كان الأمر كالذي وصفنا في ذلك — أن أول الأيام التي ابتداء الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهن من خلقه يوم الأحد ؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله . فأمَّا الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأن الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة ، فستذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة السجدة ٤

(٢) سورة فصلت ٩ - ١٢ .

(٣) ط : « عند » .

(٤) ا ، س ، ن : « فبين » .

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله
في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلف من أهل العلم في ذلك :

فقال بعضهم ما حدثني به المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن
عبد الله بن سلام ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق ^(١) يوم الأحد ، فخلق الأرضين
في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ،
وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،
فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

حدثني موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن
السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة
الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا : جعل - يعنون ربنا تبارك وتعالى - سبع أرضين في يومين : الأحد والاثنين ،
وجعل فيها رواسي أن تميد بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها ، وشجرها وما
ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فجعلها
سما واحد ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين : الخميس والجمعة .

حدثنا عجم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب
[ابن غالب] ^(٢) ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله
الأرض في يومين . الأحد والاثنين .

ففي قول هؤلاء خُلِقَت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم في الأحد ^(٣)

والاثنين .

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) أ : « يوم الأحد » .

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يدحوها ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .
 . ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله عز وجل حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ^(١) ، يعنى أنه خلق السموات والأرض ، فلما فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بثأقوات الأرض فيها بعد خلق السماء ، وأرسي الجبال - يعنى بذلك دحوها - ^(٢) ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؟

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إن الله خلق الأرض يوم الأحد ، وخلق السماء يوم الخميس ، وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة لصحة الخبر الذي ذكرنا قبل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول ، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلق الأرض ولم يدحوها ، ثم خلق السموات فسواهن ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

:٦/١

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : « دحاها » ، وما أثبتته عن ا والتفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبالَ أرساها ، بل ذلك عندى هو الصواب من القول فى ذلك ؛ وذلك أن معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (١) .

فإن قال قائل : فإنَّك قد علمت أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها» ، فما برهانك على صحة ما قلت ، من أن «ذلك» بمعنى «بعده» التى هى بخلاف «قبل» ؟
 قيل : المعروف من معنى «بعده» فى كلام العرب هو الذى قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى «مع» ؛ وإنما توجَّه معانى الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة فى أهله ، لا إلى غير ذلك .

* * *

وقد قيل : إن الله خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان ، قيل أن يخلق الدنيا بألئى عام ، ثم دُحيت الأرض من تحته .

• ذكر من قال ذلك :

٤٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا يعقوب القُصَمَى ، عن جعفر ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس قال : وُضِعَ البيت على الماء على أربعة أركان ، قيل أن يخلق الدنيا بألئى عام (٢) ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا مِهْرَان ، عن سُفْيَانَ ، عن الأعمش ، عن بُكَيْرِ بْنِ الأَنْخَسِ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر (٣) ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألئى ستة ، ومنه دحيت الأرض .

وإذا كان الأمر كذلك كان خلق الأرض قبل خلق السموات ، ودحْوُ

(١) سورة النازعات ٢٧ - ٣٢ .

(٢) س : « بألف عام » .

(٣) ١ : « عمرو » .

الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونباتها ، بعد خلق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني مهران ، عن أبي سينان ، عن أبي بكر ، قال : (١) جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا : ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمراتها وخرابها يوم الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بقیين من يوم الجمعة (٢) ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتمت ، فعرّف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُوبٍ ۚ فَاصْبِرْ ۗ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٣) .

٤٨/١

فإن قال قائل : فإن (٤) كان الأمر كما وصفت من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذي حدّثكموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن فضّيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول (٥) ما خلق الله تعالى من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون (٦) ، فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فادت الأرض فأنبتت بالجبال ، فإنها لتفتخر (٧) على الأرض .

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .

(٢) كذا في ط ، وفي ا ، ن ، والتفسير : « يعني من يوم الجمعة » . وفي س :

« يعني يوم الجمعة » .

(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) ا : « فإذ » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .

(٦) النون هنا : الحوت .

(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس ، قال : أولُ (١) ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرك النون ، فادّات الأرض فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٢) .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيّان - أو مجاهد (٣) - عن ابن عباس بنحوه ، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفیان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال : اكتب ، فقال (٤) : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فادّات الأرض فأثبتت بالجبال ، قال : فإنها لتفخر على الأرض (٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير : عن عطاء بن السائب ، عن أبي الصّحى مسلم بن صبيّح ، عن ابن عباس قال : أولُ شيء خلق

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) كذا في ١ ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) ، وفي ط : « أبي ظبيان عن مجاهد »

والأعمش يرى عن أبي ظبيان وعن مجاهد ، وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

(٤) ١ والتفسير : « قال » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .
 قيل : ذلك صحيح على ما روى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسراً
 غير مخالف شيئاً مما روينا عنه في ذلك .

° ° °

فإن قال : وما الذي روى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدال على صحة كل ما رويت لنا في هذا المعنى عنه ؟

قيل له : حدثني موسى بن هارون الهمداني وغيره ، قالوا : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ (١) قال : إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيبس (٢) الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين ، في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت — والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ — والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصفرة على الريح (٣) — وهي الصخرة التي ذكر لقمان — ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب ، فترزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرت ، فالجبال

٥٠/١

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا في ١ ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفي ط : «يبس» .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط والتفسير : «في الريح» .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(١).

قال أبو جعفر: فقد أنبا قول هؤلاء الذين ذكرت: إن الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلق السموات والأرض، فسميا عليه - يعنون بقولهم: «فسميا عليه» علا على الماء، وكل شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سماء - ثم أيبس بعد ذلك الماء، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض، ثم خلق الأرض.

وإن كان الأمر كما قال هؤلاء، فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخاناً فعلاؤه على الماء، فكان له سماء، ثم أيبس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً، ولم يدحها، ولم يقدّر فيها أقواتها، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها، حتى استوى إلى السماء؛ التي هي الدخان النائر من الماء العالى عليه، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فيبسّه ففتقه، فجعلها سبع أرضين، وقدّر فيها أقواتها، و﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾،^{٥١/١} كما قال عز وجل. فيكون كل الذي روى عن ابن عباس في ذلك - على ما روينا - صحيحاً معناه.

وأما يوم الاثنين فقد ذكرنا اختلاف العلماء فيما خلق فيه، وما روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل.

وأما ما خلق في يوم الثلاثاء والأربعاء، فقد ذكرنا أيضاً بعض ما روى فيه، ونذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر منه قبل.

فالذي صح عندنا أنه خلق فيهما ما حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها — يعني في الأرض — وأقوات أهلها وشجرها وما ينبت لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَا لِّلسَّائِلِينَ ﴾ (١) ؛ يقول : مَنْ سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة (٢) .
حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل .

٥٢/١

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيها من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والحراب . حدثنا بذلك هناد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن أبي سعد البقَّال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

(١) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

(٢) الطبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدما كلمة « مثله » ، صواب حلفها من أ .

حدثني به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصّدائى ، قالا :
حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن
خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

والخبرُ الأولُ أصحُّ مخرجاً ، وأولى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف .

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقت بعد أن كانت
رتقاً ، كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة المهداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ^(١) ،
وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقتها
فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة .

٥٣/١

ولإنما سُمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَى فِي
كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ ^(١) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي
فيها من البحار وجبال البرد وما لم يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها
زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على
العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(٢) ، ويقول :
﴿ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٣) .

حدثني المشي ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ،
عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق
السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٢) سورة هود ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعةُ التي تقوم فيها الساعة .

حدثني تميم [بن المنتصر] ^(١) ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش ^(٢) والهوام والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة .

وهذا الذي قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزَّ وجلَّ خلق السموات والملائكة وآدم في يوم الخميس والجمعة ، هو ^(٣) الصحيح عندنا ، للخبر الذي حدثنا به هناد [بن السري] ^(١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هناد ، وقرأتُ مائر الحديث — قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ؛ مَنْ يحيى ومن يموت ، وفي الثانية أُلقي الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها في آخر ساعة .

٥٤/١

حدثني القاسم بن بشر [بن معروف] ^(١) ، والحسين بن علي الصُّدَائِي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « وبثَّ فيها — يعني في الأرض — الدوابَّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلق الخلق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام ، وكان كلُّ يوم من

(١) ط : « الوحش » وما أثبت من أ .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) ط : « وهو » ، وما أثبت من أ .

الأيام الستة التي خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة [كلّ] ^(١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قدّر اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا— كان معلوماً أن قدّر مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجل في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام ^(٢). يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التي ذكرناها ، وتركتنا ذكر كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدّة ما بين فراغ ربنا تعالى ذكره — من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبل ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد — سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ^(٣) — كان معلوماً بذلك أن مدّة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ، وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعة أيام من ذلك — وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا — مدة ما بين أول ابتداء الله جلّ وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم — وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام آخر ، وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه — وهو آدم — إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم البارئ الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كلّ شيء ، فلا شيء كان قبله ، والكائن بعد كلّ شيء . فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم .

• • •

فإن قال قائل : وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ خلقه كان قدّر كلّ يوم منهنّ قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

(١) تكلمة من أ .

(٢) ١ : « سنة » .

(٣) ١ : « يسيراً » .

كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) ، فلم يعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك في ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أول^(٢) اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيهه إنما هو موجه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهت خبر الله في كتسابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام ، وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٣) ؟

٥٦/١

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إننا إنما نعتمد في معظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفكر ، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلًا من أئمة الدين قال خلافه .

فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

٥٧/١

قيل : علم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد روى ذلك عن جماعة منهم مسمين بأعيانهم .

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذا كرههم لنا .

قيل : حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا حَكَّام : عن عنبسة^(١) ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، فكلَّ يوم من هذه الأيام كالف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(٢) . قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبَيْد ، قال : سمعت الضحَّاك يقول في قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ : يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنَّ السموات والأرض وما بينهما .

حدثني المثنى ، حدثنا عليّ ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضحَّاك : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٣) . قال : من أيام الآخرة ، كلَّ يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتداءً في الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كلَّ يوم ألف سنة .

(١) في ط : « عنبسة » تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكام بن سلم ؛ وذكره الطبري أيضاً في ١ : ٤٥٩ ، ٥٣٨ : .
وحدثنا ابن حنبل ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : يوم من الستة الأيام ، كآلف سنة مما تعدون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجه لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل : خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمره جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(١) .

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة بقوله : « أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماوات في يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليال عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكره وعشيا) : وليس في الجنة بكره وعشى . »

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا في خلق^(١) الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك ؛ فلنقل الآن : بأيّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار^(٢)؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضهم يقول فيه : خلق الله الليل قبل النهار ، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذى هو نهار هجم الليل بظلامه ، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل ، وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورّد عليه هو الثابت ، فكان بذلك من أمرها دلالة على أن الليل هو الأول خلقاً ، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً ، وهذا قول يروى عن ابن عباس .

٥٩/١

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن : عن سفّيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سئل : هل^(٣) الليل كان قبل النهار؟ قال : رأيتم حين كانت السموات والأرض رتقاً ، هل كان بينهما إظلمة ! ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثورى ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الليل قبل النهار ، ثم قال : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن مرثد

(١) : « قول » .

(٢) : « أم النهار » .

(٣) : « عن الليل » .

ابن عبد الله اليززي، قال: لم يكن عقيبته بن عامر إذا رأى الهلال - هلال رمضان - يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها، ثم يقوم بعد ذلك. فذكرت ذلك لابن حُجيرة فقال: الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل؟

• • •

وقال آخرون: كان النهار قبل الليل، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزّ ذكره كان ولا ليل ولا نهار ولا شيء غيره، وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

• ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل، حدثنا الحسن بن بلال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير أبي^(١) عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله القهري أن ابن مسعود قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم هذه اثنتا عشرة ساعة.

• • •

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان الليل قبل النهار، لأن النهار هو ما ذكرت من ضوء الشمس؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها، كما قال عز وجل: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾^(٢)، فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سُحِكت السماء، وأغطش ليلها، فعلوم أنها كانت - قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاها - مظلمة لا مضيئة.

٦٠/١

وبعد، فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده^(٣) دليلاً بيّناً

(١) ط: «الزبير بن عبد السلام»؛ وصوابه من أ؛ ذكره ابن حجر فيس روى عن أيوب بن عبد الله. وانظر تهذيب التهذيب ١: ٤٠٧.

(٢) سورة النازعات ٢٧-٢٩.

(٣) أ: «نشاهد».

على أن النهار هو الهاجم على الليل لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً] ^(١) أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف .

فأما ابن عباس فروى عنه أنه قال : خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، حدثني بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علي ، قالوا : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٦١/١ وأى ذلك كان ؛ فقد خلق الله قبل خلقه إياهما خلقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه ، فجعلهما دائبتي الجرى ، ثم فصل بينهما ، فجعل لإحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فحذا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب اختلاف حالتى آية ^(٢) الليل وآية النهار أخباراً أنا ذاكر منها بعض ما حضرني ذكره . وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك .

فما ^(٣) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني محمد بن أبي منصور الأملى ، حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا عمر بن

(١) تكله من ا .

(٢) ر : « حالتى الشمس والقمر وآية الليل » .

(٣) ا : « فا » .

صُبْحٌ^(١) أبو نعيم البليخي، عن مقاتل بن حيان، عن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبي ذرّ الغفاري، قال: كنتُ أخذُ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحنُ نماشى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلَت^(٢) الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت، قال: قلتُ: يا رسول الله، أين تغرب؟ قال: تغرب في السماء، ثم تُرْفَع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يا رب، مِينَ أين تأمرني أن أطلع، أمن مغربي أم من مطلعي؟ قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ حيث تجسّس تحت العرش، ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٣) قال: يعني بـ «ذلك»^(٤) صُنِعَ الربّ العزيز في ملكه العلم بخلقهِ. قال: فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق^(٥) بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها^(٦)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فكأنها قد حُبِسَت مقدار ثلاث ليالٍ ثم لا تُكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(٧). قال: والقمر كذلك في مطلعهِ ومجره في أفق السماء ومغربهِ وارتفاعهِ إلى السماء السابعة العليا، ومحبه تحت العرش وسجوده واستذانه، ولكن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالحلّة من نور الكرسي. قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٨). قال أبو ذرّ: ثم عدلتُ مع رسول الله صلى

٦٢/١

- (١) كذا في «عمر بن صحيح»، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٣ .
 وذكر أنه أخذ عن مقاتل . وفي ط : «صبيح» . وانظر خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٠ .
 (٢) طفلت الشمس : ماتت للغروب .
 (٣) سورة يس ٣٨
 (٤) كذا في ا ، ر ، ك ، وفي ط : «ذلك» .
 (٥) ط : «ينطلق» ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .
 (٦) ط : «مطلعها» ، وما أثبتته من ا .
 (٧) سورة التكاوير ١
 (٨) سورة يونس ٥

الله عليه وسلم فصلينا المغرب. فهذا الخبر عن رسول الله [يُنسبُ] ^(١) أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كسيتهما من ضوء العرش، وأن نور القمر من كسوة كسيتهما من نور الكرسي.

فأما الخبر الآخر الذي يدل على غير هذا المعنى؛ فإحدثنى محمد ابن أبي منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبو نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، سمعت العجب من كعب الحبر ^(٢) يذكر في الشمس والقمر. قال: وكان متكئاً فاحتفز ^(٣) ثم قال: وما ذلك؟ قال: زعم أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيقذفان في جهنم. قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شقة وقعت أخرى غضبا، ثم قال: كذب كعب! كذب كعب! كذب كعب! ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ ^(٤)، إنما يعنى دعوتهما في الطاعة، فكيف يعذب عبدين يُثنى عليهما؛ أنهما دائبان في طاعته! قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته! ما أجرأه على الله وأعظم فيرته على هذين العبدین المطيعين لله! قال: ثم استرجع مراراً، وأخذ عويداً من الأرض، فجعل ينكته في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنه رفع رأسه، ورى بالعويد فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ فقلنا: بلى رحمك الله! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلقه إحصاءاً فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمس من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه ^(٥) أنه يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها،

(١) ١: «عن أن» .

(٢) ر، ن: «الأخبار» .

(٣) احتفز: استوى جالساً على وركيه .

(٤) سورة إبراهيم ٣٣ .

(٥) ر، س: «من سابق علمه» .

وأما ما كان في سابق علمه (١) أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس في العِظَم ؛ ولكن إنما يُرَى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدري الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدري الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتد ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدري الديّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٢) . قال : فالسّواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ الحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلق كل ملك منهم بعروة من تلك العرّاء ، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكل عروة من تلك العرّاء ملك منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب في قُطْرَيِ الأرض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَدَّهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٣) إنما يعنى (٤) حمأة سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين في

(١) ر : « من سابق علمه » .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا في أ ، س وفي ط : « هي حمه » .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غلياً كغلي القيد إذا ما اشتد غليها. قال :
فكل يوم [وكل]^(١) ليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ، ما بين أولها مطالعاً ، وآخرها
مغرباً أطول ما يكون النهار في الصيف إلى آخرها مطالعاً ، وأولها مغرباً أقصر ما يكون
النهار في الشتاء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(٢)
يعني آخرها هاهنا وآخرها ثم ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ، ثم
جمعهما فقال : ﴿ بَرَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٣) ، فذكر عِدَّة تلك العيون كلها .

قال : وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء^(٤) مقدار ثلاث فراسخ ، وهو موج
مكفوف قائم في الهواء بأمر الله عز وجل لا يقطر منه قطرة ، والبحار كلها
ساكنة ، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم ثم انطلاقه في الهواء مستويًا ، كأنه
حبلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب ، فتجري الشمس والقمر والخُنُس في لُجَّة
غمر ذلك البحر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ ﴾^(٥) ، والفلك
دوران العجلة في لُجَّة غمر ذلك البحر . والذي نفس محمد بيده ، لو بدت
الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شيء في الأرض ، حتى الصخور
والحجارة ، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون
الله ، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه .

قال ابن عباس : فقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : بأبي أنت
وأُمي يا رسول الله ! ذكرت مجرى الخُنُس مع الشمس والقمر ، وقد أقسم الله
بالخُنُس في القرآن إلى ما كان من ذكرك ، فما الخُنُس ؟ قال : يا علي ، هن
خمسة كواكب : البرجيس^(٦) ، وزُحَل ، وعُطارد ، وبهرام ، والزهرة ،

(١) تكلمة من ا .

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المارج ٤٠

(٤) كذا في ط ، وفي اللآله المصنوعة ١ : ٧ : « بينه وبين السماء » ، وفي ا : « فجرى

بين السماء » .

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء ، وقال : هو نجم أو هو المشتري .

فهذه الكواكب الخمسة الطالعيات ، مثل الشمس والقمر ، العاديات^(١) معها ، فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق^(٢) القناديل من المساجد ، وهي تحوم مع السماء دورانياً بالتسييح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن أحببتم أن تستبينوا^(٣) ذلك ، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما ترون ، وتلك صلاتها ، ودورانها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾^(٤).

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً ناشري أجنتهم ، يجرونها في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلاً كان أو نهاراً ، فإذا أحب الله أن يبتلى الشمس والقمر فيسرى العباد آية من الآيات فيستعجبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالاً على طاعته ، خرت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحب الله أن يعظم الآية ويشدد تخويف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى منها على العجلة شيء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آية دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائر ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويف للعباد ، واستعتاب من الرب عز وجل ، فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

(١) ا ، ر ، ن : « العاديات » وفي اللام المنصوبة : « العاربات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستبينوا » .

(٤) سورة الطور ٩ - ١١

يُقبلون على العجلة فيجرّونها نحو الشمس ، وهم في ذلك ^(١) يقرّونها ^(٢) في الفلك بالتسيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الحريف والربيع ، لكيلا يزيد في طولهما شيء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذي يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتلموها حتى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوامهم لذلك ، ويتعلقون بعراً العجلة ، ويجرّونها في الفلك بالتسيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء في العين .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجب من خلق الله : ولتَعْجَب من القدرة فيما لم تَرَ ^(٣) أعجب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَمْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنهم ، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانية «مرقيسيا» وبالعربية «جابتلق» ^(٥) واسم التي بالمغرب بالسريانية «برجيسيا» ^(٦) وبالعربية «جابرّس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين

(١) ن : « مع ذلك » .

(٢) كذا في ا ، من ، ك ، وفي ط : « يجرّونها » .

(٣) ط : « لم يخلق » ، وما أثبت من اللؤلؤ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالياء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم في معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أن أهلها من

راه ثمود .

كل بايين فرسخ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف^(١) رجل من الحراسة، عليهم السلاح، لا تنوبهم^(٢) الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور، فولدئ نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك^(٣)، وتافيل، وتاريس^(٤)، ومن دونهم يأجوج ومأجوج.

وإن جبئريل عليه السلام انطلق بي إليهم ليلة أسرى بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى عبادة الله عز وجل فأبوا أن يحيوني، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله عز وجل وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا، فهم في الدين [إخواننا]^(٥)، من أحسن منهم فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم. ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا بما دعوتهم إليه، فكفروا بالله عز وجل وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله في النار؛ فإذا ما غربت الشمس رُفِعَ بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة؛ حتى يُبلَغَ بها إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش فتخر ساجدة، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها، فيحدر بها من سماء إلى سماء؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر^(٦)، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون، فذاك حين يضيء الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار.

قال: وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع، مقدار

- (١) كذا في ١ وابن الأثير واللائل المصنوعة. وفي ط: «عشرة آلاف ألف».
- (٢) كذا في ١. وفي ط: «ولما تلحقتهم نوبة الحراسة». وفي ابن الأثير: «لا تعود الحراسة إليهم».
- (٣) ر، س: «تافيل».
- (٤) س: «تاريس»، أ «تاريس»، وابن الأثير «تاريس».
- (٥) تكلت من ١ واللائل المصنوعة.
- (٦) ط: «الصبح»، وما أثبتته من ١.

عدة الليالى منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصْرَمَ ، فإذا كان عند الغروب أقبل مَلَكٌ قد وُكِّلَ بالليل فيقبض قبضةً من ظُلْمَةِ ذلك الحجاب ، ثم يستقبلُ المغرب ؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشفق ، فإذا غاب الشفق أرسلَ الظلمة كلَّها ثم ينشر جناحيه ، فيبلغان قُطْرِي الأرض وكنفَي السماء ، ويجاوزان ما شاء الله عزَّ وجلَّ خارجاً في الهواء ، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق ، فضمَّ جناحيه ، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناوها من الحجاب بالمشرق ، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل . فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور ، وانقضت الدنيا ، فضوء النهار من قبَل المشرق ، وظلمة الليل من قبَل ذلك الحجاب ، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما ، إلى السماء السابعة العليا ، إلى مجبسهما^(١) تحت العرش ، حتى يأتيَ الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد ، فتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروفُ ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكرُ فلا ينهى عنه أحد .

٧٠/١

فإذا كان ذلك حيث است الشمس مقدار ليلة تحت العرش ، فكلَّما سجدت وأستأذنت : من أين تطلع ؟ لم يُحَرَّ^(٢) إليها جواب ؛ حتى يوافيها القمر ويسجد معها ، ويستأذن : من أين يطلع ؟ فلا يحار إليه جواب ، حتى يجبسهما مقدار ثلاث ليالٍ للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المهجدون في الأرض ؛ وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين ؛ في هوان من الناس وذلة من أنفسهم ، فينام أحدهم تلك الليلة قَدْرَ ما كان ينام قبلها من الليالى ، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاً فيصلى ورده ، كما كان يصلى

(١) ط : « إلى مجبسهما » ، وما أثبتته من أ .

(٢) لم يمر إليها جواب ؛ أى لم يرجع إليها جواب ؛ ويقال : ما أطار جواباً ؛

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ثم يقول : فلعلني خففت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت قبل حينى ! قال : ثم يعود أيضاً فيصلّى ورده كمثل ورده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الحروف ، ويظن في ذلك الظنون من الشر ، ثم يقول : فلعلني خففت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت من أول الليل ! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجيل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلّى أيضاً مثل ورده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك (١) شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه (٢) الحروف ، ويستخفه البكاء ، ثم ينادى بعضهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المهجّدون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون في غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليالٍ للشمس والقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عزّ وجلّ يأمركما أن ترجعا إلى مغاريكما فتطلعا منها ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

٧١/١

قال : فبينما الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا مختلفين أفتيهم من المغرب أسودين مكوّرين كالغرايين (٣) ، ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك ، فيتصايح أهل الدنيا وتدهل الأمهات عن أولادها ، والأحبة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاه . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم حسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كل واحد منهما

(١) : « عنها » .

(٢) استلحم الحروف : نشب فيه .

(٣) ط : « كالغرايين » ، وما أثبت من ا .

صاحبه استيقاقاً ، حتى إذا بلغا سريرة السماء - وهو منصفها - أتاهما جبرئيل فأخذ بقرنهما ثم ردهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما في مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما في باب التوبة .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عز وجل باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكلا بالدر والجوهر ، ما بين المصراع إلى المصراع (١) الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع ، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولحت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عز وجل .

قال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال : فيرد جبرئيل بالمصراعين فيلأم (٢) بينهما ويصيرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط ، فإذا أغلق (٣) باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجزى لهم بعد ذلك ما كان يجزى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَا بَنِي آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٤) .

فقال أباى بن كعب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أباى ، إن الشمس والقمر

(١) : « والمصراع »

(٢) : « فيلأم » .

(٣) ط : « غلق » وهى لغة رديئة فى « غلق » .

(٤) سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغرَّبان كما كانا^(١) قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية، فيُلحِّثون على الدنيا حتى يُجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، وينووا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

٧٣/١

فقال حذيفة بن اليمان : أنا وأهل فداؤك يا رسول الله ! فكيف هم عند النفخ في الصور ! فقال : يا حذيفة ، والذي نفس محمد بيده ، لتقومن الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لَطَّ^(٢) حوضه فلا يسقى منه ، ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه . ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمَهَا ، ولتقومن الساعة والرجل قد انصرف بلبن لِحْتِهِ^(٣) من تحته فلا يشربه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وَكَلِيَاتِنَهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾^(٤).

فإذا نُفِخَ في الصور، وقامت الساعة ، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذ يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال ولبال، تُرْعِدُ فرائصهما من هول ذلك اليوم ومحافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خراً لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودعوتنا في عبادتك، وسرعتنا للمضى^(٥) في أمرك أيام الدنيا ، فلا تُعَذِّبْنَا بعبادة المشركين إيانا، فإننا لم ندعُ إلى عبادتنا ، ولم نذهل عن عبادتك ! قال : فيقول الرب تبارك وتعالى : صدقتما، وإني قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد ، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه ، فأرجعا إلى ما خلقتما منه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) ١ : « لاط » ، ولاط الحوض بالطين ولطه : طينه .

(٣) اللقمة ، بالكسر : الناقة الحلوب .

(٤) سورة العنكبوت ٥٣ .

(٥) ١ : « المضى » ، ن : « بالمضى » .

قالا : إلهنا ، ومِمَّ خلقتنا؟ قال : خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه . قال : ٧٤/١
فيلتصع من كل واحد منهما برقة تكاد تَخَطَفُ الأبصار نوراً ، فتختلط بنور
العرش . فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴾^(١) .

قال عكرمة : فقصت مع النفر الذين حَدَّثُوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه
بما كان من وجد ابن عباس من حديثه ، وبما^(٢) حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال : قد بلغني ما كان من
وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدثت عن كتاب
دارسٍ قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك
حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء
وخير النبيين ، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت
به كان مكان حديثي الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقره في قلبي
باباً باباً ، فما زاد شيئاً ولا نقص ، ولا قدّم شيئاً ولا أخر ، فزادني ذلك في ابن
عباس رغبة ، وللحديث حفظاً^(٣) .

• • •

ومما روى عن السلف في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبي الطفيل ، قال : قال
ابن الكوّاء لعلّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التي في القمّر؟
فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾^(١) ! فهذه محوه .

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : « وما » .

(٣) أورد ابن الأثير في الكامل : (١٤٠ : ١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل
ما فيه من أشياء ؛ ثم قال : « عرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا
به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ وبطل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا
الإسناد الضعيف » ، ونقله أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١ : ٤٥ - ٦٠ من طريقين آخرين ؛
وقال عنه : « موضوع ، في إسناده مجاهيل وضعفاء » .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلحة ، عن زائدة ، عن
عاصم ، عن علي بن ربيعة ، قال : سألت ابن الكواء علياً عليه السلام فقال :
ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصِرَةً﴾ ^(١) ، هو المحو ^(٢) .

٧٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا
إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند علي
عليه السلام ، فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذلك آية الليل
محيته ^(٣) .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال :
حدثنا عمران بن حدير ، عن ربيع ^(٤) ، أبي كثيرة ، قال : قال علي بن
أبي طالب رضي الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكواء فقال : ما السواد الذي
في القمر؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ! ثم قال :
ذلك محو الليل .

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال : حدثنا ابن
عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن ،
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه : ما السواد
الذي في القمر؟ قال : إن الله يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ
فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ^(١) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني
عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿وَجَعَلْنَا

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٤) ط : « ابن أبي كثيرة » ، وفي التفسير : « ربيع بن أبي كثير » ، والصواب

ما أثبت ، ذكره أبو حاتم الرازي في البحر والتعديل ١٠٧/٢٢١ ، والمولاي في الكنى ٩٠ .

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، قال : هو السواد بالليل .
 حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
 عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان القمر يضيء كما تضيء الشمس ،
 والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، السواد الذي في
 القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة ، قال : ذكر
 ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 ٧٦/١ قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، قال : السواد
 الذي في القمر ، كذلك خلقه الله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
 عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً
 كذلك خلقهما الله عز وجل .

قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
 وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، قال : ظلمة الليل وسد ف النهار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا
 سعيد عن قتادة ، قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ
 اللَّيْلِ﴾ ، كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا
 عيسى^(١) . وحدثني الحارث^(٢) ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ،
 جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عز وجل .

(١) هو عيسى بن ميمون الحرشي ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .

(٢) هو الحارث بن محمد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التي هي القمر^(١) بالسواد الذي فيه . وجائز أن يكون الله تعالى ذكره خلّقهما شمسين من نور عرشه ، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله من ذكرنا قوله ، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما .

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تُكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي .

٧٧/١

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما^(٢) لقلنا به ؛ ولكن في أسانيدهما^(٣) نظراً ؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أننا ييقين نعلم^(٤) أن الله عزّ وجلّ خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مبصراً به ، والآخر ممحوّ الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا ، وإن كنا قد عرضنا عن ذكر كثير من أمرها وأخبارها ، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب ؛ لأنّ قصدنا في كتابنا هذا ذكر ما قدمنا الخبر عنه أنّا ذاكروه فيه من ذكر الأزمنة وتاريخ الملوك والأنبياء والرسل ، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب ، وكانت التواريخ والأزمنة إنما توقّعت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

(١) : « قمر » .

(٢) انظر صفحتي ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) : « ولكن في أسانيدهما نظر » .

(٤) كذا في ط ، وفي س : « نعلم ييقين » ، وفي ن : « نتيقن ونعلم » ، وفي ا ، ك

« نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا
نهار .

* * *

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ في إنشاء ما
أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سبب الدنيا ومدة
٧٨/١ أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها^(١) من الآثار والأخبار، وأتينا على القول في
مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللتنا بها على
صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
وغيرهم من علماء الأمة، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذا كروه
من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّها عزّ وجلّ والمطبعة ربها منهم، وأزمان الرسل
والأنبياء، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التواريخ، وتعرف به الأوقات
والساعات، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُمرّك معرفة ساعات الليل
وأوقاته، وبالأخر تُدرك علم ساعات النهار وأوقاته. فلنقل الآن في أول من
أعطاه الله ملكاً، وأنعم عليه فكفر نعمته، وجحد ربوبيته، وعتنا على
ربه واستكبر، فسلبه الله نعمته، وأخزاه وأذله. ثمّ نُتبعه ذكر من
استنّ في ذلك سنته، واقتنى فيه أثره، فأحلّ الله به نعمته، وجعله
من شيعة، وألحقه به في الخزي والذلّ. ونذكر من كان بإزائه أو بعده
من الملوك المطيعة ربها المحمودّة آثارها، أو من الرسل والأنبياء إن شاء الله
عزّ وجلّ.

* * *

فأولم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله .

وكان الله عزّ وجلّ قد أحسن^(٢) خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء^(٣)
الدنيا والأرض فيما ذكر، وجعله مع ذلك من خزان الجنة، فاستكبر على ربه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « السماء الدنيا » .

وإدعى الربوبية، ودعا مَنْ كان تحت يده فيها ذكر إلى عبادته، فسَخَّه اللهُ تعالى شيطاناً رجماً، وشوّه خلقه، وسلبه ما كان حوله، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته في الآخرة ناراً جهنم، نعوذ بالله من غضبه، ومن عمل يقرب من غضبه، ومن الحور بعد الكور^(١).

وفبدأً بذكر حمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عز وجل أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه، وإدعائه ما لم يكن له ادعائه، ثم نتبع ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه، والسبب الذي به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه، وجميل آلائه^(٢)، وغير ذلك من أموره^(٣)، إن شاء الله مختصراً.

(١) أصله في الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور»، قال ابن الأثير أي من نقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض الصامة بعد لفها». النهاية ١: ٢٦٩.

(٢) ١: «بلائه».

(٣) ط: «أمره»، وما أثبت عن ا.

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء والدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ،
قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس
من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان
سما الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نَمِرٍ - أحدهما أو كلاهما -
عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها ،
وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان
من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سمو الجن لأنهم خُزّنوا الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً .

حدثني عبدان المروزي ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت
أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک
ابن مزاحم يقول في قوله عز وجل : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ^(١) ،
قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف ^(٢) الملائكة وأكرمهم

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ن وفي ط : « أشرف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوامة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فسخره الله شيطاناً رجيماً .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه
وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
ابن جريج : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١) قال : قال ، ابن جريج :
من يقل من الملائكة إلى إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ،
فتزلت هذه الآية في إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، وإنما كانت^(٢) هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال
ما قال ، لعنه الله وجعله رجما ، فقال : ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾^(١) ،
قال : هي خاصة لإبليس .

(١) سورة الأنبياء . ٢٩ .

(٢) ١ : « وكان » .

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التي كانت في ملك عدو الله - إذ كان الله مطيعاً - ما ذكر لنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثناه أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن^(١) خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزائن الجنة ، قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحى ، قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مسارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا أهبست ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم^(٢) هذا الحى الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه ، وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

٨٢/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

(١) كذا في ١ ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ، والخبر في التفسير ١ : ٤٥٥ (المعارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : « فهم » .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال التي رُويت في ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتل الجن الذين عصوا الله ، وأفسدوا في الأرض وشرّدهم ، أعجبه نفسه ورأى في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

• • •

والقول الثاني من الأقوال المروية في ذلك عن ابن عباس ، أنه كان ملك سماء الدنيا سائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، يخازن الجنة ، مع احتجاده في العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه عز وجل .

• ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة^(١) من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُموا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خزّاناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا إلا لمزية ، هكذا حدثني موسى بن هارون .

(١) كذا في ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفي ١ : « وكان قبيلة » .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ ، عن عمرو بن حماد ، قال (١) :
لمزية لى على الملائكة . فلما وقع ذلك الكبير فى نفسه اطلع الله عز وجل
على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : (إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن
إسحاق ، عن خِلاَّد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان
إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عَزْرَازِيل ، وكان من سكان
الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذى
دعاه إلى الكبير ، وكان من حى يسمون جنّاً .

وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن
ابن إسحاق ، عن خِلاَّد بن عطاء ، عن طاوس — أو مجاهد أبى الحجاج —
عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه عَزْرَازِيل ،
وكان من سكان الأرض وعمَّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون الجنَّ
من بين الملائكة .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا سلام
ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس
ملائكة سماء الدنيا .

• • •

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب فى ذلك
أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عز وجل ، فأمرهم بأمر فأبوا طاعته (٣) .

٨٤/١

• ذكر الرواية عنه بذلك :

(١) ١ : « فقال » .

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) ن : « فأبوا طاعته » .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً فقال : اسجدوا لآدم ، فقالوا : لا نفعل ، قال : فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : إني خالق بشرأ من طين فاسجدوا لآدم ، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، قال : ثم خلق هؤلاء فقال : ألا تسجدوا لآدم^(١) ! قالوا : نعم ، قال : وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

وقال آخرون : بل السبب في ذلك أنه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا في الأرض ، فسفكوا فيها الدماء ، وأفسدوا فيها ، وعصوا ربهم ، فقاتلتهم الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو سعيد اليمحديّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثني سوار بن الجعد اليمحديّ ، عن شهر بن حوشب ، قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٢) ، قال : كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سُتَيْد بن داود ، قال : حدثنا هُشَيْم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نُمَيْر وعُمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ٨٥/١ ابن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجنّ فسبى إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٣) .

(١) ١ : « اسجدوا لآدم » .

(٢) سورة الكهف ٥٠

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(١)؛ وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن ، وجائز^(٢) أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان في عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوثق من ملك السماء الدنيا والأرض وخزان الجنان^(٣) . وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يُلْدرَك^(٤) علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة ، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف في أمره على ما حكينا ورويناه .

وقد قيل : إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن ؛ فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حكماً ، وسماه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتهظم وتكبر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً البأس والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض النفس سنة فيما زعموا ؛ حتى إن حيولم تخوض في دماهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَعِينَا بِالْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَدُنِّهِ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾^(٥) ؛ وقول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(٥) ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم . قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة بعد الله في السماء مجتهداً لم يعبه شيء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان .

٨٦/١

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢-٢) ساقط من ١ .

(٣) ر : « لا يدرك » .

(٤) سورة ق ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٠

القول في خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أبا البشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكيبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبور، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فأجابوه بأن قالوا [له] (١): ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٢) فروي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين (٣) قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) أتجعل فيها من يكون فيها مثل الجنّ الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصونك، ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزّمه على خلافه أمرى، وتسويل نفسه له الباطل (٤) واعتباره، وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروا ذلك منه عياناً.

٨٧/١

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جُمُلاً في كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٥)، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.

فلما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم عليه السلام أمر برّبه أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا

(١) تكله من أ

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) كذا في أ، وفي ط: «الذي».

(٤) ك: «الباطل».

(٥) كذا في ط، وفي أ، ر، ك: «القرآن».

بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحَّاك، عن ابن عباس؛ قال: ثم أمر
- يعنى الربَّ تبارك وتعالى - بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين
لازب - واللَّازب اللَّزج الطَّيِّب - من حَمَامٍ مَسْنُونٍ؛ مُنْتِن، قال:
ولَئِنَّمَا كَانَ حَمَامًا مَسْنُونًا بَعْدَ التَّرَابِ، قال: فخلق منه آدم بيده.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:
حدثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن
أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِيِّ، عن ابن مسعود - وعن ناس
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قالت الملائكة: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعنى من شأن إبليس، فبعث الله جبرئيل عليه
السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص
منى شيئاً وتشتيني، فرجع ولم يأخذ، وقال: يا رب إنها عاذت بك فأعذتها،
فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعادها. فرجع، فقال كما قال جبرئيل،
فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع، ولم أنفذ
أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من
تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبسلَّ
التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللَّازب هو الذى يلتزق ببعضه ببعض - ثم ترك
حتى تغير وأتت، وذلك حين يقول: ﴿مِنْ حَمَامٍ مَسْنُونٍ﴾^(١)، قال: مُنْتِن.

٨٨/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُصَمِيُّ، عن جعفر بن أبي
المغيرة، عن سعيد بن جبَّير، عن ابن عباس، قال: بعث ربَّ العزة عزَّ
وجلَّ إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبتها وميلحتها^(٢)، فخلق منه آدم،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) ١: «ومالحتها».

ومن ثمَّ سُمِّيَ آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض ، ومن ثمَّ قال إبليس :
 ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١) ، أى هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن
 أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : إنما سُمِّيَ آدم لأنه خلق من أديم
 الأرض .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال :
 حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : خلق
 آدم من أديم الأرض فُسِمِّيَ آدم .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا
 عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي رضي الله عنه ، قال :
 إن آدم خلق من أديم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردى ، فكل ذلك
 أنت راء في ولده الصالح والردى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علبية ، عن عوف - وحدثنا
 محمد بن بشار وعمر بن شبة ، قالوا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال :
 حدثنا عوف . وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر
 ٨٩/١ وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا : حدثنا عوف . وحدثني محمد بن عمار الأسدي ،
 قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عنبسة ، عن عوف الأعرجي -
 عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء
 بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين
 ذلك . والسهل ، والحزن ، والحبيث ، والطيب ، ثم بُلِّتْ طيبته حتى صارت
 طينا لازبا ، ثم تُرِكَت حتى صارت حمأ مسنونا ، ثم تركت حتى صارت صلصالا

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والتبر في التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (١).

وحدثنا ابن بَشَّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خُلِقَ آدَمُ مِنْ ثَلَاثَةِ : مِنْ صَلْصَالٍ ، وَمِنْ حَمَلٍ ، وَمِنْ طِينٍ لَازِبٍ . فَأَمَّا اللَّازِبُ فَالْحَيَّةُ ، وَأَمَّا الْحَمَلُ فَالْحَمَّةُ ، وَأَمَّا الصَّلْصَالُ فَالْتَرَابُ الْمَدْقَقُ ، وَيَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ، مِنْ طِينٍ يَابَسَ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، وَالصَّلْصَلَةُ : الصَّوْتُ .

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ تَرَكَهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ عَامًا جَسَدًا مَلَقَى .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوَاقٍ ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدم من طين لازب من حمإ مسنون . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب ؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٢) ؛ يقول : كالثيء المنفرج الذي ليس بمصمت ، قال : ثم يدخل فيه ويخرج من دُبُرِهِ ، ويدخل في دُبُرِهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء ما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكتك ، ولئن سلطت علي لأعصينك (٣) .

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر في التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) ؛ فخلق الله عز وجلّ يديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ^(٢) ليقول حين يتكبر : ^(٣) تتكبر عما عملت يدي ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم فرعاً لإبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خلقت . ودخل ^{٩١/١} من فيه وخرج من دُبُرِهِ ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صمد ^(٤) وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنّه ^(٥) .

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النهديّ ، عن سلمان الفارسيّ ، قال : خمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديه ، فخرج طيبه يمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضه ببعض ، فنّم ثمّ يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من الطيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال - والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً ^(٦) قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالاً كالفخّار ، ولم تمسه نار ^(٧) ، قال : فلما

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) ر ، ن : « عليه » .

(٣) ط : « تكبر » .

(٤) الصمد ، بفتحين : المصمت الذي لا جوف له .

(٥) ر : « لأهلكه » .

(٦) ا : « عاماً » .

(٧) ن : « النار » .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفضّار؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفختُ فيه من روحي فقَعُوا له ساجدين .

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبل رأسه ، فيما ذكر عن السلف قبلنا أنهم قالوه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فلما بلغ الحين الذي أراد^(١) الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح ، في رأسه عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله عزّ وجلّ له : رحمك ربّك . فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٢) ، ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾^(٣) ، ﴿ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٤) ، فقال الله له : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾^(٥) لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي ، قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين ، قال الله له : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ - يعني ما ينبغي لك - ﴿ أَنْ تَتَّكِبَ

(١) ١ : « يريد » .

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة الحجر ٣١

(٤) سورة البقرة ٣٤

(٥) سورة الأعراف ١٢

فِيهَا فَأَخْرُجُ إِيَّاكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ^(١) ، وَالصَّغَارِ الذَّلَّ .

حدثنا أبو كَرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن
عمارة ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ
الله عزَّ وجلَّ فيه - يعني في آدم - مِنْ رُوحِهِ أَتَتْ النَّفْخَةَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ،
فَجَعَلَ لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْهَا فِي جَسَدِهِ إِلَّا صَارَ لَحْمًا وَدَمًا ، فَلَمَّا انْتَهتِ النَّفْخَةُ
إِلَى سِرْتِهِ نَظَرَ إِلَى جَسَدِهِ فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ حَسَنَتِهِ ، فَذَهَبَ لِيَنْهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ ، فَهُوَ
قَوْلُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٢) ، قال : ضَجْرًا لَا صَبْرَ
لَهُ عَلَى سِرَاءٍ وَلَا ضِرَاءٍ ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال : الحمد
لله ربِّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة
الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا
لآدم ، فسجدوا كلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إبليسَ أبى واستكبر ، لما كان حدثت به نفسه
من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنًا ، وأقوى خَلْقًا ،
﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^(٣) ، يقول : إن النار أقوى من الطين ،
قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيَّسَهُ^(٤) من الخير كله ،
ويجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لعصيته .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فيقال - والله أعلم - : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ،
قال : فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً
له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوُّ
الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً^(٥) متعظماً بغياً وحسداً ، فقال :
﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ لى قوله : ﴿ لَا مَلَأَنَّ

(١) سورة الأعراف ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة ص ٧٦

(٤) ن : « وآيه » ، ا : « وآيه » .

(٥) ا : « مكابراً » .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(١)، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، عليه السلام . قال أبو خالد : [وحدثني الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه : قال أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدوسي ، قال : حدثني سعيد المقبري ، ويزيد بن هرم عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه أنه قال : «خلق الله عزّ وجلّ آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فغطّس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك الملائكة فقل لهم : السلام عليكم . فأتاهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثمّ رجع إلى ربه عزّ وجلّ فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفياً فيها من الكبر والمعصية لربه ، وكانت الملائكة قد قالت لربها عزّ وجلّ حين قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . فقال لهم ربهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، تبين لهم ما كان عنهم مستتراً ، وعلموا أن فيهم من منه المعصية لله عزّ وجلّ والخلاف لأمره .

ثمّ علّم الله عزّ وجلّ آدم الأسماء كلّها . واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علّمها آدم : أخصاً من الأسماء علّم ، أم عامّاً ؟ فقال بعضهم : علّم اسم كل شيء .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ؛ وأشبه ذلك من الأمم وغيرها .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ،^(١) قال : علمه اسم كل شيء ، حتى الفسوة والفسية .

حدثني علي بن الحسن ، حدثنا مسلم الجرمي^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية ، والفسوة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نتيج ، عن مجاهد ؛ في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء .

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبتته عن ا ، والتضير ا : ٨٤

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفيطس ،
عن سعيد بن جبّير ، قال : علّمه اسم كل شيء ؛ حتى البعير ،
والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمر ، عن قتادة في قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، ٩٦/١
قال : علّمه اسم كل شيء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا ، وهذا كذا ،
لكل شيء ، ثم عرضهم ^(١) على الملائكة ، فقال : ﴿ أَنْذِبُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ،
قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) ، قال : يا آدم أنبهم بأسمائهم ، فأبأ كل صنف من الخلق
باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود] ^(٤) ؛
قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبي بكر ،
عن الحسن وقتادة ، قالا : علّمه اسم كل شيء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ،
والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء برسمه .

* * *

وقال آخرون : بل إنما علّم اسما خاصا من الأسماء ^(٥) ، قالوا : والذي علّمه
أسماء الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

-
- (١) كذا في ط ، وفي ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .
(٢) سورة البقرة ٣١ .
(٣) سورة البقرة ٣٢ .
(٤) تكلمة من ا .
(٥) ن : « الأسماء » .

حدثني عبدة المرورزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع^(١) ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

وقال آخرون مثل قول هؤلاء في أن الذي علّم آدم [من]^(٢) الأسماء
[اسمها]^(٣) خاصاً من الأشياء ؛ غير أنهم قالوا : الذي علّم من ذلك أسماء ذريته .
٩٧/١ ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في
قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء ذريته ، فلما
علّم الله آدم الأسماء كتّما عرض الله عزّ وجلّ أهل الأسماء على الملائكة ، فقال
لهم : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) ، وإنما قال ذلك عزّ
وجلّ للملائكة - فيما ذكر - لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٥) فعرض - بعد أن خلق آدم عليه السلام
ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كل شيء - مما^(٦) خلق من الخلق عليهم ، فقال لهم :
أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أتني إن جعلت منكم خليفتي في الأرض
أطعتموني وسبّحتموني وقدمتموني ولم تعصوني ، وإن جعلته من غيركم أفسد
فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم
بالأول تعلموا ما يكون من أمرهم - إن جعلت خليفتي في الأرض منكم ، أو من
غيركم إن جعلته من غيركم ، فهم عن أبصاركم غيب لا ترونهم ولا تعابنونهم ،
ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم - أحرى .

(١) هو أبو جعفر الرازي ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٨ ،

١٢٠ : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) تكلّة من أ

(٤) سورة البقرة ٣١ . (٥) ط « ما خلق » وما أثبتته من ١ ، ر .

وهذا قول روى عن جماعة من السلف .
 • ذكر بعض من روى ذلك عنه :

٩٨/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال :
 حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي
 صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناسٍ
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدم
 يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا
 بشر بن عمار ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس :
 ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .

* * *

وقد قيل : إن الله جلَّ جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جلَّ جلاله لما ابتدأ
 في خلق آدم قالوا فيما بينهم : لِيَخْلُقَ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ ، فَنَنْبَخُ خَلْقًا
 إِلَّا كُنَّا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ
 كُلِّ شَيْءٍ عَرَضَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَلَّمَهُ آدَمَ أَسْمَاءَهَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنْبِئُونِي
 بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ
 مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ ، قال :
 حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
 فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة في خلق آدم عليه السلام فقالوا :
 ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من علم الله
 أنه لا شيء أكره إلى الله عزَّ وجلَّ من سفك الدماء والفساد في الأرض ،

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٩/١﴾ ،
فكان (١) في علم الله عز وجل أنه سيكون من تلك الخليفة (٢) أنبياء ورسول وقوم
صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ فِي خَلْقِ
آدَمَ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ : مَا اللَّهُ تَعَالَى بِخَالِقٍ خَلَقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا ، وَلَا أَعْلَمَ
مِنَّا ، فَابْتَلَوْا بِخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكُلَّ خَلْقْتِي مَبْتَلَى ، كَمَا ابْتَلَيْتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالطَّاعَةِ - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي نَسِيتُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا
أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٣) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ،
عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة
قالا : قال الله عز وجل للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
قال لهم : إني فاعل ، فعرضوا برأيهم ، فعلمهم علماً وطوى منهم علماً عليه
لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ ﴾ - وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب
عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء - ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٩/١﴾ ، فلما أخذ تعالى في خلق آدم عليه السلام
همست الملائكة فيما بينهم ، فقالوا : ليخلق ربنا عز وجل ماشاء أن يخلق ، فان يخلق
خلقاً إلا كنا أعلم منه ، وأكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم
أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضلته عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا :
إن لم نكن خيراً منه ، فنحن أعلم منه ، لأننا كنا قبله ، وخلقيت الأمم قبله ،

(١) ط : « وكان » وما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ : « وفي ط » من ذلك الخليفة .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلمت آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ؛ إن كنتم صادقين أنسى لم^(١) أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا^(٢) : ففرع القوم إلى التوبة ، وإليها يفرع كل مؤمن ، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٣) . لقولهم : ليخلق ربنا ما شاء ، فمن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، قال : علمه اسم كل شيء : هذه الخليل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ، قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أما ما أبدوا فقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؛ وأما ما كتبتوا فقولهم^(٤) بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٥) ، عن الربيع بن أنس : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَتَقَدَّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم عليه ، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم ، وعلمه الأسماء كلها ؛ وقال

١٠١/١

(١) : « لا أخاق » .

(٢) ط : « قال » وما أثبتته عن ا .

(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣

(٤) ا ، ن : « فقول بعضهم » . (٥) هو أبو جعفر الرازي (عيسى بن أبي عيسى) .

للملائكة : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذي أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذي كتبوا بينهم [قولهم] ^(١) : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كتبنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عز وجل فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهره ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه ^(٢) ربه على ما أظهر من معصيته إياه بركة السجود لآدم ، فأصر على معصيته ، وأقام على غيه ^(٣) وطغيانه - لعنه الله - فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزن الجنة فقال له جل جلاله : ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ ، يعني من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۗ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٤) ، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن ^(٥) الله عز وجل حيثنذ آدم جنته ؛ كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الحمدي أني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لُعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشياً ^(٦) ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعده خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ^(٧) ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم تخلقت ؟ قالت :

(١) تكلمة من أ

(٢) ط : «وعاتبه» ؛ وما أثبت عن أ

(٣) س : «عيبه» .

(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥

(٥) ط : «فأسكن» ، وما أثبت عن أ

(٦) كذا في أ ، س ، وفي ط والتفسير : «وحشاً» .

(٧) ر والتفسير : «من أنت ؟» .

لتسكن^(١) إلى ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حتى ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٣) ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله تعالى من معاقبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٤) ، قال : ثم ألقى السنة على آدم - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم - عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضِلَعًا من أضلاعه من شقه الأيسر ، وآلام مكانها لحمًا ، وآدم عليه السلام نائم لم يهت من نومه ، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعِهِ تلك زوجة حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها ، فلما زوجه الله عز وجل وجعل له سكنًا من نفسه ، قال له قِبَلًا^(٥) : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى^(٦) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد^(٧) في قوله عز وجل : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا

١٠٣/١

(١) ر : « تسكن » .

(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والمغرب في التفسير ١ : ٥١٣ .

(٣) هو سلمة بن الفضل .

(٤) سورة البقرة ٣٣ ؛ وفي الأصول : إلى (إنك أنت العليم الحكيم) ؛ وهو من الآية

التي قبلها .

(٥) قبل ، أي عيانا ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .

(٦) هو عيسى بن ميمون .

(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا»^(١). قال : حواء من قُصِيرَى^(٢) آدم ، وهونائِم فاستيقظ فقال :
«أنا» بالنَّبْطِيَّة ، امرأة .

حدثنا المنثى^(٣) ، قال : حدثنا أبو حذيفة^(٤) ، قال : حدثنا شبيل^(٥) ،
عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا
سعيد^(٦) ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حواء ، خلقت من
آدم من ضِلَعٍ من أضلاعه .

-
- (١) سورة النساء ١ .
(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .
(٣) المنثى بن إبراهيم الأمل .
(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود المنثى) .
(٥) شبيل بن عباد الحل .
(٦) سعيد بن أبي عازبة .

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذي كان أعطاه من كرامته وشريف المتلة عنده، ومكّنه في جنته من رغد العيش وهنيئه، وما أزال ذلك عنه، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى تكد عيش أهل الأرض وعلاج الحرّاة والعمل بالمساحي والزراعة فيها .

فلما أسكن الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك ، ولينصي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة ، وحسن لهما معصية الله في ذلك ، حتى أكلا منها ؛ فبدت لهما من سوء آتئها ما كان مؤرّياً^(٢) عنهما منها .

١٠٤/١

فكان^(٣) وصول عدوّ الله إبليس إلى تزوين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدّثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما قال الله عزّ وجلّ لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) س : « متوارياً » .

(٣) أ : « وكان » .

فمنه الخبزنة، فأتى الحية، وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها، فمرت الحية على الخبزنة [فدخلت] ^(١) وهم لا يعلمون، لِمَا أراد الله عز وجل من الأمر، فكلّمه من فمها ولم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ^(٢)، يقول: هل أذك على شجرة إن أكلت منها كنت مسلِكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا ^(٣) من الخالدين فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدى ^(٤) لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتكت ^(٥) لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظنفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت، فلم يضرني، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطفقا بخُصُفان عليهما من ورق الجنة ^(٦).

١٠٥/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس اليماني، عن ابن عباس، قال: إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض: أيها ^(٧) تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجه، فكلّ الدواب أبي ذلك عليه، حتى كلّم الحية، فقال لها: أمتك من بني آدم، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابيين من أنيابها ثم دخلت به، فكلّمهما من فمها ^(٨) وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها، قال: يقول ابن عباس: اقتلوا حيث وجدتموها، وأخفروا ذمة عدو الله فيها ^(٩).

(١) تكلت من

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) ا، س، ن، «أو تكون».

(٤) ا، ن، والتفسير: «بذلك ليدي» س؛ «ذلك ليدي».

(٥) س: «هتكت».

(٦) الخبر في التفسير ١: ٥٢٧.

(٧) س، ن: «أنها تحمله».

(٨) أ والتفسير: «من فمها».

(٩) الخبر في التفسير ١: ٥٣٠.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ^(١) ، قال : أخبرنا
 عمر بن عبد الرحمن بن مَهْرَب ^(٢) ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول :
 لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة
 غصونُها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة نخلدهم ، ^(٣)
 وهى الثرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يسترتهما دخل
 فى جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُحَيَّةٌ من أحسن دابة
 خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ
 من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال :
 انظرى إلى هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها !
 فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه
 الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ،
 فبذت لهما سواتهما ، فلدخل آدم فى جوف الشجرة ، فناداه ربُّه : يا آدم ،
 أين أنت ؟ قال : أنا هذا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك
 يا رب ، قال : ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكا !
 قال : ولم يكن فى الجنة ولا فى الأرض شجرة كانت أفضل من الطلع والسدر .
 ثم قال : يا حواء ، أنت التى غررتِ عبدى ، فإنك لا تحمليين حملاً إلا
 حملته كرهاً ، فإذا أردت أن تضعي ما فى بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال
 للحية : أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة
 حتى تتحول قوائمك فى بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوة
 بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث
 لقيك شدّخ رأسك ^(٤) .

(١) هو عبد الرزاق بن همام . (٢) فى ط : « معمر بن عبد الرحمن بن مهران »
 وصوابه ما أثبتته من أ ؛ وهو يوافق ما فى التفسير .
 (٣) كذا فى التفسير ؛ وفى ط : « بخلدهم » .
 (٤) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب^(١) : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، ١٠٧/١
قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : سئى
الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً
حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلتم حواء ، وسوس
إلى آدم فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٢)
قال : قطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما ،
﴿ وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا أَعَدُّ وَمُبِينٌ ﴾^(٣) لم أكلتها
وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء ، قال لحواء : لم أطعمتي ؟ قالت :
أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ !
أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدُميين في كل هلال ، وأما أنت
يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من
لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٤) .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي
جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة
في صورة دابة ذات قوائم ، فكان يُرى أنه البعير ، قال : فلحن ، فسقطت
قوائمه فصار حية^(٤) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن

(١) التفسير : « قال عمر قيل لوهب ... »

(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٣) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

أبيه ، عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية ؛ قال : إن من الإبل ما كان أولها من الجن . قال : فأبيحت له الجنة كلها - يعني آدم - إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نهيتهما عن شيء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^(٢) . قال : فبدأت^(٣) حواء فأكلت منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، من أكل منها أحدث ، قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث^(٤) ، قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾^(٥) ، قال : فأخرج آدم من الجنة^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال : لو أنا خُلدنا^(٧) ! فاعتز فيها من الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قبيل الخلد^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدَّثْتُ^(٩) أن أول ما ابتدأهما به من كيدِه لِيَاهُمَا أَنَّهُ نَاحَ عَلَيْهِمَا نِيَاحَةَ أَحْرَزْتَهُمَا^(١٠) حين سمعاها ، فقالا له : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : أبكى عليكما ،

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(٣) كذا في الأصول ، وفي التفسير : «بدأت» .

(٤) ن : «شيء من الحدث» .

(٥) سورة البقرة ٣٦

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٧) كذا في ط ؛ وفي ا ، س ، ن : «لو أن خلدنا» ، وفي التفسير : «لو أن

خلدنا كان» .

(٨) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٩) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩

(١٠) ا ، س «حزنتهما» .

تموتان فتفارقان ما أنثا فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلتك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : ﴿ مَا تَهَابَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّا لَئِنِ النَّاصِحِينَ ﴾ ، ١٠٩/١
 أى تكونان ملكين أو تغلبان ، أى إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان^(١)
 يقول الله عز وجل : ﴿ فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ .

حدثني يونس^(٢) ، قال أخبرنا ابن وهب^(٣) ، قال : قال ابن زيد^(٤) في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها في عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا : إلا أن تأتي ها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلا أن تأكل من هذه الشجرة ، قال : فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربّه : يا آدم ، أمنتى تفرّ؟ قال : لا ياربّ ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ، أتى أتيت؟ قال : من قبل حواء ياربّ ، فقال الله عز وجل : فإن لها على أن أدميتها في كل شهر مرة ، كما أدمت^(٥) هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفية ، وقد كنت خلقتنها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، وقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً . قال ابن زيد : ولولا البليّة التي أصابت حواء لكان نساء أهل الدنيا لا يحضنّ ، ولكنّ حلمات ، ولكنّ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٧) ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قيس ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقتنه

(١) في التفسير : « أى تكونا ملكين أو تغلبا إن لم تكونا ملكين » .

(٢) يونس بن عبد الأهل .

(٣) هو عبد الله

(٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم .

(٥) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩ .

(٦) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

(٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكر قادته إليها ، فأكل منها^(١) . فلما وقع آدم^(٢) وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعلوهما إبليس والحية إلى الأرض ، فقال لهم ربهم : اهبطوا بعضكم لبعض عدو .

• • •

وكالذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي ، عن إسرائيل^(٣) عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾^(٤) ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية .^(٥)

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالوا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، فلمن الحية فقطع قوائمها ، وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٦) .

(١) الخبر إل هنا في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .

(٤) سورة البقرة ٣٦ .

(٥) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٦ .

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجته فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه.

• • •

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك :

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا علي بن معبد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل عن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن سعد بن عبادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن في الجمعة خمس خلال : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه الله إياه ، ما لم يسأل إثمًا أو قطيعة ، وفيه : تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب . ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريب ؛ إلا مشفق من يوم الجمعة » .

حدثني محمد بن بشار ومحمد بن معمر ، قالا : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ؛ عن أبي ثبابة بن عبد المنذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر ؛ وفيه خمس خلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبطه فيه إلى الأرض ، وفيه توفى الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً . وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ، أن تقوم فيه الساعة » . واللفظ لحديث ابن بشار .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زهير
ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن
سعيد بن سعد بن عباد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عباد ، أن
رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم
الجمعة ، ماذا^(١) فيه من الخير؟ فقال : « فيه خلق آدم ، وفيه أهبط آدم ،
وفيه توفى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه^(٢) الله إياه ، ما لم
يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا
أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنّ يشفقن من يوم الجمعة » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا
أبو زُرْعَةَ ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ،
أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت
الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منها » .

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي
الزناد ، عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الأيام يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل
الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة » .

١١٣/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، قال : حدثنا
الليث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، أنه
قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم
تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أخرج من الجنة ،
وفيه أعيد فيها » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن
زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن القُرَظَعِ الضَّبِّيِّ — وكان القرظع

(١) : « ما روى فيه » .

(٢) : « آتاه الله » .

من القراء الأولين - قال : قال سلمان : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، يقوفا ثلاثاً :
« يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جمّع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثني محمد بن عُمارة الأَسديّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى
قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، أنه سمع أبا هريرة ١١٤/١
يحدث أنه سمع كعباً يقول : خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه
خُلِقَ آدم عليه السلام ، وفيه دخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة .

حدثني الحسين بن يزيد الأَدَميّ^(١) ، قال : حدثنا رُوّح بن عبادة ،
قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ،
قال : إنّ أولَ يومٍ طلعت فيه شمس يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام : فيه
خلق الله تعالى ذكره آدم ، خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى
الله تعالى عليه الحمد ، فقال الله : يرحمك ربك .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبي كُدَيْسَةَ ،
عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القَرْنَع ، عن
سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟
هو يوم جمّع فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبي الأحوص ،
عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة^(٢) ، قال : قال سلمان . قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » مرتين أو
ثلاثاً ، قال : « هو اليوم الذي جمّع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمّع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا
قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القَرْنَع ، عن سلمان ، قال : قال

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدي » ؛ ولم يقع لي وجه الصواب
فيها لدى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما الجمعة ^(١) » ؟ أو قال : كذا ،
« فيها جمع أبوكم آدم » .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول :
أخبرنا أبو حمزة ^(٢) ، عن منصور ^(٣) ، عن إبراهيم ^(٤) ، عن القرظي ^(٥) ،
عن سلمان ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم
الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

١١٥/١

توبة

-
- (١) كذا في ١ ، وفي ط : « ما يوم الجمعة » .
(٢) محمد بن سيمون أبو حمزة السكري .
(٣) منصور بن المعتمر .
(٤) إبراهيم النخعي .
(٥) القرظي الفهري .

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

اختلف في ذلك، فروى عن عبد الله بن سلام وغيره في ذلك ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه^(١) الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة - [يقللها] -^(٢) لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا آتاه الله إياه»، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٣).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسد بن عمرو، عن محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وذكر فيه كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، قال: قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم [الجمعة]^(٤)؛ خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس.

(١) ن: « عليه ».

(٢) تكله من ا، والتفسير، وفي ابن كثير: « يقبض أصابعه يقللها ».

(٣) سورة الأنبياء ٣٧، والمهبر في التفسير ١٧، ٢١ (بولاق). وتفسير ابن كثير ٣: ١٧٩.

(٤) تكله من ا، م.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ^(١) ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خلق بعد كل شيء ، ثم ذكره نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : استعجل بخلقه ، قد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين - يريد يوم الجمعة - وخلقه على عَجَلَةٍ ^(١) وجعله عجولا .

• • •

وقد زعم بعضهم أن الله عزّ وجلّ أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضَّتَا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مَضَيْنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مَضَيْنَ من ذلك اليوم ، فكان مقدار مَكْتُمَتَا في الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

• ذكر من قال ذلك :

١١٧/١

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروزيّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبي العالية ، قال : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ؛ لخمسَةِ أيام مَضَيْنَ من تَيْسَان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .

(٢) ١ : «عجل» .

ما [هى] ^(١) به اليوم؛ فلم يبعد قوله من الصواب في ذلك؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم، بأن آدم خُلِقَ في آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا. فعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خَمَّرَ ربنا عزَّ وجلَّ طينته بوقبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً؛ وذلك لا شك أنه عَتَى به من أعوامنا وسنيننا، ثم [من] ^(١) بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره، وأُسكن الفردوس، وأهبط إلى الأرض - غير مستنكر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة. فإن كان أراد أنه أُسكن الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا، فقد قال غير الحق، وذلك أن جميع مَنْ حَفِظَ له قول في ذلك من أهل العلم؛ فإنه كان يقول إن آدم نفخ فيه الروح في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه، وفيه أهبطه إلى الأرض. فإن ^(٣) كان ذلك صحيحاً، فعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التي اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا، إنما هي ساعة بعد مَضَى إحدى عشرة ساعة، وذلك ساعة من اثنتى عشرة ساعة، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا؛ فأدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك؛ إنما خُلِقَ لمضى إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التي اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا، فكث جسداً ملقى لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا. ثم نفخ فيه الروح. فكان مكثه في السماء بعد ذلك ومقامه في الجنة؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الخلق.

(١) تكله من أ

(٢) في الأصول: « منه ».

(٣) ١: « فإذ ».

وقد حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال :
حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ،
قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر ،
فأنزل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو
خمسمائة سنة ، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة
مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عز وجل أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه -
وذلك يوم الجمعة - من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم - فيما قال علماء سلف
أمة نبينا صلى الله عليه وسلم - بالهند .
• ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :
أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، وكان
مهبطه بأرض الهند .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا
عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما
أهبط الله تعالى آدم أهبطه بدهنا أرض الهند .

حدثت عن حمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : أهبط آدم إلى الهند .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن
سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أطيب أرض في الأرض ريحا أرض
الهند ، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ربح الجنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن
محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم
بالهند ، وحواء بجدة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا^(١) ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك

(١) ن : « جمعا » ، س : « جسمها » .

سميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجمْع
فلذلك سميت جمْعاً . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بَوُذ .

حدثنا أبو همام^(١) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ،
عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس
أنَّ آدمَ نزل حين نزل بالهند .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وأما
أهلُ التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم^(٢) ، عند
واد يقال له بهيل^(٣) بين الدَّهْنَجِ والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا :
وأهبطت حواء بجُدَّة من أرض مكة .

١٢١/١

وقال آخرون : بل أهبط آدم بَسْرَنْدَيْب ، على جبل يدعى بَوُذ، وحواء
بجُدَّة من أرض مكة ، وإبليس بمَيْسَانَ^(٤) ، والحية بأصْبَهَانَ . وقد قيل : أهبطت
الحية بالبريَّة ، وإبليس بساحل بحر الأُبُلَّة^(٥) .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يحيى مجيء الحجة ، ولا يُعلم خبراً
في ذلك ورد كذلك ؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك
مما لا يدفع صحته علماء^(٦) الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت
بأخبار بعض هؤلاء

وذُكِرَ أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذرّوته من أقرب ذرّاً
جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه
في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسييحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبو همام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : « جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند » .

(٣) ر : « نهيل » .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان

٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلّة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطئ دجلة بالبصرة . معجم

البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِصَ من طول آدم لذلك .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوَّارِ بْنِ عَطَاءٍ ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاً في الأرض ، ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شككت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكى ذلك إلى الله عز وجل في دعائه وفي صلاته ، فوجه إلى مكة فصار (١) موضع قدمه قرية ، وخطوته (٢) مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ (٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر (٤) ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِصَ إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنني أهبط لك (٥) بيتاً تطوف به كما يُطَاف حول عرشي ، وتصلني عنده كما يصلني عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومد له في خطوه ، فكان بين كل خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز (٦) بعد ذلك ، فأنى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومن بعده [من] (٧) الأنبياء .

(١) أ : « فكان » .

(٢) أ : « وخطوه » .

(٣) سورة الحج ٢٦ (٤) معمر بن راشد البحراني .

(٥) ن : « اليك » .

(٦) س : « المفازة » .

(٧) تكلمة من أ ، ن .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطَّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربّ ، كنتُ جارَكَ في دارك ؛ ليس لي ربّ غيرك ، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة ، وأراهم كيف يحفون بعرشك ، وأجد ريح الجنة وطيبها ، ثم أهبطتني إلى الأرض ، وحطتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوت والنظر ، وذهب عني ريح الجنة . فأجابه الله عزّ وجلّ : لمعصيتك^(١) يا آدم فعلت ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرَى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ، ونسجه هو وحواء ، فنسج آدم جبّة لنفسه ، وجعل لحواء درعاً وخياماً ، فلبسا ذلك ، وأوحى^(٢) الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بمجال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حفّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهناك أستجيب لك ولولدك ؛ من كان مهتم في طاعتي ، فقال آدم : أي ربّ ، فكيف لي بذلك ، لست أقوى عليه ولا اهتدي له ! فقيّض الله له ملكاً ، فانطلق به نحو مكة ، فكان آدم إذا مرّ بروضة^(٣) ومكان يُعجبه قال للملك : انزل بنا ها هنا ، فيقول له الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كل مكان نزل به صار عمراناً ، وكل مكان تعدّاه صار مفاوزاً وقفاراً ، فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والحدودي ، وبنى قواعده من حِراء ، فلما فرغ من بناؤه خرج به الملك إلى عرفات ؛ فأراه المناسك كلّها التي تفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة ؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،^(٤) ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بوذ^(٥) .

(١) س ، وابن الأثير ١ : ٢٣ (فيما نقل عن الطبري) : « بمعصيتك » .

(٢) ط : « فأوحى » وما أثبت من أ .

(٣) أ : « مروضة » .

(٤) ر : « أسبوعاً سبعا » .

(٥) كذا ورد في الأصول ؛ وفي معجم البلدان : « نوذ » ، بالفتح ثم السكون وذال معجبة :

جبل بمرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام ، وهو أغصب جبل في الأرض ؛ ويقال : أمرع في =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يعجبٍ بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجَّ منها أربعين حجةً على رجله ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب ؟ قال : فأى شيء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليلبغ السماء ، فاشتكت الملائكة نَفْسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ؛ فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

حدثني صالح بن حرب أبو معمر مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثمامة بن عبيدة السلمى ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول : إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند^(١) : أن حجَّ هذا البيت . فحجَّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَيْهِ مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلها ، ثم أراد الرجوع إلى بلاد الهند فضى ، حتى إذا كان بمأزَمَى عرفات ؛ تلقته الملائكة ؛ فقالوا : برَّ حجَّك يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا : يا آدم ، إنا قد حجَّجنا هذا البيت قبل أن تُخلقَ بألى سنة ، قال : فتفاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة ، فلما صار إلى الأرض ، ويس الإكليل ؛ تحاتَّ ورقه فنبت^(١) منه أنواع الطيب .

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلتا يخرصان عليهما من ورق الجنة ، فلما يبس ذلك الورق الذى خرصناه عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواع الطيب . والله أعلم .

• • •

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نوذ . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ « نوذ ؛ يضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة » ؛ وفى س : « قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجليل أن اسمه نوذ ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالياء ؛ وهو بوذ . »

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأمدى ، وذائع مولى ابن عمر . (٢) ١ : « فنبتت . »

وقال آخرون : [بل]^(١) لما علم آدم أن الله عز وجل مهبطه إلى الأرض ، جعل لا يمر بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحات ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ - حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القم قال : قال [لى]^(١) مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس ، أن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمر بشيء إلا عبث به ، فقيل للملائكة : دعوه فليترود منها ما شاء ، فنزل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذى يجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

• • •

• ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة لإكليل من شجر الجنة :

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٢) ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو لإكليل من شجر الجنة ، قال : فأهبط إلى الهند ، ومنه كل طيب بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه - يعنى على الجبل الذى هبط عليه - ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثه فى ذلك الجبل ، فنه كان أصل الطيب كله ، وكل فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

(٢) أبو جعفر الرازى التميمى .

(١) من ١ .

وقال آخرون : بل زوده الله من ثمار الجنة ، فمارنا هذه من تلك الثمار .
 • ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ^(١) ومحمد بن جعفر ، عن عوف ^(٢) ، عن قسامة بن زهير ، عن الأشعري ^(٣) ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

• ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها علق بأشجارها طيب ريحه :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريح الجنة ، فعلق بشجرها وأوديتها وامتلاً ما هنالك طيباً ، فنمّ يؤتى بالطيب من ريح الجنة .
 وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومربّ ولبان ^(٤) ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاء والمطرقة والكلبتان ^(٥) ، فنظر آدم

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابي (٣) هو أبو موسى الأشعري .
 (٤) المر : صمغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللبان : هو الملك الذي يعضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر في مواضع المقر اللبان فيجتنى . المعتد في الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .
 (٥) العلاء : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمطرقة : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرق بها . والكلبتان : ما يأخذ به الحداد الحديد الحمى .

حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسِر أشجاراً قد عتقت وييسر بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أول شيء ضربه مُدَيَّة ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنور ، وهو الذي ورثه نوح ، وهو الذي فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فنمَّ صلح ، وأورث ولده الصلح ونفرت من طوله دواب البر ، فصارت وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحط من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التي زوّد الله عز وجل آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً ؛ عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى ، وعشرة لا قشور لها ولا نوى . فأما التي في القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفسق ، والبندق ، والخشخاش ، والبَلُوط ، والشاهلوط ، والرابع ، والرمان ، والموز . وأما التي لها نوى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجاص ، والرطب ، والغيراء ، والنبق ، والزعرور ، والعتاب ، والمقل ، والشاهلوج . وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتفاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والعتب ، والتوت ، والتين ، والأترج ، والخرنوب ، والخيار ، والبطيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة ؛ وقيل : إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربه ، فبعث الله إليه مع جبرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها في يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذي أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره في الأرض ففعل ، فأنبته الله عز وجل من ساعته ، فجرت سنة في ولده البشر في الأرض ، ثم أمره فحصدته ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يندريه ، ثم أتاه بمحجرين فوضع أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً^(١) ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد ففدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلَّةَ .

• • •

وهذا [القول]^(٢) الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المثنى بن إبراهيم حدثنى أن إسحاق^(٣) حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمار ، عن المهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يُلصقان^(٤) بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة^(٥) فناداه : يا آدم ، أمنى تفر؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يا رب ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأباحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ! قال : بلى يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال — وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّ لَكِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٦) — قال : فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّاً . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَغداً ، فأهبط إلى غير رَغد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمير بالحراث فحراث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ^(٧) .

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الجمر من الخبز .

(٢) تكله من ا .

(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .

(٤) ا : « يلصقان » .

(٥) س : « فى الجنة » .

(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبز فى التفسير ١٢ : ٣٥٢ - ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد^(١) ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ؛ فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أوّل بالصواب ، وأشبّه بما دلّ عليه كتاب ربنا عز وجل ، وذلك أن الله عز ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنهي عن طاعة عدوّهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى • إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى • وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾^(٢) ، فكان معلوماً أن الشقاء الذي أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوّه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزِيل الجوع والعُرَى عنه ؛ وذلك هي الأسباب التي بها يتصل أولاده إلى الغذاء ، من حرارة وبلر وعلاج وسقى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جبرئيل أتاه بالغذاء الذي يصل إليه بيّئته دون سائر المئون غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذي توعدّه به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب^(٣) ، ولكن الأمر^(٤) كان - والله أعلم - على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

١٣٠/١

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السنّان ، والكلبتان ، والميقعة^(٥) ، والمطرقة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين^(٦) ، عن عليّ بن أحمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السنّان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة .

(١) هو يعقوب القمي ، روى عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، وأنظر ص ٤٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة طه ١١٧ - ١١٩ . (٣) س : « حظ » .

(٤) كذلك في أ ، وفي ط : « لأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يذق عليها .

(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذي أهبطه عليه إلى سفحه ، وملكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهايم والدوابّ والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطها ، ولم ير فيها أحداً غيره ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامراً يسبّجك غيري !

فأجيب بما حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد ابن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدم لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامر يسبّج بحمدك ويقدم لك غيري ! قال الله : إني سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبّج بحمدى ويقدمنى ، وسأجعل فيها بيتاً تُرفع لذكرى ، ويسبّح فيها خلقي ، ويُذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أحصه بكرامتى ، وأوثره باسمي ، وأسميه بيتي ، أنطقه بعظمتي ، وعليه وضعتُ جلالى . ثم أنا مع ذلك فى كلِّ شيء ومع كلِّ شيء ؛ أ جعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخفّر (١) ذمتي ، وأباح حرمتي (٢) . أ جعله أول بيت وُضع للناس بطن مكة مباركاً ، يأتونه شعثاً غيراً على كلِّ ضامر ، من كلِّ فج عميق ، يرجون بالتلبية رجياً ، ويشجون بالبكاء نجياً ، ويعجون بالتكبير عجباً ، فمن اعتمده ولا يريد (٣) غيره فقد وفد إلى وزارنى وضافنى (٤) ، وحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يسعف كلاًّ بحاجته . تعمره يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام — فيما ذكر — أن يأتى البيت الحرام الذى أهبط

(١) أخفر الذمة ، أى نقضها .

(٢) فى ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتى » .

(٣) أ : « لا يريد » .

(٤) ضافنى ، أى نزل بى ضيفاً ، وفى ك : « فقد وفى لى وزاد فى ضيافى » .

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوتة واحدة أو درة واحدة ؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر^(١) ، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوتة واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه ، فبوأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرت الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل .

١٣٢/١

* * *

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاءؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عز وجل قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال في مسأله إياه : ما سألت من ذلك ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية^(٢) ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى^(٣) ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾^(٤) قال : أى رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسكنني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجمي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ .

حدثني بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا رب : أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ! قال : إذا أرجعك^(٥) إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس^(٧) ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل :

(١) مصر بن راشد .

(٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ١ : « أراجعك » . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثوري وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود^(١) ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما - يعنى من نعيم الجنة - مائتى سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بؤذ؛ الجبل الذى أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة .

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت؛ قال : قال لى مجاهد ، ونحن جلوس فى المسجد: هل ترى هذا؟ قلت: يا أبا الحجاج ، الحجر؟ قال : كذلك تقول؟ قلت : أو ليس حجراً ! قال : فوالله لحدثني عبدُ الله بن عباس أنها يا قوتة بياض ، خرج بها آدم من الجنة ، كان يمسح بها دموعه ، [و]^(٢) أن آدم لم ترقأ دموعه^(٣) منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفتى سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، فمن أى شيء اسود؟ قال : كان الخبيث يلمسُته فى الجاهلية . فخرج آدم عليه السلام من الهند يؤم البيت الذى أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه ، حتى أتاه ، فطاف به ، ونسك المناسك ، فذكر أنه التقي هو وحواء بعرفات ، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذتا مغارة يأويان إليها فى ليلتهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يُعلمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . وقال بعضهم : إنما كان ذلك لباس أولادهما ، فأما آدم وحواء فإن لباسهما كان ما كانا خصصنا على أنفسهما من ورق الجنة . ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بينَ عَمَمان من عرفة ، وأخرج

(١) : ١ : « أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود » .

(٢) من ١

(٣) رقا الدمع : جف ، وق ١ : « لم ترقأ عينه » .

ذريته ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ١٣٤/١
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي
 آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ .

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا الحسين بن
 محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد
 ابن جبّير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله
 الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية
 ذرأها ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، ثم كلمهم قبلاً^(٢) ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ إِنَّا كُنَّا بِهَذَا غَافِلِينَ ﴾ ۱﴾ .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ،
 قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله :
 ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كل
 نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذه - وأشار بيده - فأخذ مواثيقهم ،
 وأشهدهم على أنفسهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ ۗ ۱^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن علية ،
 عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل :
 ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ
 أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كل نسمة
 هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ شَهِدْنَا ، واللفظ لحديث يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عيسى ، عن عطاء ،

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلاً ، أي عياناً ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤ .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٣ .

عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط فسبح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، ثم تلى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ؛ فجفت القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس [في] (١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، قال : لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنني ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره يمينه واستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ قال : « إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة] (٢) فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار » (٣) .

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدحنا .

(١) تكملة من ١

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٢٢٣

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام^(١) ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . قال : لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره بدحنا^(٢) فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فيرون يومئذ ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣) .

• • •

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الدرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الدرّ سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمن » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاء طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيّة^(٤) .

١٣٧/١

(١) حكام بن مسلم . (٢) بمعجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه

ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قَيْن بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قايين ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] ^(١) قايين . ويقول بعضهم : هو قابيل . واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قتله :

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان ^(٢) لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن [الآخر] ^(٣) ويزوج جارية هذا البطن غلامَ هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى . وإنهما قريباً قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان

١٣٨/١

(١) تكملة من ١ .

(٢) التفسير : « فكان » .

(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لي بيتاً بمكة فاته ، فقال آدم للسماء : احفظي ولديّ بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقابيل ، فقال^(١) : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قريباً قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحقّ بها منك هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصيُّ والدي ، فلما قرباً ، قرب هايل جدّ عة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هايل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي ، فقال هايل :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • لَنْ بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِي ﴾^(٢) ، فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رموس الجبال ، فاتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحضر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٣) ، فهو قوله عز وجل : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٤) . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ - إلى آخر الآية - ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٥) .
يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله^(٦) .

١٣٩/١

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته عن التفسير .

(٢) سورة المائدة ٢٧ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

(٤) الحجر في التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب في ذلك أن آدم كان يولد له من حواء في كل بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوج منه [ولده] ^(١) الأنثى التي وُلدت مع أخيه الذي ولد في البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قابيل بتوأمته عن هابيل .

كما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جبّير أرمي الحمرة ، وهو متقنّع متوكّي على يدي ؛ حتى إذا وازينا ^(٢) بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدثني عن ابن عباس ، قال : نهيت أن تنكح المرأة أخاها توأمها ، وينكحها غيره من إختوها ، وكان يولد في كل بطن رجل وامرأة ، فولدت امرأة وسيمة وولدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي ، قال : لا ، أنا أحق بأختي ، فقربا قرباناً فتقبّل من صاحب الكباش ، ولم يتقبّل من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكباش محبوباً عند الله عز وجل حتى أخرجه في فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصفا ، في ثبير ، عند منزل سمرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترمي الجمار . ^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء في الجنة قبل أن نصيب الخطيئة ، فحملت له بقيس بن آدم وتوأمته ، فلم تجد عليهما وحمًا ولا وصبًا ، ولم تجد عليهما طلقًا حين ولدتهما ، ولم تر معهما دمًا لظهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشأها ، فحملت بهابيل وتوأمته ، فوجدت عليهما الوحم والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلق ^(٤) ورأت معهما الدم ، وكانت حواء —

(١) تكلمة من أ

(٢) ا ، ر ، س ، ن : « وازينا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون— لا تحمّل إلا توعماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه^(١) من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أى أخواته شاء تزوج^(٢) إلا توعمته التى تولد معه^(٣) ، فإنها لا تحلّ له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول^(٤) أن آدم أمر ابنه قيناً^(٥) أن ينكح توعمته هايبيل ، وأمر هايبيل أن ينكح أخته توعمته قينا ، فسلم لذلك هايبيل ورضى ، وأبى ذلك قين وكره تكررماً عن أخت هايبيل ، ورغب بأخته عن هايبيل ، وقال ، نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى — ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه — والله أعلم أى ذلك كان — فقال له أبوه : يا بنى إنما لا تحلّ لك ، فأبى قين أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنى ، فقرب قرباناً ، ويقرب أخوك هايبيل قرباناً ، فأبى كما قبيل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قين على بندر الأرض ، وكان هايبيل على رعاية الماشية ، فقرب قين قمحاً ، وقرب هايبيل أبقاراً من أبقار غنمته — وبعضهم يقول : قرب بقرة — فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هايبيل وتركت قربان قين^(٦) . وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ؛ فلما قبل الله قربان هايبيل — وكان في ذلك القضاء له بأخت قين — غضب قين ، وغلب عليه الكبير واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هايبيل ، وهو في ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ يعنى أهل الكتاب ﴿ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .

(٢) في ط : « يتزوج » ، وأثبت ما في واين الأثير ١ : ٢٥ .

(٣) في ط : « ولدت » ، وأثبت ما في واين الأثير .

(٤) في جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبتته من التفسير .

(٥) في التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد في باقى الخبر .

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا (١) إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سَقِطَ في يديه ، ولم يدرك كيف يُؤاربه ، وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أولَ قَتِيلٍ من بني آدم : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَبْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (١)

قال : ويزعم أهل التوراة أن قيناً (٢) حين قتل أخاه هايل ، قال الله له : أين أخوك هايل ؟ قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيباً ؛ فقال الله له : إن صوت دم أخيك لسيناديني من الأرض ! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهاً ، فتلقّت دم أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض ، فلنّها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فرعاً تائهاً في الأرض ، فقال قين : عظمت خطيئتي من أن تغفرها ، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى] (٣) من قدامك ، وأكون فرعاً تائهاً في الأرض ، وكل من أقيتني ؛ قتلني . فقال الله عز وجل : ليس ذلك كذلك ؛ فلا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة ، ولكن من قتل قيناً يجزى سبعة ، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجده ، وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة (٤) .

• • •

وقال آخرون في ذلك : إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عز وجل أمرهما بتقريب قربان ، فتقبّل قربان أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، فبغاه الذي لم يتقبّل قربانه فقتله .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

(١) سورة المائدة ٢٧ - ٣٢

(٢) في التفسير : « قاييل » .

(٣) تكلمة من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنها أميرا أن يقربا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قَرَّبَ أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قَرَّبَ ، شرَّ حرثه : الكوزر^(١) والزَّوَان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزَّ وجلَّ تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قصَّ الله في كتابه وقال : إيمُّ الله ، إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّج أن ينسب^(٢) إلى أخيه^(٣) .

١٤٣/١

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قَرَّبَ قرباناً فرضيَّه الله عزَّ وجلَّ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حرثاً ، وإن صاحب الغنم قَرَّبَ خيرَ غنمِهِ وأسمها ، وقرب الآخر بعض زرعهِ ، فجاءت النار فنزلت [بينهما]^(٤) فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى في الناس ، وقد علموا أنك قَرَّبْتَ قرباناً فتقبل منك وردَّ عليَّ قرباني ! فلا والله لا ينظر الناس إلى وإليك وأنت خير مني ، فقال : لأقتلنك ، فقال له أخوه : ما ذنبي ! إنما يتقبل الله من المتقين^(٥) .

* * *

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم ، ولا كان القربان

(١) ط : « الكوزر » ، وفي التفسير : « الكوزن » ، وأثبت ما في ا ، ر ، ك .

(٢) في ط والتفسير : « ييسط » ، وأثبت ما في ا .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٢ .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٢ .

(٥) تكلمة من ا والتفسير .

في عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل ، وقالوا : إن أول ميّت مات في الأرض آدم عليه السلام ، لم يمّت قبله أحد .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عزّ وجلّ . ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات ^(١) .

• • •

وقال بعضهم : إن آدم غشيّ حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قابيل وتوهمته قليما في بطن واحد ، ثم هاويل وتوهمته في بطن واحد ، فلما شبوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن واحد من هاويل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقرّبا بهذا السبب قربانا فتقبّل قربان هاويل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حيرى ^(٢) ثم نزل قابيل من الجبل ، أخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل قابيل أخاه هاويل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بوذ إلى الخضيض ، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا في ١ ، ك ، وفي ط : « حراء » .

يا أبناه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى: ويل لي!
 قتلت أبي برميته، وقتلت ابني بلطمتي!
 وذكر في التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة، وأن قابيل كان له يوم
 قتله خمس وعشرون سنة.

• • •

والصحيح من القول عندنا أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قتل
 أخاه من ابني آدم هو ابن آدم لصلبه، لنقل الحجّة أن ذلك كذلك، وأن
 هناد بن السريّ حدثنا، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش.
 ١٤٥/١ — وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير. وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا
 جرير وأبو معاوية عن الأعمش — عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن
 عبد الله^(١)، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من نفس تُقتل ظلماً إلا
 كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ منها»، وذلك لأنه أول من سنّ القتل.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ — وحدثنا
 ابن وكيع قال: حدثنا أبي — جميعاً عن سفیان^(٢)، عن الأعمش، عن
 عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه
 وسلم نحوه^(٣).

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحة قول من قال:
 إن اللذين قصّ الله في كتابه قصتهما من ابني آدم كانا ابنيّه لصلبه؛ لأنه لاشكّ
 أنهما لو كانا من بني إسرائيل — كما روي عن الحسن — لم يكن الذي وُصف
 منهما بأنه قتل أخاه أوّل من سنّ القتل، إذ كان القتل في بني آدم قد كان
 قبل إسرائيل وولده.

• • •

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه، وأن لم يكونا من
 بني إسرائيل؟

(١) مسروق بن الأجدع، روى عن عبد الله بن مسعود. (٢) سفیان الثوري.

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢١٤.

قيل : لا خلاف بين سلف علماء أمتنا في ذلك ، إذا فسد قول من قال :
كانا من بني إسرائيل .

وذكر أن قاييل لما قتل أخاه هايل بكاه آدم عليه السلام فقال — فيما
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي
إسحاق الهمداني ، قال : قال ^(١) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لما قتل
ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١٤٦/١

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ ^(٢)
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَأَلْوَنٍ وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا هَائِيلَ قَدْ قَتَلَا جَمِيعًا وصار الحى كالميت الذبيح ^(٣)
وجاء بشيرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح ^(٤)

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم
قاييل وتوعمته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوعمته أمة المغيث .
وأما ابن إسحاق فذكر عنه ما قد ذكرت قبل ؛ وهو أن جميع ما ولدته
حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا
أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نساء ؛ منهم قين وتوعمته ، وهايل
وليودا ^(٥) وأشوث بنت آدم وتوعمها ، وشيث ^(٦) وتوعمته ، وحزورة وتوعمها ؛ على

(١) الخبير في التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلون » .

(٣) ا ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) في الآيات لقواد .

(٥) ن : « كيزدا » .

(٦) ا : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد^(١) بن آدم وتوعمته ، ثم بالغ^(٢) بن آدم وتوعمته ، ثم أثاني^(٣) بن آدم وتوعمته ، ثم توبة^(٤) بن آدم وتوعمته ، ثم بنان^(٥) ابن آدم وتوعمته ، ثم شوبة^(٦) بن آدم وتوعمته ، ثم حيان بن آدم وتوعمته ، ثم ضرابيس^(٧) بن آدم وتوعمته ، ثم هدز^(٨) بن آدم وتوعمته ، ثم يهود^(٩) بن آدم وتوعمته ، ثم سندل بن آدم وتوعمته ، ثم بارق بن آدم وتوعمته ، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحتمل به فيه .

• • •

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيو مرت هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدنا في كتابنا هذا ذكر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أننا ذاكره فيه ، ولم يكن ذكر اختلاف المختلفين في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعة الكتاب ، فإن ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا؛ ليعرفه من لم يكن به عارفاً؛ فأما ذكر الاختلاف في نسبة فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا .

• • •

وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته ، فزعم أن

(١) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « إباد » .

(٢) ك : « بالغ » .

(٣) ا : « أثات » ، ر : « إيائي » .

(٤) ر : « ثوبة » .

(٥) ا ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .

(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .

(٧) س : « صرابيس » .

(٨) ا : « هزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هدن » .

(٩) ا : « نهود » ، س : « يهود » ، ن : « يهود » .

جِيُومَرْت^(١) الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام وإنما هو جامر^(٢) بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمرًا سيِّدًا ، نزل جبل دُنْبَاوَنَد^(٣) من جبال طَبْرِسْتَان من أرض المشرق ، وتملك بها وبفارس ، ثم عظم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها ، وأن جِيُومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمرها ، وأعدَّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبَّر في آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : من سماني بغير هذا الاسم ضربت عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثرت منه نسله ، وأن ماري^(٤) ابنه وماريانه^(٥) أخته ، من كان ولد له في آخر عمره ، فأعجب بهما وقدماههما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكه اتسع وعظم .

١٤٨/١

وإنما ذكرت من أمر جِيُومَرْت في هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سباق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهريار من ولد ولده بَمَرُو - أبعده الله - أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سنى العالم على أعمار ملوكهم أسهل بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى^(٦) آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم^(٧) الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورعوس تحامى عنهم من ناوأمهم ، وتغالب بهم من عازَّهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيورت ، كذا كتب في الأصول ، بالجيم والتاء المثناة ، وكذا في الشاهنامه ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه وبعدها باء موحدة ، وبعده الألف وأو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دنباوند : جبل من قواحي الرى » . وفى س : « ديباوند » .

(٤) ك : « أمارى »

(٥) ر : « ماريانة » ، س : « مارييا » ، ك : « ماريانة » .

(٦) أ : « ينسون » .

(٧) أ : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام ، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم ، وغابهم عن سالفهم -
سواهم ، فالتاريخ على أعمار ملوكهم أصبح مخرجاً ، وأحسن وضوحاً .

• • •

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم عليه السلام وأعمار من كان بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك ، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جيوسرت ، وعلى قول من قال : إنه هو جيومرت أبو الفرس ، وذاكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها ، فاتفقوا على من ملك منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا .

١٤٩/١

• • •

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال : إن أول ميت كان في أول الأرض آدم ، وإنكاره الذين قص الله نياهما في قوله : ﴿ وَاتَّخَذَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَهُمَا قَرْبَانًا ﴾ (١) ، أن يكونا من صلب آدم من أجل ذلك .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي عليه السلام قال : « كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنزلت لئن عاش لها ولد لتسميته عبد الحارث ، فعاش لها ولد فسميته عبد الحارث ، وإنما كان ذلك عن وحى الشيطان (٢) » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم الله (٣) عز وجل وتسميهم : عبد الله ، وعبيد الله ، ونحو ذلك ،

(١) سورة المائدة ٢٧ .

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٩٠ .

(٣) ١ والتفسير : « الله » .

فيصيهم الموت ، فأثاها إبليس وآدم عليه السلام ؛ فقال : إنكما لو تسميانه
بغير الذى تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمياه عبد الحارث ؛ ففيه أنزل
الله عز ذكره ، يقول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؛
إلى قوله : ﴿ جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي
حفصة ، عن سعيد بن جبير : ﴿ فَلَمَّا أَثَقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا ﴾ إلى قوله :
﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) .

قال : ولما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليس قبل
أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا فى بطنك ؟ فقالت : ما أدرى من ؟ فقال :
أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدرى ،
قال : أرايت إن خرج سليماً أمطيعتى أنت فيما أمرك به ؟ قالت : نعم ، قال :
سميه عبد الحارث - وقد كان يسمى إبليس لعنه الله الحارث - فقالت : نعم ،
ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى : كذا وكذا ، فقال : إن
ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ، ثم أتاها إبليس
لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجها الله سليماً فسمته
عبد الحارث ، فهو قوله : ﴿ جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل ^(٤) ، عن
عبد الملك ^(٥) ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ
بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشرك ! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليس

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣٠٩

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣ (٤) محمد بن فضيل بن غزوان .

(٥) عبد الملك بن أبى سلمان .

فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقنطها ، ثم قال : أرايت إن خرج سويا — قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل : «لم يضرّك ولم يقتلك» — أتطعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسمّيه عبد الحارث ، ففعلت — زاد جرير : فإنما كان شرّكه في الاسم ^(١) .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ : فولدت — يعني حواء — غلاماً ، فأناها إبليس فقال : سمّوه عبدي ، وإلا قتلته ، قال له آدم : قد أطعتك وأخرجتني من الجنة . فأني أن يطيعه ، فسماه «عبد الرحمن» ، فسلبط عليه إبليس لعنه الله فقتله ، فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سمّيه عبدي وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك فأخرجتني من الجنة . فأني فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما كان الثالث قال لهما : فإذا غلبتموني فسمّوه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس الحارث ، — وإنما سمى إبليس حين أبلس (تحجير) ^(٢) — فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ — يعني في الأسماء ^(٣) .

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت ؛ من أنه مات لآدم وحواء أولاد قبلهما ، ومن لم نذكر أقوالهم ممن عددهم أكثر من عدد من ذكرت قوله والرواية عنه ، قالوا خلاف قول الحسن الذي روى عنه أنه قال : أول من مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمّي ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن

(١) الخبير في التفسير ١٣ : ٣١٣

(٢) ط : « تميرا » تصحيف .

(٣) الخبير في التفسير ١٣ : ٣١٣

أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فجلست إليه فقال لي : «يا أبا ذر ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما» ، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : «خير موضوع ، استكثر أو استقل» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها : قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك ؟ قال : «ثلثمائة وثلاثة عشر جمماً غفيراً» ، يعني كثيراً طيباً ، قال : قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : «آدم» ، قال : قلت : يا رسول الله ، وآدم نبي مرسل ؟ قال : «نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سواه قبلاً» .^(١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر قال : قلت ، يا نبي الله ، أنبياء كان آدم ؟ قال : «نعم ، كان نبياً ، كلمه الله قبلاً» .

وقيل : إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة حواء شيئاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هايل بنخمس سنين ، ولدت له حواء ابنة شيئاً ، فذكر أهل التوراة أن شيئاً ولد فرداً بغير توم ، وتفسير « شيث » عندهم « هبة الله » ، ومعناه أنه خلف من هايل .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولدت حواء لآدم شيئاً وأخته عزورا^(١) ، فسمي هبة الله ، اشتق له من هايل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هايل ، وهو بالعربية شيث ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة .

١٥٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة - فيما يذكرون والله أعلم - دعا ابنه شيثا فعهد إليه عهده ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهن ، فأخبره أن لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث - فيما ذكر - وصي أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل^(٢) الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم

(١) كذا في ١ ، ن وفي ط : « عزورا » .

(٢) ١ : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة » .

١٥٤/١ وإلى شيث أنسابُ بنى آدم كلَّهم اليوم ؛ وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

وأما القرس الذين قالوا إن جيئومرّت هو آدم ؛ فإنهم قالوا: ولد لحيومرّت ابنه ميشى ، وتزوج ميشى ^(١) أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشى ، وسيامى ابنة ميشى ، فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرّت أفرواك ، ودبى ، وبراسب ، وأجوب ^(٢) ، وأوراش ^(٣) بنو سيامك ، وأفرى ، وددى ^(٤) ، وبرى ^(٥) وأوراشى بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشى ، وهى أخت أبيهم .

وذكروا أن الأرض كلَّها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتية الناس براً أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التى لا يوصل إليها اليوم براً أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيه وبناته .

فولد لأفرواك بن سيامك من أفرى بنت سيامك هوشنك يشداذ الملك ، وهو الذى خلف جدّه جيئومرّت فى الملك ، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه . وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا ، هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما هشام الكلبي فإنه فيما حدثت عنه قال : بلغنا والله أعلم - أول ملك ملك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال :

(١) كذا فى ١ ، والشاهنامه ؛ وفى ط : « مشا ... ميشان » ، وانظر الشاهنامه وحواشيا

١٥٤ : ١

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « أجرب » .

(٣) ر ، ك : « أوراس » ، س : « أوراس » .

(٤) ١ : « دخرى » .

(٥) ١ : « بزى » .

والفرس تدعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة، قال : وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتي سنة، فصيرَه أهل فارس بعد آدم بمائتي سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١٥٥/١

وهذا الذى قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشنك الملك فى أهل المعرفة بأنسب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام ، وكل قوم فهم بأبائهم وأنسابهم وما نرهم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يرجع فى كل أمر التمس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابه الفرس أن أوشهنج يشداذ الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مهلائيل ، وأن سيامك هو أنوش أبوقينان ، وأن ميشى هو شيث أبو أنوش ، وأن جيومرت هو آدم صلى الله عليه وسلم . فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشهنج كان فى زمان آدم رجلاً ، وذلك أن مهلائيل فيما ذكر فى الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة ^(١) ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن ملُك أوشهنج هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر فى هذا الملك كالذى قاله النسابة الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلم يُبعد من قال : إن ملُكه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختلّف في مدة عمره ، وابن كَمّ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .
 فأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثني
 ١٥٦/١ محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال :
 حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي
 سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال أبو خالد : وحدثني
 الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال
 أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدؤسي ، قال : حدثنا
 سعيد المقبري ويزيد بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم -
 أنه قال : « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ،
 فجلس فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك
 الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فاتاهم فقال [لهم] (١) : السلام
 عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه
 تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له : خذ واختر ، قال :
 اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته
 كلهم ، فإذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف
 سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب ، من هؤلاء الذين عليهم النور ،
 فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو
 أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال : [يا رب ،
 ما بال هذا ، من أضوءهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟] فقال [(١) :
 ذلك ما كتب له ، فقال : يا رب ، انقص له من عمري ستين سنة » . فقال رسول
 ١٥٧/١ الله صلى الله عليه وسلم : « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعدّ

(١) تكلمة من أ

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجّلتَ عليّ يا ملك الموت ! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيّ من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيّ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ . فقال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « فَنَسِيَ آدم ، فَنَسِيَ ذريته ، وَجَحَدَ آدم فَجَحَدَت ذريته ، فَيَوْمئِذٍ وَضَعَ اللهُ الكِتَابَ ، وَأَمَرَ بِالشُّهُودِ » .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الدّين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوْلَ مَنْ جَحَدَ آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وإن الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارّ إلى يوم القيامة ، فجعل يعرضهم على آدم ، فرأى فيهم رجلا يزهر ، فقال : أي ربّ ، أي نبيّ هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، قال : أي ربّ ، كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : أي ربّ ، زده في عمره ، قال : لا ، إلا أن تزيد أنت من عمرك ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له من عمره أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضِر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه ، قال : إنه قد بقيّ من عمري أربعون سنة ، قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود ، قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئاً ، فأنزل الله عليه الكتاب ، وأقام عليه الملائكة شهوداً ، فأكمل لآدم ألف سنة ، وأكمل لداود مائة سنة . »

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ^(١) ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس : إن الله عزّ وجلّ لما خلق آدم مسح ظهره ، وأخرج ذريته

١٥٨/١

(١) ط : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلّهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلّموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أخذ عليهم الميثاق : أتى أنا ربهم لثلاثا يُشركوا بي شيئاً ، وعلى رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذي معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لي ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمرّ ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدّه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بني آدم ^(١) ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مائة سنة ، فلما عمّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ، قال له آدم : إنما عمّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لي] ^(٢) أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرني بها ربّي ، قال : فارجع إلى ربك فسله ، فرجع الملك إلى ربه فقال ^(٣) : مالك ؟ قال : يا ربّ رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه ، قال الله عزّ وجلّ : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة ^(٤) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا
شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتضّر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم في الأربعين السنة ، فقيل له : إنك قد أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم ^(٥) .

(١) في التفسير : « عن أجل سائر بني آدم » .

(٢) تكملة من ا

(٣) في الأصول : « قال » . وما أثبت من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٢٣٧

(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ،
 في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾
 قال : أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر ، فعرضهم على آدم
 بأسمائهم وأسماء آباؤهم وأجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود في نور ساطع ،
 فقال : مَنْ هذا ؟ قال : هذا من ذريتك ، نبى خلقته ، قال : كم عمره ؟
 قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمري أربعين سنة ، قال : والأقلام ^(١) رطبة
 تجرى ، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة ،
 فلما استكملها إلا الأربعين سنة ^(٢) بعث إليه ملك الموت قال : يا آدم أمِرتُ
 أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى
 ربه عز وجل فقال : إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم
 أنه جعلها لابنه داود . والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون] ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن
 جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى
 ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره
 أن يخفيه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين
 خصه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند
 قابيل وولده علم ينتفعون به ^(٤) .

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة
 وثلاثين سنة .

حدثنا الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام
 ابن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان
 عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ؛ والله أعلم .

(١) ط : « فالأقلام » ، وما أثبتته عن التفسير .

(٢) ا : « السنة »

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤١ ، والتكلمة من ا .

(٤) ا : « ينفعون » .

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكل الله له عِدَّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب للداود ما وهب له من ذلك ، ولعل ما كان جعل من ذلك آدم عليه السلام للداود عليه السلام لم يُحسب في عمر آدم في التوراة ، فقليل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإن الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمائة سنة وستون ؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك في رواية لأبي هريرة ^(١) عنه ، وقد ذكرناها قبل . فإن يكن ذلك كذلك ، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر ^{١٦١/١} عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صنئاً الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهن ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : سمعته يقول : بلغني أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : « أبي هريرة » ، وما أثبتته من ا .

مات بعث الله إليه بكفته وحنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه .

حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، وأحللوا^(١) له ، وقالت : هذه سنة آدم في ولده . »

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوته فخرج هارباً في الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وفاداه ربه : أفراراً مني يا آدم ! قال : لا والله يا رب ولكن حياءً منك مما [قد]م^(٢) جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحنوطه^(٣) وكفته من الجنة ، فلما رأته حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خلكي عنى وعن رسل ربي ، فإني ما لقيت ما لقيت إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسُّدْر والماء وتراً ، وكفنوه في وتر من الثياب ، ثم لحّدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبو : — وزعم قتادة عن صاحب له حدث عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سحوق . »

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام [بن محمد]^(٢) قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

(١) أحلوا له وحلوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر .

(٢) تكلمة من أ

(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يخلط للبيت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما : صلّ على آدم ، قال : تقدم أنت فصلّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختلف في موضع قبر آدم عليه السلام ، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره ، وأما غيره فإنه قال : دفن بمكة في غار أبي قُبَيْس ، وهو غار يقال له غار الكثر^(١) .

وروى عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما خرج نوح من السفينة دَفَنَ آدم عليه السلام ببيت المقدس .

* * *

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بَوْدٍ — قال أبو جعفر يعني الجبل الذي أُهبط عليه — وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله ، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت ، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان ، حتى كان الطوفان ، فاستخرجهما نوح ، وجعلهما في تابوت ، ثم حملهما معه في السفينة ، فلما غاضت الأرضُ الماءَ رَدَّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غرّكت — فيما ذكر —

(١) ذكره ياقوت وقال : « غار الكثر : موضع في جبل أبي قيس ، دفن فيه آدم كنه فيما

زعموا » . معجم البلدان ٦ : ٢٦١

ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

* * *

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده — إذ كنا قد أتينا^(١) من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله بإبليس إذ تجبر وتعظم وطفى على ربه عز وجل فأشرب وبطر نعمته التي أنعمها الله عليه ، وتمادى في جهله وغيته ، وسأل ربه النظرة ، فأنظره^(٢) إلى يوم الوقت المعلوم ، وما صنع [الله]^(٣) بآدم صلوات الله عليه إذ خطى^(٤) ونسى عهد الله من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمدته إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب إليه من زلته فتاب عليه وهداه ، وأنقذه من الضلالة والردى — حتى نأتى على ذكر من سلك سبيل كل واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على منهاجه^(٥) وشيعة إبليس والمقتدين به في ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم .

١٦٤/١

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعض أمره ، وأنه كان وصى أبيه آدم عليه السلام في مختلفيه^(٦) بعد مضيئه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف . وقيل : إنه لم يزل مقبلاً بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام ، وعمل بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان . وقيل : إن شيئاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه في غار أبي قبيس ، وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمسة وثلاثين سنة ، من عمر آدم

(١) ن : « على ذكر آدم » .

(٢) ١ ، ك : « فأنظر » بالبناء للمجهول .

(٣) تكملة من أ

(٤) ١ : « أخطأ » ، وهما سواء .

(٥) ١ : « منهاجه » .

(٦) كذا في ١ ، س ، ن ، ط : « مختلفيه » .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنان عشرة سنة .
 وولد لشيث أنوش^(١) ، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما
 يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 سلمة بن الفضل ، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت
 له يانش بن شيث ، ونعمة ابنة شيث ، وشيث يومثد ابن مائة سنة وخمس
 سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

وقام أنوش بعد مضى أبيه شيث لسيله بسياسة^(٢) الملك ، وتديير من^{١٦٥/١}
 تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل — فيما ذُكِر — على منهاج أبيه ؛
 لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميعُ عمر أنوش — فيما ذكر أهل
 التوراة — تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال :
 أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد شيث أنوش
 ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ؛ ثم وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنه
 قَيْسَان^(٣) من أخته نعمة ابنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ،
 ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن
 ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنة شيث ، فولدت له قَيْسَان ،
 ويانش يومثد ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْسَان ثمانمائة
 سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش
 يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيْسَان بن يانش — وهو ابن

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس في ٤ : ٢٨٠ ، قال :
 « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال إنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قيسان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ يفتح القاف ومد النون الأولى ، وفي سفر التكوين

١٢ : ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قيينين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة - دينة^(١) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ^(٢) بن قين^(٣) بن آدم ، فولدت له مهلائيل^(٤) بن قيسان ، فعاش قيسان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كل ما عاش قيسان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد أنوش قيسان ، ونقرأ كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قيسان مهلائيل ونقرأ معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يررد^(٥) - وهو اليارد - ونقرأ معه ، وإليه الوصية ، فولد يررد أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونقرأ معه ، فولد أخنوخ متوشلخ^(٦) ونقرأ معه وإليه الوصية ، [فولد متوشلخ ملك^(٧) ونقرأ معه وإليه الوصية] .^(٨)

وأما التوراة فما ذكره أهل الكتاب أنه فيها أن مولد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قيسان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قيسان - وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - خالته سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، فولدت له يررد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يررد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، فولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يررد ولد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قيسان ، غير أن الأحداث بدت في زمانه .

(١) في « ذببة » ، وقون : « ذببة » بالذال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قايين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » .

وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهلائيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكي أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الذال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وضبطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالنون المعجمة باثنتين من فوق

وبالشين المعجمة وبهاء مهملة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لاسخ » ، ويقال : لاملك وملك أيضاً . (٨) تكلمة من ا

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

١١٧/١

ذَكَرَ أَنَّ قَائِلَ مَا قَتَلَ هَابِيلَ ، وَهَرَبَ مِنْ أَبِيهِ آدَمَ إِلَى الْيَمَنِ ، أَنَّهُ
إِبْلِيسُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَابِيلَ إِنَّمَا قَبِيلَ قُرْبَانَهُ وَأَكَلْتَهُ النَّارَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْدُمُ
النَّارَ وَيَعْبُدُهَا ، فَانصَبْ أَنْتَ أَيْضًا نَارًا تَكُونُ لَكَ وَلِعَبْقِكَ . فَبَنَى بَيْتَ نَارٍ ،
فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَصَبَ النَّارَ وَعَبَدَهَا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن
قينا نكح أخته آشوث بنت آدم ، فولدت له رجلا وامرأة : خنوخ بن قين ،
وعذب^(١) بنت قين ، فنكح خنوخ بن قين أخته عذآب بنت قين ، فولدت
له ثلاثة نفر وامرأة : عيرد بن خنوخ ومحويل بن خنوخ وأنوشيل^(٢) بن خنوخ ،
وموليث بنت خنوخ ، فنكح أنوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ ، فولدت
لأنوشيل رجلا اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عدآى واسم
الأخرى صلتى^(٣) ، فولدت له عدآى تولين بن لامك ، فكان أول من سكن
القياب ، واقتنى المال ، وتوبيش^(٤) ، وكان أول من ضرب بالونج^(٥) والصنج ،
وولدت رجلا اسمه توبلقين ، فكان أول من عمل النحاس والحديد ، وكان
أولادهم جابرة وفراغة ، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق ؛ كان الرجل فيما
يزعمون يكون ثلاثين ذراعًا . قال : ثم انقرض ولد قين ، ولم يتركوا عقبًا إلا
قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهلت^(٦) أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من
شيث بن آدم ، فنه كان النسل ، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه
آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقبًا .

١٦٨/١

- (١) كذا في أ ، س ، ن ، وابن الأثير : ٣٢ ، وفي ط : « عدن » .
- (٢) كذا في أ ، ك ، وابن الأثير ، وفي ط : « أبوشيل » .
- (٣) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » ، بتشديد اللام .
- (٤) في ابن الأثير : « تولين » .
- (٥) النونج : المزرف ؛ وهو المزهر أو العود .
- (٦) في الأصول : « فجهلت » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

قال : ويقول أهل التوراة : بل نكح قَيْنَ آشوث ، فولدت له حَنوخ ، فولد
لحنوخ عيرد^(١) ، فولد عيرد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ،
لامك ، فنكح لامك عدى وصلّى ، فولدتا له مَن سميّت . والله أعلم .
فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيتُ .

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذى اتخذ الملامى من ولد
قايين رجل يقال له توبال^(٢) ، اتخذ فى زمان مهلائيل بن قَيْنان آلات اللّهُو
من المزامير والطبول والعيّندان والطنابير والمعازف ، فانهمك ولد قايين فى اللّهُو ،
وتناهى خبرهم إلى مَن بالجليل من نسل شيث ، فهم مائة رجل بالتزول
إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آبائهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم ؛
فأبوا إلا تمادياً ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا
الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم ، فلما أبطأوا بمواضعهم ،
لمن من كان فى نفسه زيغ ممن كان بالجليل أنهم أقاموا اعتباطاً ، ففسلوا^(٣)
يتزلون عن الجليل ، ورأوا اللّهُو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرّعات
إليهم ، وصرن معهم ، وانهمكوا فى الطغيان ، وفسدت الفاحشة وشرب الخمر .

قال أبو جعفر : وهذا القول غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنه قول قد
رؤى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه ، وإن
لم يكونوا بينوا زمان مَن حدث ذلك فى ملكه ، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما
بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم .

١٦٩/١

• ذكر من روى ذلك عنه :

حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا
داود - يعنى ابن أبي القرات - قال : حدثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ،

(١) فى سفر التكوين : « عيراد » .

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط من غير نقط ، وفى ابن الأثير : « ثوبال » .

(٣) كذا فى ١ ، وفى ابن الأثير : « فسلوا » ، وفى ط : « فسلوا » .

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(١)
قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من
ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال
الجبل صياحاً وفي النساء دمامة^(٢) ، وكان نساء السهل صياحاً وفي الرجال
دمامة ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه
منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئاً مثل الذي يزمُر فيه الرعاء ،
فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حولم ، فانتابوهم^(٣)
يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فتبرج النساء للرجال ،
قال : وينزل الرجال لمن . وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في
عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا
إليهن ، فترلوا عليهن^(٤) ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله عز وجل :
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٥)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم :
١٧٠/١ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة
سنة ، وكان^(٦) نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد
الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٧)

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمّت آدم حتى
بلغ ولده وولده وولده أربعين ألفاً ببؤذ .

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) كذا في التفسير ، وفي باقي الأصول : « دمامة » .

(٣) ك : « فأتوهم » .

(٤) كذا في ط ، وفي ا ، ك والتفسير : « سهن » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق)

(٦) ا ، والتفسير : « فكان » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد ، فأوصى ألا يناكح بنو شيث
 بنى قابيل ، فجعل بنو شيث آدم في مغارة ، وجعلوا عليه حافظاً^(١) ، لا يقربه
 أحد من بنى قابيل^(٢) ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث^(٣) ،
 فقال مائة من بنى شيث صباح : لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمنا ! يعنون بنى قابيل .
 فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم
 مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا
 من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء . ثم هبط بنو شيث كلتهم ، فجاءت المعصية ،
 وتناكحوا واختلطوا^(٤) ، وكثر بنو قابيل حتى ملثوا^(٥) الأرض ، وهم الذين
 غرقوا أيام نوح .

* * *

وأما نسابو القرم فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قيسان ، وأنه هو
 أوشهنج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيئت قول من خالفهم فى ذلك من
 نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو القرم ، فإلى حدثت عن هشام
 ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول من قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من
 استخرج المعادن وفطن الناس لها ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى
 مدينتين كانتا أول ما بُنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل
 التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان^(٦) ملكه أربعين سنة .

وأما غيره فإنه قال : هو أول من استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه
 الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المنافع ، وحض الناس على الحراثة
 والزراعة والحصاد واعمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .

(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ١ ، وكذلك فيما يأتى .

(٣) ١ : « بنو شيث » .

(٤) ط : « فاستلطوا » .

(٥) ط : « ملكوا » .

(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن
مُلْكَه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرّعى. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت
بعد مدينة جيومرّت الّتى كان يسكنها بدُنْبِاوند من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوْشَهَنْج هذا وُلِدَ ملكًا ، وكان فاضلاً محموداً في
سيرته وسياسة رعيته ، وذكروا أنه أوّل من وَضَعَ الأحكام والحدود ، وكان
ملقباً بذلك ، يُدعى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّل مَنْ حَكَمَ بالعدل ، وذلك
أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ،
وتنقل في البلاد ، فلما استقام أمره واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً ،
وخطب خطبة ، فقال في خطبته : إنه ورث الملك عن جده جيومرّت ، وإنه
عذاب ونقمة على مرّدة الإنس والشياطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ،
ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتاباً في طِرْس أبيض أخذ عليهم
فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعدهم على ذلك ، وقتل مردتهم
وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك
الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومرّت إلى مولد أوْشَهَنْج وملكه مائتا سنة
وثلاث وعشرون سنة .

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوْشَهَنْج ، وذلك أنهم دخلوا بموته
مساكنَ بنى آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

ونرجع الآن إلى ذكر يرد - وبعضهم يقول حويارد - فولد يرد لمهلثيل من
خالته سمن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم
أربعمائة وستون سنة ، فكان وصىّ أبيه وخليفته فيما كان والد مهلائيل أوصى
إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى
من عمر أبيه مهلائيل - فيما ذكروا - خمس وستون سنة ، فقام من بعد مَهْلَاك
أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يرد - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن

إسحاق، وهو ابن مائة سنة واثنين وستين سنة - بركننا ابنة الدرهميل^(١) بن
عوييل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له أحنوخ بن يرد - وأحنوخ إدريس
النبي، وكان أول بني آدم أعطي النبوة - فيما زعم ابن إسحاق - وخطب
بالقلم، فعاش يرد بعد ما وُلد له أحنوخ ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات،
فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنين وستين سنة ثم مات .

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أحنوخ - وهو إدريس - فنبأه الله عزَّ
وجلَّ، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة، وأُنزل عليه
ثلاثون صحيفة . وهو أول من خطب بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقَطَعَ الثياب
وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصي والده يرد
فما كان أباه أوصوا به إليه، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً، وذلك كله من
فعله في حياة آدم .

قال: وتوفى آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أحنوخ ثلثمائة سنة
وثمانين سنة، تَمَّتْ تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم . قال:
ودعا أحنوخ قومه ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله عزَّ وجلَّ ومعصية الشيطان،
وألا يُلبسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد
شيث تنزل إلى ولد قايين .

قال: وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس
وستين سنة مضت من عمره، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من
عمر أبيه، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسة وثلاثين سنة تمام تسعمائة
واثنين وستين سنة، وكان عمر يرد تسعمائة واثنين وستين سنة، وولد أحنوخ
وقد مضت من عمر يرد مائة واثنان وستون سنة .

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال:
أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: في زمان يرد مُحَلَّت
الأصنام، ورجع من رجوع عن الإسلام . ١٧٤/١

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي، قال:

حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أربعة - يعني من الرسل - سريانئون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخنوخ ، وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة » .

وقد زعم بعضهم أن الله بعث^(١) إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه ، وجمع له علم الماضين ، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾^(٢)

وقال : يعني بالصحف الأولى [الصحف]^(٣) التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتخذة في ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبه دابة أو امرأة نفخ بقصبة^(٤) كانت له من ذهب ، وكان يجيء إليه كل شيء يريد ، فن تم تنفخ اليهود [في الشبورات]^(٥) .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويوتجهان ابن خبانداذ بن خيا يذار^(٦) بن أوشهنج .

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت . وقال بعض نسابة الفرس : هو طهمورث بن أيونكهان بن أنكهذ ابن أسكهذ بن أوشهنج .

(١) : « ابتعث » .

(٢) سورة الأعلى ١٨ - ١٩

(٣) من ا

(٤) ك : « بعصية » .

(٥) تكللة من غرر أخبار ملوك الفرس ص ٢٤ نيا نقله عن الطبري .

(٦) كذا أورد الاسم مضبوطاً معجماً في ا ، وفي ط مهمل من الضبط .

وقال هشام بن محمد الكلبي - فيما حدثت عنه : ذكر أهل العلم أن أول ملك بابل طهمورث ، قال : وبلغنا - والله أعلم - أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مُطيعاً لله ، وكان ملكه أربعين سنة . وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلها ، وعقد على رأسه تاجاً ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة .^(١) وكان محموداً في ملكه ، حديباً على رعيته ، وأنه ابني سابور من فارس ونزلها ، وتنقل في البلدان ، وأنه وثب بابليس حتى ركبته ، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ، وأفرعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس^(٢) ، والفُرُش ، وأول من اتخذ زينة الملوك من الحيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والحوارج للصيد ، وكتب بالفارسية ، وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملة الصابئين .

١/٦٧١

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح - فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يرد هداة^(٣) - ويقال : أدانة^(٤) - ابنة باويل^(٥) ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة ، وولد له بنون وبنات : فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن^(٦) التوراة : وُلد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلَّت من عمر آدم متوشلخ ، فاستخلفه

١٧٧/١

(١) : « والفسدة » .

(٢) : « للناس » .

(٣) : « كذا ضبطت في بعض النسخ » .

(٤) : « إدانية » .

(٥) : « ر : « باويل » ، « ك : « باويل » ، « و : « باويل » .

(٦) : « ذكر أهل التوراة » وما أتت من .

أَخْنُوخَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَوْصَاهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُعَذِّبُ وَلَدَ قَايِينَ وَمَنْ خَالَطَهُمْ وَمَالَ إِلَيْهِمْ ، وَبَاهَمَ عَنْ مَخَالَطَتِهِمْ ، وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ الْحَيْلَ ، لِأَنَّهُ اقْتَنَى رَسْمَ أَبِيهِ فِي الْجِهَادِ ، وَسَلَكَ فِي أَيَّامِهِ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ طَرِيقَ آبَائِهِ . وَكَانَ عَمْرُ أَخْنُوخَ إِلَى أَنْ رَفَعَ ثَلَاثًا مِائَةَ سَنَةً وَخَمْسًا وَسِتِينَ سَنَةً . وَوُلِدَ لَهُ مَتُوشَلِّخُ بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ خَمْسَ وَسِتُونَ سَنَةً .

ثم نكح - فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - متوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل^(١) بن أنوشيل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة . فولدت له ملك بن متوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له ملك سبعمائة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة . ثم مات ونكح ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بنتوس ابنة براكيل بن محويل^(٢) بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . فولدت له نوحا النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاش ملك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، [وولد له بنون وبنات] ^(٣) ، فكان كل ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم مات . ونكح نوح ابن ملك عمذرة^(٤) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له بينه : سام ، وحام ، ويافت ، بنى نوح .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : ولد متوشلخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم ملك ، فأقام على ما كان عليه أباه : من طاعة الله وحفظ عهده . قالوا : فلما حضرت متوشلخ الوفاة استخلف ملك على أمره ، وأوصاه بمثل ما كان أباه يوصون به . قالوا : وكان ملك يعظ قومه ، وينهاهم عن التزول إلى ولد قايين فلا يتعظون ، حتى نزل جميع من كان في الجليل إلى ولد قايين .

(١) وابن الأثير : « عزريل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بجاء مهملة وياء معجمة بائتين من تحت » .

(٣) تكلمة من أ .

(٤) ١ : « عمزورة » ، أ . ر : « عزرة » ، ك : « عمريزة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ .

وقيل : إنه كان متوشلخ ابن آخر غير لَمَك ، يقال له صابئ - وقيل : إن الصابئين به سُمِّوا صابئين - وكان عمر متوشلخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لَمَك بعد أن مضى من عمر متوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لَمَك نوحاً بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزَّ وجلَّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لَمَك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربه ، ويعظ قومه فيستخفون به ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أنه قد أمهلهم ، ^(١) فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا ويتوبوا .

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح في عهد بيوراسب ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى الله جلَّ وعزَّ تسعمائة وستة وخمسين سنة ؛ كلَّما مضى قرن تبعهم قرن ، على ملَّة واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولقد متوشلخ ملك وفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد لَمَك نوحاً ، وكان لَمَك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصناعة السفينة فصنعها وركبها وهو ابن سبعمائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

١٧٩/١

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيد - والشيد معناه عندهم الشعاع ، لقبوه بذلك فيما زعموا بحمالة - وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طهمورث . وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلَّها ، وسُخِّر له ما فيها من

(١) ط : « أمهلهم » ، وما أثبت من ا .

الجن والإنس ، وعقيد على رأسه التاج . وقال حين قعد في ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسوسع رعيتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودل على صنعة الإبريسم والقز وغيره مما يُغزَل ، وأمر بنسج الثياب وصَبغها ، ونحت السروج والأكف وتذليل الدواب بها . وذكر بعضهم أنه توارى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمضى سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بغزل الإبريسم والقز والقطن والكتان وكل ما يُستطاع غزله وحياسة ذلك وصَبغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناس أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّاباً وصناعاً وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدماً ، وأمر كل طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين والجن وأثخنهم وأذلّهم وسخّروا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة وكمل الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعمل الرخام والحصى والكلس ، والبناء بذلك ، وبالطين البنيان والحمامات ، وصنعة الثورة ، والنقل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كل ما ينتفع به الناس ، والذهب والفضة وسائر ما يداب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنقدوا في كل ذلك لأمره . ثم أمر فصّعت له عجلة من زجاج ، فصفت فيها الشياطين وركبها ، وأقبل عليها في الهواء من بلده ، من دتباوند إلى بابل في يوم واحد ، وذلك يوم هرمزأز فروردين ماه^(١) ، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتعم والتلذد فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو خردأدروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية ، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه : اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنبهم الحرّ والبردّ والأسقام والمهّرم والحسد ، فكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التي خلت من ملكه ، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن الله جلّ وعزّ جنبهم إياه .

ثم إن جمّاً بطّر بعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن ، فأخبرهم أنه وليهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والمهّرم والموت ، وجمّد إحسان الله عزّ وجلّ إليه ، وتعادى في غيّه فلم يُحير^(١) أحد من حضره له جواباً ، وفقد مكانه بهاءه وعزّه ، وتخلّصت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسّ بذلك بيوراسب الذي يسمّى الضحاك فابتدر إلى جمّ لينتسه^(٢) فهرب منه ، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك ، فامتلغ أمعاءه واسترطها^(٣) ، ونشره بمنشار . وقال بعض علماء الفرس : إن جمّاً لم يزل محمود السيرة إلى أن بقى من ملكه مائة سنة فخلط حينئذ ، وادّعى الربوبية ، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره : ووثب عليه أخوه اسفتور^(٤) وطلبه ليقتله ، فتواري عنه ، وكان في تواريه ملكاً ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلبه على ملكه ، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضهم أن ملك جمّ كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً^(٥) .

• • •

وقد ذكرت عن وهب بن منبّه ، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصة جمّ شاذ الملك ، ولولا أن تاريخه بخلاف تاريخ جمّ لقلت إنها قصة جمّ .

(١) ن : « فلم يحير » .

(٢) كذا في أوامير الأثير ، وفي ط : « لينه » .

(٣) استرطها ، من السرط ؛ وهو « اتبلع » .

(٤) أوامير الأثير ١ : ٣٧ : « اسفتور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جمّ قد

أتينا به تاماً بعد أن كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماخ ، وتأباها العقول والطباع : فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها ؛ وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشتمون على العرب بجهلهم ، وما بلغوا هذا ؛ ولأننا لو تركنا هذا الفصل لخلا من شيء . فذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : إن رجلاً ملك وهو فتى شاب^(١) ، فقال : إني لأجدُ للملِك لذة وطعمًا ، فلا أدري : أكل ذلك كلَّ الناس أم أنا وجدته من بينهم ؟ فقيل له : بل الملِك كذلك ، فقال : ما الذي يقيمه لي ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار مَنْ كان في ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتي في مجلسي ؛ فإرايتم أنه طاعة لله عزَّ وجلَّ فأمرؤني أن أعمل به ، وما إرايتم أنه معصية لله فآزجروني عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعًا لله عزَّ وجلَّ . ثم إن إبليس انبته لذلك فقال : تركت رجلاً يعبد الله ملكًا أربعمئة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ، ففزع منه الملِك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرْعَ ؛ ولكن أخبرني مَنْ أنت ؟ قال الملِك : أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بني آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَ كمَّ قدمات من الناس وذهب من القرون ! لو كنت منهم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكنك إله ، فادع الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك في قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إني قد كنت أخفيت عنكم أمرًا بآن لي إظهاره ؛ لكم تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ، ولو كنت من بني آدم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكنني إله فاعبدوني . فأرعى مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال : أخبره أني قد استقيمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ، فبعزتي حلفت لأسلطنَّ عليه بخت ناصر ؛ فليضربنَّ عنقه ، وليأخذنَّ ما في خزائنه . وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملِك عن قوله ، حتى سلط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأوفر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضحاك كان يُدعى في ذلك الزمان بخت ناصر .

(١) ر : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبي فإني حَدَّثْتُ عنه أنه قال : ملك بعد طهْمُورثِ جم ، وكان أَصْبَحَ أَهْلَ زِمَانِهِ وَجْهًا ، وَأَعْظَمَهُمْ جِسْمًا ، قال : فذَكَرُوا أَنَّهُ غَيْبَرٌ (١) سِتِّمِئَةَ سَنَةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَطِيعًا لِلَّهِ مُسْتَعْلِيًا أَمْرَهُ مُسْتَوْثِقَةً لَهُ الْبِلَادُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَغَى وَبَغَى ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّحَّاكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي مَائَتِي أَلْفٍ ، فَهَرَبَ جَمُّ مِنْهُ مِائَةَ سَنَةٍ ؛ ثُمَّ إِنَّ الضَّحَّاكَ ظَفِرَ بِهِ فَنَشَرَهُ بِمَنْشَارٍ . قال : فَكَانَ جَمِيعُ مَلِكِ جَمِّ ، مِنْذُ مَلِكٍ إِلَى أَنْ قُتِلَ سَبْعِمِائَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ كلُّهُم على ملة الحق ، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام ، وقالوا : إن أول نبي أرسله الله إلى قوم بالإندار والدعاء إلى توحيد نوح عليه السلام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين نوح و آدم عليهما السلام عشرة قرون ، كلُّهُم على شريعة من الحق ؛ فاختلَفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ (٢)

١٨٤/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : قوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، قال : كانوا على الهدى جميعًا فاختلَفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أول نبي بعث نوح عليه السلام (٣) .

(١) ط : « عمر » ، وما أثبتته من ١ .

(٢) سورة البقرة ٢١٣ ، والخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

(٣) الخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم من يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل ، وأن منهم من يقول : كانوا أهل طاعة بيوراسب ، وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين ؛ وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبي عنهم أنهم كانوا أهل أوثان ، وذلك أن الله عز وجل يقول محبراً عن نوح : ﴿ قَالَ نوح رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۗ ﴾ (١) . فبعث الله إليهم نوحاً مخوفهم بأسه ، وحثهم سطوته ، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق ، والعمل بما أمر الله به رسالته وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبياً إليهم - فيما ذكر - ابن خمسين سنة .

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ،

وركب السفينة وهو ابن مائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عز وجل يدعوم إلى الله سرّاً وجهراً ، يمضي قرنٌ بعد قرن ، فلا يستجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عز وجل إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنِّي لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يفرس شجرة فرسها ، فعظمت وذهبت كل مذهب : ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ ^(١) ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزي والثني بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع ، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوم إلى الله عز وجل ، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه - وكانت تحبه حباً شديداً - فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي » .

حدثني ابن أبي منصور ، قال : حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيّب بن

شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحَّاك ، قال : قال سلْمَانُ الفَارِسِيُّ : عمل نوح السفينة أربعمائة سنة ، وأثبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١٨٧/١ فعمل نوح بوحى الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الخواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكتيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكني مت وأنا شاب ، ولكني ظننت أنها الساعة . فمن ثمّ شئت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أزواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بجز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمقارها وطين برجلتيها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها الخضر التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فن تم تألف البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعاد ترابًا .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نَجَرَ^(١) نوح السفينة بجبل بؤذ ، من ثم تبدى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع بذراع جد أبي نوح ، وعرضها خمسين ذراعًا ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعًا ، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمن لا يشتم ، عن عبيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به - يعني قوم نوح بنوح - فيخنقونه حتى يَغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتناول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله ؛ حتى إن كان الآخر منهم ليقول : قد كان هذا مع آباءنا ومع أجدادنا ؛ هكذا مجنونًا ! لا يقبلون منه شيئًا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل ، فقال كما قص الله عز وجل علينا في كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۖ إِلَىٰ آخِرِ الْقَصَةِ ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِبَارًا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ ﴾^(٢) ، إلى آخر القصة . فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل

(١) يقال : نجر الخشب ؛ أي نحته وسواه .

(٢) سورة نوح ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾ (١). فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يُضِلُّحُه إلا هو ، وجعل قومه يمرُّون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرُون منه ، ويستهزئُون به فيقول : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِزُ بِهِ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٢) . قال : ويقولون - فيما بلغني - : يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور (٣) ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً ، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ووسطاً وعلواً ، وأن يجعل فيه كئواً . ففعل نوح كما أمره الله عز وجل ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه : ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤) . وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به - وكانوا قليلاً كما قال - وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكراً وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافت ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب ، وتخلف عنه ابنته يام ، وكان كافراً .

(١) سورة هود ٣٧

(٢) سورة هود ٣٨ - ٣٩

(٣) أزور ، أى ساجلا .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن
ابن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
سمعتة يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة ، وآخر
ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبيه
فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ، فينهض فلا يستطيع ،
حتى قال نوح ، ويحك ! ادخل ! وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت عن
لسانه ، فلما قالها نوح خلتى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ،
فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدو الله ! قال : ألم تقل : « ادخل وإن كان
الشيطان معك ! » ، قال : اخرج عني يا عدو الله ، فقال : مالك بد من أن
تحملتي ، فكان - فيما يزعمون - في ظهر الفلك ، فلما اطمان نوح في الفلك
وأدخل فيه كل من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها
نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل
وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الفوط الأكبر ، وفتحت أبواب السماء ، كما
قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ وَوَجَّعْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أُمَّرٍ قَدْرًا ﴾ ^(١) . فدخل نوح ومن معه الفلك
وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن
احتمل الماء الفلك أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم احتمل الماء كما يزعم أهل
التوراة ، وكثر واشتد وارتفع ، يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِّرُ بِهِ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ ^(١) .
والدُسْرُ : المسامير ، مسامير الحديد . فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في
موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذى هلك فيمن هلك ، وكان في معزل
حين رأى نوح من صدق موعود ربه ما رأى ، فقال : ﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبُوا
مَعَنَا وَلَا تَكُونُوا مَعَ الْكٰفِرِينَ ﴾ ، وكان شقيماً قد أضمر كفرة ، قال
سأوى إلى جبل يعصم مني من الماء ، وكان عهد الجبال وهي حرز

١٩١/١

١٩٢/١

من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يكون ، قال [نوح] ^(١) : ﴿ لا عاصمَ اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكثر الماء وطفئ ، وارتفع فوق الجبال — كما يزعم أهل التوراة — خمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من] ^(٣) كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عتق ^(٤) — فيما يزعم أهل الكتاب — فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدواب والطير كلها إلى نوح ، وسخرت له ، فحمل منها كما أمره الله عز وجل : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضيئ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من الحرم ، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ ، يقول : منصب ، ﴿ وَقَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ، يقول : شققنا الأرض ، ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على أطول جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء ، حتى أتت الحرم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورفع البيت الذي بناه آدم عليه السلام ، رفع من الفرق ، — وهو البيت المعمور والحجر الأسود — على أبي قبيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجودي — وهو جبل بالحضيض من

١٩٣/١

(١) تكله من ا

(٢) سورة هود ٤٣

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « أعتق » .

أرض الموصل - فاستقرت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقبل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، فلما استقرت على الجودي ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ ؛ يقول : أنشئ ماءك الذي خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءَ أَقْلِعِي﴾ ؛ يقول : اجبسي ماءك ، ﴿وَعِغْضَ الْمَاءِ﴾^(٢) نشفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض ، فأخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماءً بحسبتي^(٣) بقي في الأرض أربعين سنة^(٤) بعد الطوفان ثم ذهب . وكان التنوير الذي جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحواء من حجارة ، وصار إلى نوح .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقبل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

• • •

وقد اختلف في المكان الذي كان به التنور الذي جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، فقال بعضهم : كان بالهند . ١٩٤/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في ﴿وَقَارَ التَّنُّورُ﴾^(٥) . قال : فار بالهند .

• • •

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .

• ذكر من قال ذلك :

(١) سورة هود ٤٤
 (٢) حمى : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حمى ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هي أخبث ماء .
 (٣) ١ : « يعني بعد الطوفان » .
 (٤) سورة هود ٤٠

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ^(١) ، قال : حدثنا خَلْفُ بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

واختلاف في عدد مَنْ ركب الفُلْكَ من بني آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفساً .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، قال : حدثني حسين بن واقد الخراساني ، قال : حدثنا أبو سَهيك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : حمل نوحٌ معه في السفينة ثمانين إنساناً . حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين - يعني القليل الذين قال الله عز وجل : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : حمل نوح في السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافث . وكنائنه : نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بني شيث ، ممن آمن به ، فكانوا ثمانين في السفينة .

* * *

(١) كذا في ط : وفي أ : « حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم » وهو يوافق ما في التفسير : ١٢ : ٢٥ (بلاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .
(٢) سورة هود ٤٠

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه لم يتم^(١) في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ،
ونسأؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك
ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : نوح ،
وثلاثة بنيه ، وأربع كئانته .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال :
قال ابن جريج : حدثت أن نوحاً حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبيته ،
وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام .
فأصاب حامُ امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن تُغَيَّرَ^(٢) نطفته ، فجاء
بالسودان .

١٩٦/١

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثني عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ،
عن الأعمش : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث
كئانث ، وثلاثة بنين له .

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسأؤهم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) س : « لم يبق » : ك : « لم يتم » .

(٢) أ : « يغير » : ك : « تغير » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن به^(١) ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم . وأرسل^(٢) الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح - فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم - ولتتمة ألقى سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عز وجل أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلعت من آب ، وإن نوحاً أقام في الضلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الضلك على جبل الجودي^(٣) بقردى^(٤) ، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين^(٥) ؛ لأنه كان بنى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين .

١٩٧/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية^(٦) ، فبنى كل رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، ففرق بنو قاييل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام . قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيد الطوفان إلى الأرض أبداً .

وقد حدثني عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : حدثنا الحارثي ، عن عثمان

(١) ١ : « معه » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « فأرسل » .

(٣) الجودي ؛ بالتشديد : جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، في الجانب الشرق من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال هائلة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين ، بليدة عند جبل الجودي ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل . كان أول من نزله نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فأت الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم » . معجم البلدان ٣ : ٢٣ (٦) ١ : « في قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة ، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فأنتهى ذلك إلى المحرم ، فأرست ^(١) السفينة على الجودي يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والذوَاب فصاموا شكراً لله عز وجل » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلها السباع . وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، ودَقَعَتْ ^(٢) من عين وردة ^(٣) يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعاً ، وقد رفعه الله من الفرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائماً فليتم صومه ، ومن كان منكم مُقْطِعاً فليصم .

١٩٨/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : دُكِرْ لَنَا أَنَّهَا - يَعْنِي الْفُلُكُ - اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ فِي عَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ ، فَكَانَتْ فِي الْمَاءِ خَمْسِينَ وَمِائَةَ يَوْمٍ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى الْجُودِيِّ شَهْرًا ، وَأَهْبَطَ بِهِمْ فِي عَشْرِ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبراً من الأرض إلا إنسان يدعيه .

(١) رست السفينة وأرست : وقتت .

(٢) كذا في ا ، ر ، وفي ط : « رفعت » . ، وودعت من عين وردة ، أي ابتداء سيرها من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » ، وقال : « رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثني نصر بن علي الجهضمي ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : عاش - يعني نوحاً - بعد ذلك - يعني بعد الألف سنة إلا خمسين عاماً التي لبثها في قومه - ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حميد حدثنا ، قال : حدثنا سلمة ، عنه ، قال : وعمر نوح - فيما يزعم أهل التوراة - بعد أن أهبط من الفلك ثلثمائة سنة وثمانياً وأربعين سنة ، قال : فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم قبضه الله عزّ وجلّ إليه .

وقيل : إن ساماً ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعض أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولدٌ إلا بعد الطوفان ، وبعد خروج نوح من الفلك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ، غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عقب ، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ^(١) .

١٩٩/١

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعاً ؛ كان أحدهما يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذي غرق في الطوفان ، والآخر منهما يقال له عابر ^(٢) ، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام ، وفي ولده بياض وأدمة ^(٣) ، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشقرة والحمر ، وكنعان وهو الذي غرق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب : إنما هام عمنا يام ؛ وأم هؤلاء واحدة .

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « غابر » .

(٣) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « آدم » .

فأما الجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل المُلْكُ فينا من عهد جيومرّت ، وقالوا : جيومرّت هو آدم يتوارثة آخرٌ عن أولٍ إلى عهد فيروز بن يزْدَجِرْد بن شهريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، ومُلْكُ القوم قد اضمحل ، وكان بعضهم يُقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومرّت كانت^(١) بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَاقْدِرْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ وَنَجِيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۗ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۗ ﴾^(٢) فأخبر عز ذكره أن ذرية نوح هم الباقون دون غيرهم .
وقد ذكرتُ اختلافَ الناس في جيومرّت ومن يخالف الفرس في عينه ، ومن هو : ومن نسب إلى نوح عليه السلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عثمة ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۗ ﴾ . قال : « سام وحام ويافث » .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۗ ﴾ ، قال : فالناس كلُّهم من ذرية نوح .
حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۗ ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

وروي عن علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد بن

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ - ٧٧ .

صالح ، عن الشعبي قالوا : لما هبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرخ بنوهُ من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرخوا بيعث^(١) نوح ، حتى كان الفرق ، فهلك مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان في السفينة إلى الأرض قسم الأرض بين ولده أثلاثاً : فجعل لسام وسطاً من الأرض ، ففيها بيت المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجلة ، وسبّحان ، وجيحان ، وفَيْشون ؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب^(٢) إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربى النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدَّبُور . وجعل قسم يافث في فيشون^(٣) فما وراءه إلى منخر ريح الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠١/١

وهذا الذى ذكر عن الشعبي من التاريخ ينبغي أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشىء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا — فيما ذكر — يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائرُ العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جبلة ، وبالكلاب الأول ، والكلاب الثانى .

وكانت النَّصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجيرد بن شهريار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق^(٤) .

(١) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي باقى الأصول : « أرخوا مبعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « مبعث » .

(٢) منخر ريح الجنوب ، أى موضع هبوطها .

(٣) ١ ، ر ، ن : « قيون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيوراسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضادا ، والهاء خاء ، والقاف كافا ، وإياه عنتى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدَّ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا هَامَانَ فِي الدُّنْيَا وَلَا قَارُونَ^(١)
بَلْ كَانَ كَالضَّحَّاكِ فِي سَطَوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ ، وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

وهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هاني في قوله :

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْخَابِلُ وَالْجِنُّ فِي مَسَارِيهَا^(٢)

٢٠٢/١

قال : واليمن تدعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب — فيما ذكر من أمر الضحاك هذا — قال : والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته ، وملكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد^(٣) بن عويج ، وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فإنها تنسب الازدهاق هذا غير النسبة التي ذكر^(٤) هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو^(٥) بن ويراوشك^(٦)

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يملح فيها الأفنين .

(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش في مساريها » . والخابل : ضرب من الجن .

(٣) س : « عبيدة » .

(٤) ن : « ذكرها » .

(٥) أ : « زينكار » .

(٦) أ : « ريشك » .

ابن تاز^(١) بن فرواك^(٢) بن سيامك^(٣) بن مشا بن جيومرت .
ومنهم من ينسب هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آباؤه فيقول :
هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار^(٤) بن ونديرسج^(٥) بن تاج^(٦) بن
فرياك^(٧) بن ساهمك^(٨) بن تاذى^(٩) بن جيومرت .

والجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون^(١٠) أن أم الضحاك كانت
ودك بنت ويونجهان^(١١) ، وأنه قتل أباه تقريباً بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان
كثير المقام ببابل ، وكان له ابنتان يقال لأحدهما : سرهوار^(١٢) ، وللآخر
نقوار^(١٣) .

وقد ذكر عن الشعبي أنه كان يقول : هو « قرشت » مبخه الله « ازدهاق » .
ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ،
عن القاسم بن سلمان ، عن الشعبي ، قال : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ،
وسعقص ، وقرشت ؛ كانوا ملوكاً جابرة ، فنفكر^(١٤) قرشت يوماً ، فقال :
تبارك الله أحسن الخالقين ! فسخه الله فجعله « اجدهاق » ،^(١٥) وله سبعة

(١) ا ، ن : « تاز » .

(٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .

(٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .

(٤) كذا في ا ، ن ، وفي س : « زنجدار » ، وفي ر : « ريجدان » وفي ط بدون نقط .

(٥) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(٦) س : « باح » ، ر ، ك : « راج » .

(٧) في ن : « فريال » وفي رس : « فرمال » .

(٨) س : « شاهمك » .

(٩) ر ، س : « سادى » .

(١٠) كذا في ا ، وفي ط : « فيزعمون » .

(١١) ا : « ونونجهان » .

(١٢) كذا في ا ، وفي ن : « سريقوار » ، وفي ط بدون نقط .

(١٣) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(١٤) ر ، ك : « ففكر » .

(١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أرؤس ، فهو الذي بدُّبَاوَنَد ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك الضحاك بعد جم - فيما يزعمون ، والله أعلم - ألف سنة ، ونزل السواد في قرية يقال لها نَرَس (١) في ناحية طريق الكوفة (٢) ، وملك الأرض كلها ، وسار بالبحر والعسف (٣) ، وبسط يده في القتل ، وكان أول من سنَّ الصَّلب والقطع ، وأول من وضع العُشور ، وضرب الدراهم ، وأول من تغنى وغنى له ، قال : ويقال إنه خرج في منكبهِ سِلْعَتَانِ (٤) فكانتا تضربان عليه ، فيشدنَّ عليه الوجد حتى يظليهما بدماع إنسان ، فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويظلي سِلْعَتِيهِمَا بدماعيهما ، فإذا فعل ذلك سكن ما يحيد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضحاك خبره راعه ، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألتست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال : فليكن كَتَلْبُكَ (٥) على الدنيا ، ولا يكوننَّ علينا خاصة ، فإنك إنما تقتلنا دون الناس . فأجابهُ الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يُقسِّمًا على الناس جميعاً ، ولا يخصَّ بهما مكان دون مكان . قال : فبلغنا أن أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذي رفع اللواء ، وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائنتهم (٦) ، وكان فيما بلغنا جلد أسد ، فألبسه ملوك فارس الذهب (٧) والديباج تيمناً به .

٢٠٥/١

قال : وبلغنا أن الضحاك هو سُمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

(١) نرس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « في ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعسف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة ؛ تمرور بين الجلد واللحم

إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائنتهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون هو^(١) من نسل جم الملك الذي كان [من]^(٢) قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنْبَاوَنَد ، خرج حتى ورد منزل الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى^(٣) على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوته ، وذهبت دولته ، فوثب^(٤) به أفريدون فأوثقه وصيَّره بجبال دُنْبَاوَنَد ؛ فالعجمُ تزعم أنه إلى اليوم مُوثق في الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أن الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أنثيان جاء إلى مسكن له في حِصْن يُدعى زرنج ماه مهرورز مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز^(٥) والأخرى سنوار . فوهل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرت مدلتها لا يعقل ، فضرب أفريدون هامته بجرز^(٦) له ملتوى الرأس ، فزاده ذلك وهلاً وعزوب عقل ، ثم توجه به أفريدون إلى جبل دُنْبَاوَنَد ، وشده هنالك وثاقاً ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهرورز - وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب - عيداً ، وعلا أفريدون سرير الملك .

وذكر عن الضحاك أنه قال يوم ملك وعقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، الماكون لما فيها .

والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا اللبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث ، وأن الضحاك كان غاصباً^(٧) وأنه غصب^(٨) أهل الأرض بسحره وخبثه ، وهوّل عليهم بالحيّتين اللتين كانتا على منكبَيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

(١) كذا في أ ، س ، ن ؛ وفي ط : « وهو » .

(٢) تكله من أ .

(٣) كذا في جميع الأصول ، وفي ن : « فاحتوى » .

(٤) ن : « فأقبل عليه » .

(٥) أ : « أروناز » ، س : « أردنان » ، ر ، ك : « أرونا » .

(٦) الجرز : عمود من حديد .

(٧) كذا في أ ، ر ، س ، وفي ط : « عاصيا » .

(٨) س : « غلب » .

سماها حوب^(١) ، وجعل التَّبَط أصحابَه وبِطانته ، فلقى الناسُ منه كلَّ جهد ، وذَبَح الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكُتُب : إن الذى كان على منكبيهِ كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كلُّ واحدة منهما كُراس الثعبان ، وأنه كان بخبثه^(٢) ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيتين ، وقد ذكرتُ ما رُوى عن الشعبيِّ في ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

• • •

وذكر بعضُ أهل العلم بأنساب الفرّس وأمورهم أنَّ الناس لم يزالوا من بيوراسب هذا في جهْد شديد ، حتّى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجلٌ من العامة من أهل أصبَهان يقال له كابي^(٣) ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصاً كانت بيده ، فعلقَ بأطرافها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك العَلَم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة ، فأسرع إلى إجابته خلق كثيرٌ ؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجور ، فلما غلب كابي تفاعل الناس بذلك العَلَم ، فعظّموا أمره ، وزادوا فيه حتّى صار عند ملوك العجم عَلمهم الأكبر الذى يتبركون به ، وسموه درِفَش كابيان^(٤) ، فكانوا لا يسيرونه^(٥) إلا في الأمور العظام ، ولا يُرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا في الأمور العظام . وكان من خبر كابي أنه شخصٌ عن أصبَهان بمن تبعه والتفَّ إليه في طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قذف في قلب الضحاك

٢٠٧/١

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى ها حوب » .

(٢) ر : « خبثه » .

(٣) ر : « كابي » .

(٤) ا : « درفتين كابيان » ، ر : « درقين كايان » ، ك : « دريس كاتيان » ، ن :

« نفس كابيان » .

(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرعب، فهرب عن منزله، وخلق مكانه، وانفتح للأعاجم فيه^(١) ما أرادوا، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملك، لأنه ليس من أهله، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جم، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنش بن فرواك الذي رسم الملك، وصبق إلى القيام به، وكان أفريدون بن أنفيان مستخفياً في بعض النواحي من الضحاك، فوافى كابي ومن كان معه، فاستبشر القوم بموافاته، وذلك أنه كان مرشحاً للملك برواية كانت لهم في ذلك، فللكوه، وصار كابي والوجه لأفريدون أعواناً على أمره، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، اتبعه فأسره بدناوند في جبالها.

وبعض المحوس تزعم أنه جعله أسيراً حبساً في تلك الجبال، موكلًا به قوم من الجن.

ومنهم من يقول: إنه قتله، وزعموا أنه لم يسمع من أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد، وهو أن بليته^(٢) لما اشتدت ودام جورُهُ وطالت أيامه، عظم على الناس ما لقوا منه، فراسل الوجه في أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافى بابه الوجه والمظما من الكور والنواحي، فتناظروا في الدخول عليه والتظلم إليه^(٣)، والتأتى لاستعطافه، فانفقوا على أن يقدموا للخطاب عنهم كابي الأصهباني، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا وكابي متقدم لهم^(٤)، فقتل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال: أيها الملك، أي السلام أسلم عليك؟ أسلام من يملك هذه الأقاليم كلها، أم سلام من يملك هذا الإقليم الواحد؟ يعني بابل، فقال له الضحاك: بل سلام من يملك هذه الأقاليم كلها، لأنى ملك الأرض. فقال له الأصهباني: فإذا كنت تملك الأقاليم كلها، وكانت يدك تناولها أجمع، فإنا قد خصصنا بمؤنتك

٢٠٩/١

(١) كذا في ا، س، ن، وفي ط: «ته».

(٢) ر: «نكته».

(٣) كذا في ا، ر، ك: «ته».

(٤) ن: «مقتسم».

وتحاملُك وإساءتُك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول في ذلك ، فقدح في قلب الضحّاك قوله ، وعَمِل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتألّف القوم ووعدهم ما يُحبّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتدعوا ، ثم يعودوا ليقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرّاً منه وأردّى ، وأنها كانت في وقت مُعاتبه القوم إياه بالقرب منه تتعرف ما يقولونه ، فتفتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة على الضحّاك احتماله القوم ، وقالت له : قد بلغنى كلّ ما كان وجرأة هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك^(١) بكذا ، وأسمعوك كذا ،^(٢) أفلا دمّرت عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم^(٣) !

فلما أكثرت على الضحّاك قال لها مع عتوه : يا هذه ، إنك لم تفكّرى في شيء إلا وقد سبقت إليه ، إلا أن القوم بدّهوني بالحق ، وقرّعوني^(٤) به ، فلما هممت بالسلطوة بهم والثوب عليهم تخیل^(٥) الحقّ آفقتل بيني وبينهم بمنزلة الجليل ، فإمكنتني فيهم شيء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام ، فوفى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثر حوائجهم ، ولا يُعرف للضحّاك - فيما ذكر - فعلة استحسننت^(٦) [منه]^(٥) غير هذه .

وقد ذكر أن عمر الأجدهاق^(٦) هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان سبائة سنة ، وأنه كان في باقى عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

(١) في ط : « فرعوك » ؛ وما أثبتته من أ ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٣) ١ : « أفلا دمّرت عليهم ودمدمتهم بهم ، أولاً قطعت أيديهم ! » . ودمدمتهم ودمدم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فرعوني » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس : لا نعلم أحداً كان أطول عمراً— ممن لم يُذكر عمره في التوراة — من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس ؛ فإنه يُذكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب في هذا الموضع ؛ لأنّ بعضهم زعم أن نوحاً عليه السلام كان في زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمردّ على الله ، فذكرنا لإحسان الله وأياديّه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبره على ما لقي منه^(١) من الأذى والمكروه في عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذريّته هم الباقيين في الدنيا ، وأبقى له ذكره بالثناء الجميل ، مع ما ذكر له عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمردهم عليه ، وخلافهم أمره ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذكر لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم .

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريّته ، إذ كانوا هم الباقيين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذريّتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحدٌ .

قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإنّ حام أبو السودان ، وإنّ يافث أبو الترك وأبو أجوج ومأجوج ، وهو بنو عمّ الترك .

(١) ط : « فيه » ، وما أثبت عن ا .

وقيل : كانت زوجة يافث أربيسة^(١) بنت مرازيل بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام ، فولدت له سبعة نفر وامرأة . فمن ولد له من الذكور جومر بن يافث وهو - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - أبوأجوج ومأجوج ، ومارح^(٢) بن يافث ووائل بن يافث ، وحوآن بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل^(٣) بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فن بنى يافث كانت يأجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحل^(٤) بنت مارب بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح ، وقوط بن حام بن نوح ، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنييل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القبط - قبط مصر - فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل^(٥) ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأسود : نوبة ، وفرآن ، والزنج ، والزغاوة ، وأجناس السودان كلها .

٢١٢/١

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في الحديث قال : ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن إلا عن دعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحاً نام فأنكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطها ، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوباً فواريا عورته ، فلما هب من نومه علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ، عبيداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربّي في سام ، ويكون حام عبد أخويه ، ويقرض الله يافث^(٦) ، ويحل في مساكن حام ، ويكون كنعان عبداً لهم^(٧) . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : « أدبيسة » .

(٢) ا ، ن : « مارح » .

(٣) ا : « هوشنك » ، س : « هوشد » . (٤) كذا في ا ، وفي ط مهمل .

(٥) كذا في ا ، ك ؛ وفي ط : « أربيل » .

(٦-٦) كذا في ا ، وفي ط : « ويحل في مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم » .

٢١٣/١ ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له نفراً : أرفخشذ بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام ، وكان لسام إرم بن سام ، قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا ؟

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ، وهي بين الفرات والصرّة ، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وكان بابها موضع دوران^(١) اليوم، فوق جسر الكوفة يسرّة إذا عبرت ، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف ، وهم على الإسلام .

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح ، فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس ، ووُلد للاوذ مع الفرس طسم وعمليق ، ولا أدري أهو لأمّ الفرس أم لا ؟ فعمليق أبو العماليق . كلهم أمم تفرقت في البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرَيْن وأهل عمان منهم أمة يُسمون جاسم ، وكان^(٢) ساكني المدينة منهم ، بنوهف وسعد بن هزان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراجل^(٣) وغفار ، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتياء اسمه الأرقم^(٤) ، وكانوا ساكني^(٥) نجد مع ذلك . وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم ، حتى من عبس الأول .

٢١٤/١

قال : وكان بنو أمّيسم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وبار بأرض الرمل ،

(١) دوران ، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبت من أ .

(٣) أ ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) أ : « من ساكني نجد » .

رمل عاليج، وكانوا قد كثروا بها ورَبَلُوا^(١)؛ فأصابتهم من الله عز وجل نعمة من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقية، وهم الذين يقال لهم النسناس.

قال: وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها، قد كثروا بها ورَبَلُوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأمَّيم وجاسم قومًا عَرَبًا، لسانهم الذي جَبَلُوا عليه لسان عَرَبِيّ. وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس، يتكلمون بهذا اللسان الفارسيّ.

قال: وولد إرم بن سام بن نوح عَوْص بن إرم، وغائثر^(٢) بن إرم، وحويل بن إرم. فولد عوص بن إرم غائثر بن عوص، وعاد بن عوص، وعبيل ابن عوص. وولد غائثر بن إرم ثمود بن غائثر، وجديس بن غائثر. وكانوا قومًا عَرَبًا يتكلمون بهذا اللسان المَضْرِيّ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم: العرب العاربة، لأنه لسانهم الذي جَبَلُوا عليه، ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم: العرب المتعربة، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمرود والعماليق وأمَّيم وجاسم وجديس وطسم هم العرب؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حَضْرَمَوْت واليمن كله، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرَى وما حوله، ولحِقَتْ جديس بطسم، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جَوّ، وسكنت جاسم عُمان فكانوا بها.

وقال غير ابن إسحاق: إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا ليافت بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء ليافت وقدّمه في ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغير لونه، ويكون ولده عبيدًا لولد سام ويافت.

قال: وذكر في الكتب أنه رَقَّ على حام بعد ذلك، فدعا له بأن يرزق الرأفة من إخوته، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولحامير بن يافت بن نوح،

(١) ربلوا: كثر عددهم.

(٢) س: «عابر»، ك: «غابر».

وذلك أن عدّة من ولد الولد لحقوا نوحاً فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدّة منهم .

٢١٦/١

قال : فولد لسام عابر وعُليم وأشوذ وأرفخشذ ولاوذ وإرم^(١)، وكان مقامه بمكة . قال : فن ولد أرفخشذ الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلّها من الترك والخرز وغيرهم ، والفرس الذين آخروا من ملك منهم يزيد جرد بن شهريار ابن أبرويز ، ونسبه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال : ويقال إن قومًا من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نزّعوا إلى جامر هذا ، فأدخلهم جامر في نعمته ومملكه ، وأن منهم ماذى بن يافث ، وهو الذي تُنسب السيوف الماذية إليه . قال : وهو الذي يقال إن كيرش الماذوي قاتل بلشصر^(٢) بن أولرودخ بن بمختنصر من ولده .

قال : ومن ولد حام بن نوح، النوبة، والحبيشة، وقزّان، والهند، والسند، وأهل السواحل في المشرق والمغرب .

قال : ومنهم نمرد ، وهو نمرد بن كوش بن حام .

قال : وولد لأرفخشذ بن سام ابنة قينان، ولا ذكّر له في التوراة ، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلّة ، لأنه كان ساحراً، وسمى نفسه إلهًا، فسيفت المواليد في التوراة على أرفخشذ بن سام ثم على شالّخ بن قينان بن أرفخشذ من غير أن يذكر قينان في النسب ، لما ذكر من ذلك .

قال : وقيل في شالّخ : إنه شالّخ بن أرفخشذ من ولد لقينان . وولد لشالّخ عابر . وولد لعابر ابنان : أحدهما فالغ ، ومعناه بالعربية قاسم — وإتما سمي بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تلبلت في أيامه — وسمى الآخر قحطان . فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالّخ ، فترلا أرض اليمن، وكان قحطان أول من ملك اليمن، وأول من سلّم عليه «أبييت اللّعن» ، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا — وولد لأرغوا ساروغ ، وولد لساروغ ناحورا ، وولد لناحورا تارّخ — واسمه بالعربية آزر — وولد لتارّخ

٢١٧/١

(١) في سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشار ولوذ وآرام . »

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشصر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشذ أيضاً نمرود بن أرفخشذ ، وكان منزله بناحية الحجر . وولد للاوذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة . وولد للاوذ أيضاً عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فنههم كانت العماليق ، ومن العماليق القراعة بمصر . وولد للاوذ أيضاً أميم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولد ، فترع بعضهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عوص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرايم^(١) وقوط وكتعان ، فن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببايل ، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفزان . قال : ويقال : إن مصرايم ولد القبط والبربر ، وإن قوطاً صار إلى أرض الهند والهند فتزها ، وإن أهلها من ولده .

وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج^(٢) وموادي^(٣) ويوان^(٤) وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس . ومن ولد تيرش الترك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم في شرق أرض الترك والخزر . ومن ولد يوان الصقالية وبرجان والأشبان ، كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضاً ، فسكنوها ودفنوا غيرهم عنها .

٢١٨/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل المال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس : والعرب والفرس والنبط والهند والسنند من ولد سام بن نوح .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

(١) ن : «مصرايم» . (٢) كذا في ا ، ر ق ط : «موعج» .

(٣) ا : «موراي» . ن : «مورالي» . (٤) ط : «يوان» .

محمد ، عن أبيه : قال : الهند والسند بنو توقير ^(١) بن يقطن بن عابر بن شالغ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . ومكران بن البند ، وجهرم ، اسمه هذرم ^(٢) بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالغ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالغ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، في قول من نسبته إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش ^(٣) بن ناسور بن نوح . والنَّبِيطُ بنو نبيط بن ماش ابن لارم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن لارم بن سام ابن نوح . وعمليق - وهو عَرَبِيٌّ - وطسم وأمِّيم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعِمْليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثُمَيْلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فرقيش بن قيس بن صيني بن سبأ .

ويقال : إن عمليق أول مَنْ تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل ؛ فكان يقال لهم وُجْهرم : العربُ العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن لارم بن سام ابن نوح ، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن لارم بن سام بن نوح ، والروم بنو لنطي ^(٤) ابن يونان بن يافث بن نوح . وتمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

قال : وكان يقال لعاد في دهرهم عادُ لارم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود لارم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني لارم : لارمان ؛ فهم النَّبِيطُ ، فكل هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملكتهم تمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبس الله ألسنتهم ، فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً ، ولبني حام ثمانية عشر لساناً ، ولبني يافث

(١) كذا في ا وهو يوافق ما في ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفي ر : « بنوقين » ، وفي ن :

« تيفين » .

(٢) أ : « هذوم » .

(٣) كذا في ا ، وفي ر : « نبرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفي ط مهمل .

(٤) أ : « ليطي » .

سنة وثلاثون لسانًا ، ففهم الله العربيةَ عادًا وعَبِيلَ وِثْمودَ وَجَدَيْسَ وَعِمْلِيْقَ
وَطَسْمَ وَأَمِيْمَ وَبَنِي يَقْظَنَ بِنِ عَابِرِ بِنِ شَالِحِ بِنِ أَرْفَخْشَدِ بِنِ سَامِ بِنِ نُوحِ .

وكان الذي عقد لهم الألوية بيبايل بوناظر^(١) بن نوح ، وكان نوح فيما حدثني
الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي عن
أبي صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بني قابيل ، فولدت له غلامًا ،
فسماه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون^(٢) شمسًا ، فنزل بنو سام
المجدد^(٣) سرّة^(٤) الأرض ، وهو ما بين سائيدمّا^(٥) إلى البحر ، وما بين
اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوة والكتاب والحمال والأدمة والبياض فيهم .
ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم^(٦) ، وجعل الله
فيهم أدمة وبياضًا قليلًا ، وأعمّر بلادهم وسماهم ، ورفع عنهم الطاعون ،
وجعل في أرضهم الأثل والأراك والعُشْرَ والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر
في سماهم . ونزل بنو يافث الصّفون مجرى الشمال والصبأ ، وفيهم الحمرة والشقرة ،
وأحل الله أرضهم فاشتدّت بردها ، وأحلّ سماهم ، فليس مجرى فوقهم شيء من
النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدى والفرقدين ،
فابتلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشحر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ،
فلحقتهم بعد مهرة بالشحر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق
بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها
عبيل ، فنزلوا موضع الجحفة ، فأقبل السيل فاجتحنفهم فذهب بهم فسميت
الجحفة . ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم ، ولحقت طسم وجديس
باليمامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبار فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر ،
ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أميم .

٢٢١/١

(١) : « بوناظر » ، ن : « نوياطن » .

(٢) : « معلون » .

(٣) : الجبل ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .

(٤) : « من الأرض » .

(٥) : سائيسما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من

تحت ؛ ودال مهلة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » . (٦) : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقظن بن عابر باليمن ، فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها ، ولحق قوم من بني كنعان بالشام فسميت الشام حيث تشاءموا إليها ، وكانت الشام يقال لها أرض بني كنعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونفّوهم عنها ، فكانت الشام لبني إسرائيل . ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم ، وأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام ، وكان فالغ - وهو فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح - هو الذي قسم الأرض بين بني نوح كما سمينا .

٢٢٢/١

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا في أنساب الأمم التي هي في الأرض اليوم ، فعلى ما حدثني أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثني روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح سام وحام ويافث » . قال عبد الله : قال روح : أحفظ « يافث » ، وسمعت مرة « يافت » .

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة وعمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٢٣/١

حدثني عمران بن بكّار الكلاعي قال : حدثنا أبو اليان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولد حام القبط والسودان والبربر .

وروي عن ضمّرة بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولد حام كل أسود جعد الشعر ، وولد يافث كل عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كل حسن الوجه حسن الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألا يعدو شعره ولده آذانتهم ، وحيثما لقي ولده ولد سام استعبدهم .

وزعم أهل التوراة أن سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشذ بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستان ، فكان (١) جميع عمر سام - فيما زعموا - ستمائة سنة . ثم ولد لأرفخشذ قينان ، وكان عمر أرفخشذ أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشذ بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب فيما ذكر لسا ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالخ كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

٢٢٤/١

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا ينفرقون ، أو صرح عال يجرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يفرقون ، فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم ، ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له ، فبدد شملهم (٢) ، وشتت جمعهم ، وفرق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعاً وسبعين سنة .

(١) : « وكان » .

(٢) ط : « وبددهم » ؛ وما أثبت عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور^(١) ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذي سماه أبوه ، فلما صار مع عمرو قيسما على خيـزاة آلهته سماه آزر . وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قول يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيبٌ عابه به بمعنى « معوج » ، بعد ما مضى من عمر ناحور ٢٢٥/١ سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة .

وولد لتارخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وكان بعض أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يعرب ، فولد يعرب يشجب بن يعرب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو ابن سبأ ، والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ ومر بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عدى بن عمرو ، فولد عدى نحم بن عدى وجدآم بن عدى .

• • •

وقد زعم بعض نسائي الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الازدهاق ، وسلبه ملكة . وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذي قضى له بئر السبع^(٢) ، الذي ذكر الله في كتابه . وقال بعضهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

(١) ١ : « ناحور » ر : « يا حور » ، س : « يا حور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبي في تفسيره ١١ : ٤٧ عن السهيلي أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن^(١) نوحاً إنما كان أرسل - في قول من ذكرت عنه أنه قال : كان هلاك الضحاك على يدى نوح -^(٢) حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قوم الضحاك .

فأما الفرس فإنهم ينسبونه النسبة التي أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جهم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق ، على ما قد بيّنا من أمره قبل ، وأن بينه وبين جهم عشرة آباء .

وقد حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : بلغنا أن أفريدون - وهو من نسل جهم الملك الذي كان من قبل الضحاك ، قال : ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مؤنثه بُدْتَبَاوند - خرج حتى ورد منزل الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتي سنة ، وردّ المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما كان الضحاك غصّب الناس من الأرضين وغيرها، فردّ ذلك كلّهُ على أهلِهِ، إلا ما لم يجد له أهلاً ، فإنه وقفه على المساكين والعامّة . قال : ويقال إنه أوّل مَنْ سُمي الصوّافي ، وأوّلُ من نظر في الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين : اسم الأكبر سلّم^(٣) ، والثاني طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدون تخوف ألا يتفق بنوه، وأن يبغي بعضهم على بعض ، فقسّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك في سهام كتب أسماهم عليها ، وأمر كل واحد منهم فأخذ سهماً ، فصارت الروم وناحية المغرب لسلم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث - وهو إيرج - العراق والهند ، فدفع التاج والسريز إليه ، ومات أفريدون ، فوثب بإيرج أخواه فقتلاه ، وملكوا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة .

قال : والفرس تزعم أن لأفريدون عشرة آباء ، كلهم يسمى اثنيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحاك على أولادهم ، لرواية كانت عندهم ، بأن بعضهم يغلب الضحاك على ملكه، ويُدرك منه تأرجم ،

(١ - ١) كذا وردت العبارة في ١ .

(٢) في الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتي .

وكانوا يعرفون ويميّزون بألقاب لقبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أنفيان صاحب البقر الحمر ، وأنفيان صاحب البقر البلق ، وأنفيان صاحب البقر الكدر^(١) . وهو أفريدون بن أنفيان بُوكاو - وتفسيره صاحب البقر الكثير - بن أنفيان نيككاو - وتفسيره صاحب البقر الحياض ، بن أنفيان سيركاو^(٢) - وتفسيره صاحب البقر السمان العظام - بن أنفيان بوركاو - وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش - بن أنفيان أخشين كاو - وتفسيره صاحب البقر الصفر - بن أنفيان سياه كاو - وتفسيره صاحب البقر السود - بن أنفيان اسبيذكاو - وتفسيره صاحب البقر البيض - بن أنفيان كبيركاو - وتفسيره صاحب البقر الرمادية - بن أنفيان رمين - وتفسيره كلّ ضرب من الألوان والقطعان - بن أنفيان بنقر وسن ؛ بن جم الشاذ .

وقيل : إن أفريدون أول من سُمي بالكبيّية فقبل له : كَيّ أفريدون ، وتفسير الكبيّية أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روحاني ، يعنون به أن أمره أمر مخلص متزه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كَيّ » أي طالب الدخّل^(٣) ، ويزعم بعضهم أن « كَيّ » من البهاء ، وأن البهاء تعشّى أفريدون حين قتل الضحّاك ؛ وتذكر العجم من الفُرس أنه كان رجلاً جسيماً وسيماً بهياً مجرباً ، وأن أكثر قتاله كان بالجرز ، وأن جرزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرج العراق ونواحيها كان في حياته ، وأن أيام إيرج داخله في ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلّها ، وتنقل في البلدان ، وأنه لما جلس على سريره يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناس ، فأمرهم بالتناصف وتعاطى الحقّ وبذل الخير بينهم ، وحشّهم على الشكر والتمسك به ، ورتب سبعة من القوهيارين^(٤) - وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب - وصيّر إلى كل واحد منهم ناحية من دُنْبَاوند وغيرها على شبيهه بالتمليك . قالوا : فلما ظفر بالضحّاك قال له الضحّاك : لا تقتلني بجدك

(١) كذا في أ ، وفي ط : « الكذا » .

(٢) أ ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س : « سوكاو » .

(٣) ك : « الجمل » .

(٤) أ : « القوهيارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدون منكراً لقوله : لقد سميت بك همتك ، وعظمت في نفسك حين قدرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفتاً له في القود ، وأعلمه أنه يقتله بشور كان في دار جدّه . وقيل إن أفريدون أول من ذلّل الفيّلة وامتطأها ، ونَتَجَ البغال ، واتخذ الإوز والحمام ، وعالج الدّرياق^(١) ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسم الأرض بين أولاده الثلاثة : طوج وسلم وإيرج ، فللك طوجاً ناحية الترك والخزر والصين ، فكانوا يسمونها صين بضعاً ، وجمع إليها النواحي التي اتصلت بها ، ومالك سلماً ابنة الثاني الروم والصقالبة والبُرْجان وما في حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرهما - وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث^(٢) بعد أن جمع إلى ذلك ما اتصل به من السند والهند والحجاز وغيرها - لإيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبّهم إليه . وبهذا السبب سُمّي إقليم بابل لإيران شهر ، وبه أيضاً نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد ، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضاً بالدماء والثرات . وقيل : إن طوجاً وسلماً لمّا علما أن أباهما قد خصّ لإيرج وقدّمه عليهما أظهرأ له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمى بينهم إلى أن وثب طوج وسلم على أخيهم إيرج ، فقتلاه متعاونين^(٣) عليه ، وأن طوجاً رماه بوَهق^(٤) فخنقه ، فن أجل ذلك استعملت الترك الوَهق ، وكان لإيرج ابنان ؛ يقال لهما وندان^(٥) وأسطوبة^(٦) ، وابنة يقال لها خوزك^(٧) ، ويقال خوشك ، فقتل سلم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

٢٣٠/١

وقيل : إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحّاك كان روزمهر من مهرماه ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليمة الضحّاك عن الناس ، وسماه المِهْرَجَان ؛

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .

(٢) ا ، س : « خنارث » ، ك : « خنارث » ، ن : « خنهارث » .

(٣) ن : « متعاونين » .

(٤) الوَهق : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٥) ك : « وندان » ب : « وندان » .

(٦) كذا في ا ؛ وفي ر : « أستويه » ، وفي ن : « أستويه » ، وفي ك : « وسطونة » وفي ط مهمل .

(٧) ا : « خوزك » .

فقيل : إن أفريدون كان جباراً عادلاً في ملكه ، وكان طولُه تسعة أرماع ، كلُّ رمع ثلاثة أبواع ، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماع ، وعرض صدره أربعة أرماع ، وأنه كان يتبع مَنْ كان يقي بالسودان من آل نمرود والنَّبِط ، وقصدهم حتى أتى على وجوههم ، وبها أعلامهم وآثارهم ؛ وكان ملكه خمسمائة سنة .

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ، ومساكن كل فريق منهم ، وأى ناحية سكن من البلاد . وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه وتمادوا في غيبتهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عوص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهى عاد الأولى ، والثانى عمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العرب العاربة .

• • •

فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب من يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صداء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء^(١) . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وترك ظلم الناس ، فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم ، فقال لهم : ﴿ أَتَمْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ ﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ أَعْيُنِكُمْ مَخْلُودُونَ ۚ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۚ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۚ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ . فكان جوابهم له أن قالوا :

(١) : « الهباء » .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَزَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^(١). وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۗ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾^(٢)، فحبس الله عنهم - فيما ذكر - القَطْرَ سنين ثلاثا ؛ حتى جاهدوا ، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم .

فكان من قصصهم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبيّاش ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فررت بامرأة بالربذة ، فقالت : هل أنت حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلد السيف ، وإذا^(٣) رايات سودٌ ، قال : قلت : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أتيتُه فاستأذنته ، فأذن لي ، فقالت : يا رسول الله ، إنّ بالباب امرأةً من بني تميم ، قد سألتني أن أحملها إليك ، قال : يا بلال ، ائذن لها ، قال : فدخلت ، فلما جلست قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت الدبيرة^(٤) عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدّهناء بيننا وبينهم فعلت ، قال : تقول المرأة فأين تضطر مضرك يا رسول الله ؟ قال : قلت : مثلي مثل معزى حملت حتفناً ، قال : قلت : أو حملتكم تكونين على خصما ! أعوذ بالله أن أكون كوفد^(٥) عاد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وفد عاد ؟ قال : قلت : على الخبير سقطت ؛ إن عاداً قحطت ، فبعثت من يستسقى لها ، فرأوا على بكر بن معاوية بمكة يستقيهم الحمر ، وتغنّيتهم الجرادتان شهراً ، ثم بعثوا رجلاً من عنده ، حتى أتى جبال مهرة ، فدعا ، فجاءت سحابات ، قال : وكلّما جاءت قال :

(١) سورة الشعراء ١٢٨ - ١٣٦

(٢) سورة هود ٥٣ ، ٥٤

(٣) ط والنفسير « فإذا » ، وما أثبتته من ا .

(٤) الدبيرة عليهم ، أي الهزيمة ، وفي ا : « الدائرة » .

(٥) ا والنفسير : « وافد » .

اذهبي إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنودی [منها] ^(١): خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَاداً ^(٢)،
لا تَدْعُ من عاد أحداً. قال: فسمعه وكتهم حتى جاءهم العذاب.

قال أبو كريب: قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد، قال: فأقبل
الذي أتاهم، فأتى جبال مَهْرَةَ فصعد فقال: اللهم إني لم أجثك لأسير فأفاديه،
ولا لمريض أشفيه، فأسقى عاداً ما كنت مُسْقِيَهُ ! قال: فرُفِعَتْ له سحابات.
قال: فنودی منها: اختر، فجعل يقول: اذهبي إلى بني فلان [اذهبي إلى
بني فلان] ^(١). قال: فررت آخرها سحابة سوداء؛ فقال: اذهبي إلى عاد.
قال: فنودی منها: خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَاداً، لا تَدْعُ من عاد أحداً. قال:
وكتهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون. قال: وكره بكر بن معاوية أن يقول
لهم من أجل أنهم عنده، وأنهم في طعامه. قال: فأخذ في الغناء وذكّرهم ^(٣).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن حُبَاب، قال: حدثنا سلام
أبو المنذر النَّحْوِيُّ، قال: حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن الحارث بن
يزيد البكري، قال: خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فررت بالربذة، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم، فقالت:
يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله حاجة، فهل أنت مُبْلِغِي إليه؟ قال:
فحملتها، فقدمت المدينة - قال أبو جعفر: أظنه أنا قال: « فإذا رايات
سود » - قال: قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث بعمر بن العاص
وجهاً. قال: فجلست حتى فرغ، قال: فدخل منزله - أو قال رحلته -
فاستأذنت عليه، فأذن لي. قال: فدخلت فقعدت، فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم: هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قال: قلت: نعم،
وكانت الدبيرة عليهم، وقد مررت بالربذة، فإذا عجوز منهم منقطع بها،
فسألتنى أن أحملها إليك، وها هي بالباب، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلت، فقلت: يا رسول الله، اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزاً،
فحميت العجوز واستوفزت، وقالت: فأين تضطرّ مضرك يا رسول الله؟ قال:

٢٣٤/١

(١) تكلّة من ا والتضير .

(٢) الرميد: المتناهي في الاحتراق . (٣) الخبر في التفسير ١٢: ٥١٣ - ٥١٥ .

قلت : أنا كما قالوا : «معزى حملت حَتَفًا»^(١) ، حملت هذه ولا أشعر أنها كائنة
 لى خصماً ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافد عاد ؟ قلت :
 على الخبير سقطت ، قال : وهو يستطعمنى^(٢) الحديث قلت : إن عاداً قَحِطُوا
 فبعثوا «قَيْلًا» وافدًا ، فنزل على بَكْرٍ ، فسقاه الخمر شهرًا ، وتغنيه جاريتان
 يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مَهْرَةَ ، فنادى : إني لم أجد مريض
 فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم أسق عاداً ما كنت تُسقيه ! فررت به
 سحابات سود ، فنودى منها : خذها رماداً رَمَدًا ، لا تبقى من عاد أحدًا .
 قال : فكانت المرأة تقول : لا تكن كوافد عاد ، فما بلغنى أنه أرسل عليهم من
 الريح يا رسول الله إلاّ قدرَ ما يجرى في خاتمي . قال أبووائل : وكذلك بلغنى^(٣) .

وأما ابن إسحق فإنه قال كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ٢٣٥/١
 أن عاداً لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفدًا إلى مكة
 فيستسقوا لكم ، فبعثوا قَيْلَ بن عتر ولُقَيْمَ بن هزَال بن هزِيل بن عَتَيْل
 ابن صدِّ بن عاد الأكبر ، ومَرْثَدَ بن سعد بن عَفِير - وكان مسالمًا يكتم
 إسلامه - وجُلْهُمَةَ بن الخبيري ، خال معاوية بن بكر أخا أمه ، ثم بعثوا
 لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدِّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلُّ رجل
 من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلاً ، فلما
 قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجًا من الحرم ، فأنزلهم
 وأكرمهم ، وكانوا أخواله وصهره . وكانت هزيلة ابنة بكر أخت معاوية بن
 بكر لأبيه وأمّه كلهدة ابنة الخبيري عند لُقَيْمِ [بن هزَال بن عَتَيْل بن صد
 ابن عاد الأكبر^(٤)] ، فولدت له عبيد بن لُقَيْمِ بن هزَال وعمرو بن لُقَيْمِ بن هزَال
 وعامر بن لُقَيْمِ بن هزَال وعمير بن لقيم بن هزال ، فكانوا في أخوالهم بمكة
 عند آل معاوية بن بكر ، وهم عاد الأخيرة التي بقيت من عاد الأولى . فلما نزل

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبت من التفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست
 للتأنيث ؛ ذكره سيويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يحدته . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٦ - ٥١٨ .

(٤) تكلمة من أ .

٢٣٦/١ وقد عادى على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنيهم
الجرادتان - قيتتان لمعاوية بن بكر - وكان مسيرهم شهراً ، ومقامهم شهراً ،
فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم ، وقد بمئهم قومهم يتغوثون بهم^(١)
من البلاء الذى أصابهم ، شق ذلك عليه فقال : هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء
مقيمون عندى ، وهم ضيفى نازلون على ، والله ما أدرى : كيف أصنع بهم !
أستحى أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه ، فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم
عندى ، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال .
فشكا ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنيهم به
لا يذرون من قاله ، لعل ذلك أن يحركهم ! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا
عليه بذلك :

ألا يا قيل ، ويحك قم فهينم
فيسقى أرض عاد ، إن عاداً
من العطش الشديد ، فليس نرجو^(٢)
وقد كانت نأوهم بخير
وإن الوحش تأتيهم جباراً
وأتم ها هنا فيما اشتبهتم
فقبح وفدكم من وفد قوم
لعل الله يسقينا غماماً^(٣)
قد أمسوا لا يبينون الكلاما
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
فقد أمست نأوهم عيامى^(٤)
ولا تخشى لعادى يسهاما
نهاركم وليلكم التماما
ولا لقوا التحية والسلاما !

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنثهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنثنا
به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء
الذى نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ،
فقال مرتد بن سعد بن عفير : إنكم والله لا تسقون بدعائكم ؛ ولكن إن أطعتم

(١) ر : « لهم » وفى التفسير : « يتغوثون » ،

(٢) ا ، ر ، ك والتفسير : « يصيبنا غماماً » ، والطبيعة : الكلام الخفى .

(٣) ط : « يرجى » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، والتفسير .

(٤) اللسان : المرأة التى مات زوجها ولا مال لها يقال لها : عى وأمى ، والجمع عيام .

نبييكم، وأنبئتم إليه سقيم. فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جلهمة بن الخبيري، خال معاوية بن بكر حين سمع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود وأمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ ذَوِي كَرَمٍ وَأُمَّكَ مِنْ ثَمُودِ
فَإِنَّا لَنْ نَطِيعَكَ مَا بَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تَرِيدُ
أَتَامَرْنَا لِنَتْرِكَ آلَ رِفْدٍ^(١) وَزَمَلْ وَآلَ صُدٍّ وَالْعَبُودِ^(٢)
وَنَتْرِكَ دِينَ آبَاءِ كَرَامِ ذَوِي رَأْيٍ وَنَتَّبِعُ دِينَ هُودِ

ورفد وزمل وصدّ قبائل من عاد، والعبود منهم. ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر: احبسا عنا مَرْتَدُ بن سعد فلا يقدمن معنا مكة؛ فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا. ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد، فلما ولّوا إلى مكة خرج مَرْتَدُ بن سعد من منزل معاوية، حتى أدركهم بها قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له. فلما انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون. فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد. وكان قبيل بن عتر رأس وفد عاد. وقال وفد عاد: «اللهم أعطي قبلا ما سألك، واجعل سؤلنا مع سؤلهم». وقد كان تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد، وكان سيد عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال: اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي. وقال قبيل بن عتر حين دعا: يا إلهنا، إن كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا. فأنشأ الله سحاب ثلاثا: بيضاء وحمراء، وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قبيل، اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب. فقال: قد اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماء، فناداه مناد: اخترت رمادا ريمد دأ، لا تبي من عاد أحدا، لا والداً ترك ولا ولداً، إلا جعلته هميداً، إلا بني اللوذية المهدي^(٣)—وبنو اللوذية

(١) كذا في ١، وفي ط والتفسير: «دين رفا».

(٢) همدا؛ أي هالكاً.

(٣) كذا ضبط في ١ بضم الميم وفتح الدال.

بنو لُقَيْمِ بن هَزَال بن هَزِيل بن هَزِيلَة ابنة بكر ، كانوا سُكَّانًا بِمَكَّةَ مع
أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم
الذين بقوا من عاد -

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قَبِيلُ بن عتر بما فيها
من النعمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغِيثُ . ولما رأوها
استبشروا بها، وقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ
مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (١)،
أى كل شيء أمِرت به. فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح - فيما يذكرون -
امرأة من عاد يقال لها مَهْدَدُ، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعقت ، فلما
أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مَهْدَدُ ؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كَشَهَبُ النار،
أمامها رجال يُقودونها. فسخرها الله عليهم ﴿سَبَّحَ لَيْلًا وَنَهَارًا أَيَّامَ حُسُومًا﴾،
كما قال الله: وَالْحُسُومُ: الدائمة ، فلم تدع من عادٍ أحداً إلا هلك .

٢٣٩/١

فاعترل هود - فيما ذكر - ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يبصيه ومن
معه منها إلا ما تكلم عليه الجلود، وتلذذ الأنفُسُ، وإنها لتُسرُّ من عاد بالظن
ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وقد عاد من مكة حتى
مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فترلوا عليه ، فبيناهم عنده، إذ أقبل رجل على ناقة
له في ليلة مقمرة مُسَيِّ (٢) ثلاثة من مصاب عاد، فأخبرهم الخبر، فقالوا : فأين
فارقت هوداً وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكوا فيما
حدثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر: صدقَ وربُّ مكة (٣) . وثوبُ بن يعفر بن
أخى معاوية بن بكر معهم . وقد كان قبيل - فيما يزعمون والله أعلم - سلرند بن
سعد ولقمان بن عاد، وقبيل بن عتر حين دعوا بمكة : قد أعطيتُم منّاكم
فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدَّ من الموت ،
فقال مَرْتَدُ بن سعد: يا ربِّ ، أعطني براً وصدقاً ، فأعطيني ذلك ، وقال

٢٤٠/١

(١) سورة الأحقاف ٢٤ : ٢٥ .

(٢) كذا في ا ، س ، وفي ط : « مساه » .

(٣) الخبر إل هنا في التفسير ١٢ : ٥٠٩ - ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطني عُمرًا ، فقبل له : اختر لنفسك ، إلا إنه لاسبيل إلى الخُلْد : بقاء أيُّعار^(١) ضان عُفر ، في جبل وعر ، لا يُلقي به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْر حلوت إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسر ، فَعَمَّرَ - فما يزعمون - عُمر سبعة أنسر ؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكر منها لقوته ؛ حتى إذا مات أخذ غيره ، فلم يزل يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كل نَسْر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان : أي عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أي ابن أخي : هذا لُبْدٌ - ولُبْدٌ بلسانهم الدهر - فلما أدرك نَسْر لقمان ، وانقضى عمره ، طارت النسر غداة من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لُبْدٌ ، وكانت نسر لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هي بعينه^(٢) . فلما لم ير لقمان لُبْدًا نهض مع النسر ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبْدٌ ، فوجد لقمان في نفسه وهنًا لم يكن يجده قبل ذلك ، فلما انتهى إلى الجبل رأى نسرهُ لُبْدًا واقعًا من بين النسر ، فناداه : انهض لُبْدٌ ، فذهب لُبْدٌ لينهض فلم يستطع ، عريت قوادمه وقد سقطت ؛ فاتا جميعًا .

٢٤١/١

وقيل لقبل بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب : اختر لنفسك كما اختار صاحبك ، فقال : أختار أن يصيبني ما أصاب قومي ، فقبل : إنه الهلاك ، قال : لا أبالي ؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم . فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مَرْتَد بن سعد بن عُفَيْر حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ فَأَمْسَوْا عَطِشًا مَا تَبَلَّهُمُ السَّمَاءُ
وَسِيرَ وَقَدَّهُمْ شَهْرًا لِيَسْقُوا فَأَرَدَقَهُمْ مَعَ الْعَطَشِ الْعَمَاءُ
بَكْفَرِهِمْ بِرَبِّهِمْ جِهَارًا عَلَى آثَارِ عَادِهِمُ الْعَفَاءُ
الْأَتْرَعُ الْإِلَهُ حُلُومَ عَادٍ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ قَفْرٌ هَوَاءُ

(١) الأيمار : جمع يمر ؛ وهي الشياه .

(٢) كذا في ١ ، س ، ن ، وفي ط : « تسميته » .

مِنَ الْخَبْرِ الْمُبِينِ أَنْ يَعُوهُ
فَنَفْسِي وَأَبْنَتَايَ وَأُمَّهُ وَوَلَدِي
أَنَا وَالْقَابُ بُ مُصَمَّدَاتُ
لَنَا صَمٌّ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ
فَأَبْصَرَهُ الَّذِينَ لَهُ أَنْبَاؤُا
فَأَبَى سَوْفَ الْحَقِّ آلَ هُودٍ
وَمَا تُفْنِي النَّصِيحَةَ وَالشَّقَاءَ (١)
لِنَفْسٍ نَبِينًا هُودٍ فذاه
عَلَى ظُلْمٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ الضَّمِيَاهُ
يُقَابِلُهُ صُدَاهُ وَالْهَبَاهُ
وَأَذْرَكَ مَنْ يُكْذِبُ بِالشَّقَاءِ
وَإِخْوَتَهُ إِذَا جَنَّ السَّمَاءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخَلَجَان .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا أبي ، عن إسماعيل بن عياش ،
عن محمد بن إسحاق ، قال : لما خرجت الرياحُ على عاد من الوادي ، قال سبعة
رهط منهم ، أحدهم الخَلَجَان : تعالوا حتى نقومَ على شقير الوادي فزدها ،
فجعلت الرياحُ تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندلق عنقه ،
فتتركهم كما قال الله عز وجل : ﴿ صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴾ (٢)
حتى لم يبق منهم إلا الخَلَجَان ، قال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزّه فاهتز
في يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَلَجَانُ نَفْسُهُ بَالِكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِي أَمْسُهُ
بِتَابِتِ الْوَطْءِ شَدِيدٍ وَطُسُهُ لَوْ لَمْ يَحْضِي جِسْتُهُ أَجْسُهُ

فقال له هود: ويحك يا خَلَجَان! أسلمت تسلم ، فقال له : وما لي عند ربك
إن أسلمت ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم
البُخْت ، قال هود : تلك ملائكة ربي ، قال : فإن أسلمت أيعيدني
ربك منهم ؟ قال : ويالك ! هل رأيت ملكاً يعيد من جنده ! قال : أرفعل
ما رضيت ، قال : ثم جاءت الرياحُ فألحقت بأصحابه ، أو كلاماً هذا معناه .
قال أبو جعفر : فأهلك الله الخَلَجَان ، وأقنى عاداً خلا من بقي

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجى الله هوداً ومن آمن به . وقيل : كان عمر هود مائة سنة وخمسين سنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ۱﴾ ؛ إن عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن ، فكذبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۗ ۲﴾ ؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قححط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ، وذلك أن هوداً دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهى الريح التى لا تُلْقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ، حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهم من البيوت ، فأصابتهم ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿ مُسْتَمِرًّا ﴾ ۳ استمر عليهم بالعذاب . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ ۴ ، حسمت كل شىء مرت به ، حتى أخرجتهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْبُيُوتِ ، كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۗ ۵﴾ ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةً ﴾ ۶ خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى في سورة الحاقة ٧ : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ

نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۗ .

فألقتهم فيه ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ﴾ (١) .
 ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم ،
 فلم يعلموا كم كان مكيالها ؟ فذلك قوله : ﴿ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صِرَاصٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٢) .
 والصرصر : ذات الصوت الشديد .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
 قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذبهم الله بالريح
 التي عذبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن
 لم يكن في بيت هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم .

• • •

وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ؛ فبعث
 الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ (٣) بن عبيد بن خادر بن ثمود
 ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولا يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
 بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسف بن كماش بن إرم بن ثمود بن جاثر
 ابن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
 هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَمُودُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
 مُرِيبٍ ﴾ (٤) . وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار ، وكانوا يسكنون الحِجْرَ

(١) سورة الأحقاف ٢٥

(٢) سورة الحاقة ٦ (٣) ١ : « ماشخ » .

(٤) سورة هود ٦٢ .

إلى وادي القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم وطمعيتهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقاً فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : اثنا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبَةِ من الأرض ؛ فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ، ثم تفرجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .^(١) ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٢) فلما ملئوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ .^(٣) قال عبد العزيز : وحدثني رجل آخر أن صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمراً ، واليوم الثاني صُفراً ، واليوم الثالث سُوداً ، فصبتهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت^(٥) ثمود قوم صالح عمهم الله عز وجل في الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدرفيته^(٦) والرجل منهم حتى ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين ، ففتحوها وجابوها وجوقوها ،

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥

(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٥) ر ، س : « وكانت » .

(٦) ر : « فيهم » ، س : « فيهم » .

وكانوا في سعة من معاشهم^(١) ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربك يخرج^(٢) لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً^(٣) ، فإذا كان يوم شربها خلّوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبناً ، ملثوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شربهم صرّفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً ، فملثوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى صالح أن قومك سيعمقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلاّ تمقروها أنتم أو شك أن يولد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقرٌ أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، ولآخر ابنة لا يجد لها كفتاً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنحك^(٤) أن تزوّج ابنتك ؟ قال : لا أجد له كفتاً ، قال : فإن ابنتي كفاءٌ له ؛ وأنا أزوّجك ، فزوجه فولد منهما^(٥) ذلك المولود .

٢٢٧/١

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولودٌ فيكم ؛ اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا معهنّ شُرطاً كانوا يطوفون في القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخّضن نظروا ما ولد لها ؟ فإن كان غلاماً قتلته^(٦) ، وإن كانت جارية أعرضن^(٧) عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ^(٨) النسوة ، وقلن : هذا الذي يريد^(٩) رسول الله صالح ، فأراد الشُرطُ أن يأخذوها ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرّ مولود ، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشبّ

(١) م : « العيش » .

(٢) ن : « يظهر » .

(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .

(٤) ب : « ما منحك » .

(٥) ا ، ن ، و ؛ ابن الأثير « بينهما » .

(٦) ا ، س ، ن : « قلبته فنظرن ما هو » .

(٧) ن : « انصرفن » .

(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٩) ن : « أخبر عنه » .

في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القرية ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم فرعظهم وذكرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده ^(١) فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمرم بقتلهم ، فقتلهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا لكان لكل واحد منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ! فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ابلة كذا وكذا فرصده عند مصلاّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضْحاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ؛ فإذا هم رُضْح ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضيّ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فشقوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاخترت فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرض فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهى على حوضها قائمة ، فقال الشق لأحدهم : ائنها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاطمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاطمه أمرها ، حتى مشى إليها وتناول

(١) س : « منزله » .

(٢) ا : « فأرسل » .

فَضْرِبْ عِرْقَ بَيْتِهَا^(١) ، فَرُفِعَتْ تَرَكُضٌ . فَأَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ صَالِحًا فَقَالَ : أَدْرِكْ النَّاقَةَ فَقَدْ عَقِرَتْ . فَأَقْبَلَ ؛ فَمَخْرَجُوا يَتَلَقُّوْنَهُ وَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّمَا عَقَرَهَا فَلَان ؛ إِنَّهُ لَا ذَنْبَ لَنَا ، قَالَ : انظروا هل تُدْرِكُونَ فِصِيلَهَا ! فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُ فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ ! فَمَخْرَجُوا يَطْلُبُونَهُ . فَلَمَّا رَأَى الْفِصِيلُ أُمَّهُ تَضْطَرِبُ أَتَى جِبَلًا - يُقَالُ لَهُ : الْقَارَةُ - قَصِيرًا فَصَعَدَهُ وَذَهَبُوا لِيَأْخُذُوهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْجِبَلِ ، فَطَالَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى مَا تَنَالَهُ الطَّيْرُ ، قَالَ : وَدَخَلَ صَالِحٌ الْقَرْيَةَ ، فَلَمَّا رَأَى الْفِصِيلَ بِكَتْفِي حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ صَالِحًا ، فَرَفَا رَغْوَةً ، ثُمَّ رَفَا أُخْرَى ، ثُمَّ رَفَا أُخْرَى . فَقَالَ صَالِحٌ : لِكُلِّ رَغْوَةٍ أَجَلٌ يَوْمٌ ؛ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ؛ إِلَّا أَنْ آيَةَ الْعَذَابِ أَنْ الْيَوْمَ الْأَوَّلُ تَصْبِحُ وَجُوهُكُمْ مَصْفَرَّةً ، وَالْيَوْمَ الثَّانِي مَحْمَرَّةً ، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثَ مَسْوَدَةً ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا وَجُوهُهُمْ كَأَنَّهَا طُلِيَتْ بِالْحَلْقُوقِ ، صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ ، ذَكَرَهُمْ وَأَنْبَأَهُمْ ، فَلَمَّا أَمْسَوْا صَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : أَلَا قَدْ مَضَى يَوْمٌ مِنْ الْأَجَلِ وَحَضَرَكَمُ الْعَذَابُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الثَّانِي إِذَا وَجُوهُهُمْ مَحْمَرَّةً ؛ كَأَنَّهَا خَضِبَتْ بِالْدَّمَاءِ ، فَصَاحُوا وَضَجُّوا وَبَكَوا وَعَرَفُوا أَنَّهُ الْعَذَابُ . فَلَمَّا أَمْسَوْا صَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : أَلَا قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مِنَ الْأَجَلِ ، وَحَضَرَكَمُ^(٢) الْعَذَابُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الثَّلَاثَ إِذَا وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ كَأَنَّهَا طُلِيَتْ بِالْقَارِ ، فَصَاحُوا جَمِيعًا : أَلَا قَدْ حَضَرَكَمُ الْعَذَابُ ، فَتَكَفَّتُوا وَتَحَنَّنُوا ، وَكَانَ حَنُوطُهُمُ الصَّبِيرُ وَالْمَقْسَرُ^(٣) ، وَكَانَتْ أَكْفَانُهُمُ الْأَنْطَاعُ ، ثُمَّ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجَعَلُوا يَقْلِبُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ مَرَّةً ، وَإِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً ، لَا يَدْرُونَ مِنْ حَيْثُ^(٤) يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ؛ مِنْ فَوْقِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ خَشَعًا وَفَرَقًا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا الْيَوْمَ الرَّابِعَ أَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا صَوْتُ كُلِّ صَاعِقَةٍ وَصَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتٌ فِي الْأَرْضِ ، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ .

٢٣٠/١

(١) أ ، س : «عرقها» .

(٢) س : «وحضرم» .

(٣) الصبر : عصارة شجر مر ، والمقسر شبه به .

(٤) ن : «من أين» .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أدخلتهم الصيحة أهلك الله من بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، منعه حرم الله من عذاب الله^(١) قيل : ومن هو يا رسول الله : ؟ قال : أبو ريغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه : « لا يدخلن أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من ماءهم » ، وأرأهم مرتقى الفصيل ، حين ارتقى في القارة^(٢) قال ابن جريج : وأخبرني موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمران ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : « لا تدخلن »^(٣) على هؤلاء المعدبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم ما أصابهم .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فتشرب ماءهم يوم وريدها » .

حدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال]^(٤) : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحجر فقال : « أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكره لهم الناقة آية ، فكانت تليج عليهم يوم وريدها من هذا الفج فتشرب ماءهم ، ويوم وريدهم كانوا يتزودون منه ، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزودون من ماءهم قبل ذلك لبناً ، ثم تخرج من ذلك الفج . فتتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

(١) ن : « منعه من العذاب » .

(٢) ن : « حين أتى في المغارة » ، والقارة ، الجبل الصغير .

(٣) أ : « لا تدخلوا » .

(٤) تكله من أ .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم في مشارق الأرض
ومغاربها إلا رجلاً^(١) واحداً كان في حرم الله ، فنبهه حرم الله من عذاب
الله ، قالوا : وَمَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو ريغال .

• • •

فأما أهل التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا^(٢) ثمود ولا لهود وصالح
في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم
وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر
شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل . ما يعلم به مَنْ
ظنّ خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك . ٢٥٢/١

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان
وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة .

• • •

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

(١) : « ليس رجلاً » .

(٢) لم يذكر « لا » في أ .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتاريخ السنين التي مضت قبل ذلك . وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا^(١) بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قيسان بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
واختلفوا في الموضع الذي كان منه ، والموضع الذي ولد فيه ، فقال بعضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السواد . وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء بناحية الزواي وحدود كسكر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمروود من ناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بجران ، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمروود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : كان نمروود عاملاً للازدهاق الذي زعم^(٢) بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حوطا . وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه ، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل : زهى بن طهماسلفان^(٣) .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن أزر كان رجلاً من أهل كوثى ، من قرية بالسواد سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخاطى ، وكان يقال له الهاصر ، وكان ملكهم فيما يزعمون - قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها ، وكان ببابل ، قال : وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس .

قال : ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

(١) س : « أرغوا » ، ن : « أرغو » .

(٢) ر : « يزعم » .

(٣) س : « طهماسفاذ » .

على ثلاثة ملوك : نَمْرُود بن أَرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

* * *

وقال بعضهم : نمرود هو الضحّاك نفسه .

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : بلغنا والله أعلم أن الضحّاك هو نَمْرُود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خير ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن أول ملك مَلَكَ في الأرض شرقها وغربها نَمْرُود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصر : مؤمنان وكافران .

وقال ابن إسحاق فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبيّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله تعالى ذكره ما أراد ، أتى أصحاب النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يُولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم ، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية - حدّثة فيما يذكر - لم يعرف الحبل في بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلما وجدت أم إبراهيم الطلقت خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل ، فتجده حيّاً

٢٥٤/١

٢٥٥/١

يخصّ إيهامه^(١). يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزق إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصه ، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلاماً فمات . فصدقتها فسكت عنها ، وكان اليوم - فيما يذكرون - على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : أخرجيني أنظر ، فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرَبِّي ، مالى إله غيره . ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، ثم اطلع للقمر^(٢) فرآه بازعاً فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شيء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَسَمَّا أَقَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣).

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبرئى من دين قومه إلا أنه لم يبادهم^(٤) بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أم إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه ، فسراً بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول : مَنْ يَشْرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ! فلا يشتريها منه أحد ، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رموسها ، وقال : اشتريني - استهزاء بقومه ، وبما هم^(٥) عليه من الضلالة - حتى فشا عيبه إياها ، واستهزأه بها في قومه وأهل قريته ،

(١) ر : « أصابه » .

(٢) ط : « أطلع القمر » ، وما أتت عن ا .

(٣) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٤) يقال : بادى فلان بالعداوة ؛ أى جاهر بها .

(٥) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « وما هم » .

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك^(١). ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادى قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ، يقول الله عز وجل : ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٣) أى طعين^(٤) ، أو لسقم^(٥) كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالف إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله ، فقرَّب لها طعاماً ؛ ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعبيراً فى شأنها واستهزاء بها .

وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففرغ من ذلك فرعماً شديداً ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عنه ، فقالوا : يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك - وكان مسكنه ببابل الكوفة - فخرج من قريته إلى قرية أخرى ، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألا يؤلد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أباً إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا توقع أهلك ، فقال له آزر : أنا أضنُّ بدينى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها ؛ فقرَّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة ، يقال لها أور ، فجعلها فى سرب ، فكان يتعاهدها بالطعام

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ - ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ - ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان - طعن .

(٤) ط : « بالسم » ؛ وما أثبتته عن أ ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين ، ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان في كل يوم يمر كأنه جمعة ، والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسى الملك ذلك ، وكبر إبراهيم ولا يرى أن أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم لأصحابه : إن لي ابناً قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جثت به ؟ قالوا : لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه يعير ، وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ، وكان خروجه حين خرج من السرب بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، أى لا أحب رباً يغيب . قال ابن عباس : وخرج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغاً قد طلع ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، فلماً أفلَّ يقول : غاب ، ﴿ قَالَ لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ ، فلما غابت قال الله له : أسلم ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثم أتى قومه فدعاهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنى بَرىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ إِنى وَجَّهْتُ وَجْهى لِلَّذى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ﴿ (١) . يقول مخلصاً : فجعل يدعو قومه وينذرهم . وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها ولدته فيبيعونها ، وكان يعطيه فينادى : مَنْ يَشترى ما يضره ولا ينفعه ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هى ، ثم دعا أباه فقال : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾ (٢) قال : ﴿ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتى يَا إِبْرَاهِيمَ لئن لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنى مَلِيّاً ﴾ (٣) . قال : أبداً . ثم قال له أبوه :

(١) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٢) سورة مريم ٤٢

(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم ، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا ، فلما كان يوم العيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه وقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، يقول : أشتكى رجلى ، فتوطئوا رجليه ، وهو صريع ، فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي^(١) ضَعَقَى النَّاسَ : ﴿ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾^(٢) فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا^(٣) طعاماً ، فوضعوه بين يدي الآلهة ، قالوا : إذا كان حين نرجع رجعتنا ، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا . فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألاتنا كلون ؟ فلما لم تجبه قال : ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافتيه ، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم ، ونظروا إلى آلهتهم ، قالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٤) .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

٢٦٠/١

ثم أقبل عليهم كما قال الله عز وجل : ﴿ ضَرَبْنَا بِالْيَمِينِ ﴾^(٥) . ثم جعل يكسرهن بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ، فلما رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك ، فأعظموه وقالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٤) .

(١) ط : « بقوا » ، والصواب ما أثبتته عن أ ، والتفسير .

(٢) سورة الأنبياء ٥٧ .

(٣) أ ، والتفسير : « جعلوا » .

(٤) سورة الأنبياء ٥٩ ، ٦٠ ، والخبر في التفسير ١٧ : ٢٩ (بولاق) .

(٥) سورة الصافات ٩٣ .

يَذْكَرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ ﴿١﴾ - يعنون (٢) فتى يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ،
لم نسمع أحداً يقول ذلك غيره ، وهو الذى نظنّ صنع هذا بها . وبلغ ذلك
نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : ﴿ فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ آغِيثِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (١) ،
أى ما يصنع به .

فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قتادة والسدى يقولون فى ذلك :
لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك ، وقالوا : كرهوا أن يأخذوه
بغير بيّنة

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أتى به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ، قالوا : ﴿ أَأَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبرَاهِيمُ ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ (١) ، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ،
فكسرهن ، فارعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم ،
فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا
تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٢) ، أى لا يتكلمون فيخبرونا :
من صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله عز وجل :
﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٣) ، أى نكسوا على
رءوسهم فى الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين
ظهرت الحجّة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ . قال
أَفْتَمِّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ . أَفِ لَكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (٤) .

٢٦١/١

قال : وحاجته قومه عند ذلك فى الله جل ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣

(٢) ١ : « يعنون : سمعنا فى » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ - ٦٧

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ ، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) ، يضرب لهم الأمثال ، ويصرف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحق أن يُخَافَ ويُعبدَ مما يعبدون من دونه .

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود - فيما يذكرون - قال لإبراهيم : أرأيت لهلك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، فقال نمرود : فأنا ﴿الْحَيِّى وَأُمِيتُ﴾ ، فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال : آخذ الرجلين قد استرحباً القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتته ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٢) ، فعرّف^(٣) أنه كما يقول ، فبُهِتَ عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول الله عز وجل : ﴿قَبِيتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٤) ، يعنى وقعت عليه الحجة .

٢٦٢/١

قال : ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتندرى يا مجاهد ، من الذى أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار ؟ قال : قلت : لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب ؟ قال : نعم ، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذى أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن ليث ، عن مجاهد في

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة ٢٥٨

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « أعرف » .

(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا آلَهُتَكُم﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس - يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجُبَّانِي ، قال : إن اسم الذى قال حرقوه « هينون » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمرود ، بجمع الحطب^(١) ، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم - فيما يُذكر - لتندرفى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك : لئن أصابته لتحطين فى نار إبراهيم التى يحرق بها احتساباً فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا^(٢) لقفه فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثَّقَلَيْنِ - فيما يذكرون - إلى الله عز وجل صيحة واحدة : أى ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك ! فأذن لنا فى نصرته ، فيذكرون - والله أعلم - أن الله عز وجل حين قالوا ذلك قال : إن استغاث بشئ منكم أو دعاه فلينصره ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإن لم يدع غيرى فأنا وليه ، فخلوا بينى وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوه فيها قال : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) ، فكانت كما قال الله عز وجل .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى قال ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾^(٤) ،

(١) ط : « فجمع له الحطب » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « وأجمعوا » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٩

(٤) سورة الصافات ٩٧

قال: فحسبوه في بيت ، وجمعوا له حطباً حتى أن كانت المرأة لتمرض فتقول :
 لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب
 حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهجتها وحرّها ، فعمدوا إليه فرفعوه
 على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض
 والجبال والملائكة : ربنا ! إبراهيم يحرق فيك . فقال : أنا أعلم به ، فإن
 دعاكم فأغيثوه . وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهم أنت الواحد
 في السماء وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله
 ونعم الوكيل ! فقدفوه في النار ، فنادها فقال : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
 عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . وكان جبرئيل هو الذي ناداها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع
 بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبقى يومئذ نار في الأرض إلا لطفت ،
 ظنت أنها تعنى ، فلما طفت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه ،
 وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل
 ملك الظل ، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على
 الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه^(١)

٢٦٤/١

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم ، فمعد فيها إلى
 جنبه يؤنسه ، فكث ثمرود أياماً لا يشك إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ،
 ثم ركب فرّ بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم
 جالساً فيها إلى جنبه رجل مثله ، فرجع من مركبه ذلك ، فقال لقومه : لقد
 رأيت إبراهيم حياً في النار ، ولقد شبّه علي ، ابنوا لي صرحاً يشرف بي على
 النار حتى أستشيت ، فبنوا له صرحاً ، فأشرف عليه فاطلع منه إلى النار ، فرأى
 إبراهيم جالساً فيها ، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه في مثل صورته ، فناداه
 ثمرود : يا إبراهيم ، كبير إهلك الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بين ما
 أرى وبينك ، حتى لم تضرك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟

٢٦٥/١

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٣ (بولاق) .

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال : يا إبراهيم ، من الرجل الذى رأيتُ معك فى مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذلك مَلَكُ الظل ، أرسله إلى ربى ليكون معى فيها ليؤنسنى ، وجعلها على برداً وسلاماً . فقال عمرود - فيما حدثت - : يا إبراهيم ، إنى مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده ؛ إنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهيم : إذأ لا يقبل الله منك ما كنت على شىء من دينك هذا حتى تفارقه إلى دينى ! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع ترك ملكى ، ولكنى سوف أذبحها له ، فذبحها عمرود ، ثم كفت عن إبراهيم ، ومنعه الله عز وجل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن أبى زُرعة ، عن أبى هريرة ، قال : إن أحسن شىء قاله أبو إبراهيم ^(١) لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وحده يرشعُ جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الربُّ ربُّك يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا مُعتمر بن سليمان التيمى ، عن بعض أصحابه قال : جاء جبرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يوثق ويقمط ليلقى فى النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

حدثنى أحمد بن المقدم ، قال : حدثنى المعتمر ، قال : سمعت أبى قال : حدثنا قتادة ، عن أبى سليمان ، قال : ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من عمرود

(١) كذا فى ١ ، ن ، و ، ط : « قاله لإبراهيم » .

ومثلهم ، فأمن له لوط - وكان ابن أخيه - وهو لوط بن هاران بن تارخ ، وهاران هو أخو إبراهيم ، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت به سارة وهي ابنة عمه ، وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وكانت لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

• • •

وقد قيل : إن سارة كانت ابنة ملك حرّان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي ابنة ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فترجها على الآيغيرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فقال له : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم ، فقالوا : ﴿ إِنَّا بَرَاءةٌ مِنْكُمْ وَبِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا ﴾ أيها العابدون ﴿ حَتَّى تَوَدُّوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾^(١) . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه^(٢) حتى نزل حرّان ، فكش بها ما شاء الله أن يكش ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من القراعنة الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت^(٣) لا تعصى إبراهيم

٢٦٧/١

(١) سورة المتحنة ٤

(٢) « على عبادة » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبت عن ا .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] : (١) فدعا أدنى حُجَّابِه فقال : إنك لم تأتيَ بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطيتها هاجر ، فخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلتُ بها ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بمجيئها انقتل من صلواته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر .

٢٦٩/١

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئاً قط » لم يكن « إلا ثلاثاً : قوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسَأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : مَنْ هذه المرأة معك ؟ قال : أختي ، قال : فإنا قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قط « لم يكن » إلا ذلك .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث . . . » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ننتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » ، وما أثبت من ا .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أنختي - لسارة - وكانت امرأته .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ، وأما الثنتان فقوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وقصته في سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إنى أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعل الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة قد منعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهب له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم وعقمت سارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم ^(١) مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحيماً » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : سألت الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فيزعمون - والله أعلم - أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزناً شديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، وهاب ذلك الملك الذي كان بها ، وأشفق من شره حتى قدمها ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من

السَّبْعُ على مسيرة يومٍ وليلة . وأقرب من ذلك ، فبعثه الله عز وجل نبياً ، وأقام إبراهيم فيها ذكراً لي بالسَّبْعِ ، فاحترق به بئراً واتخذ به مسجداً ، فكان ماء تلك البئر معيناً طاهراً ، فكانت غنمه تَرِدُها . ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى ، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا ، ببلد يقال له قَطْ - أَوْ قِطْ^(١) - فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب . واتبه أهل السَّبْعِ ، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا ، وقالوا : أخرجنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً ، فسألوه أن يرجع إليهم ، فقال : ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه ، قالوا له : فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نضب فذهب ، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم ، فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون معيناً طاهراً كما كان ، فاشربوا منها ، فلا تَغْتَرَفَنَّ منها امرأةٌ حائضٌ ، فخرجوا بالأعنز ، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء ، فكانوا يشربون منها وهي على ذلك ، حتى أتت امرأة طامث ، فاغترفت منها ، فنكص ماؤها إلى الذي هو عليه اليوم ، ثم ثبت .

٢٧٢/١

قال : وكان إبراهيم يُضَيِّفُ من نزل به ، وكان الله عز وجل قد أوسع عليه ، وبسط له في الرزق والمال والخدم ، فلما أراد الله عز وجل هلاك قوم لوط ، بعث إليه رسلاً يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم ، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين ، مع تكذيبهم نبيهم ، وردتهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربهم ، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم ، وأن يشروه وسارة بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِسَ عنه خمس عشرة ليلة حتى شقَّ ذلك عليه - فيما يذكر - لا يضيفه أحد ، ولا يأتيه ، فلما رأهم سرَّ بهم رأى ضيفاً لم يصفه مثلهم حسناً وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدي ، فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال الله عز وجل : ﴿ بِمَجْلٍ سَمِينٍ ﴾^(٢) قد حنَّده - والحنَّادُ :^(٣) الإنضاج يقول الله جل ثناؤه : ﴿ جَاءَ بِمِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾^(٤) فقربه إليهم ، فأمسكوا أيديهم

(١) ذكرها ياقوت ، وقال : « بلد بفلسطين ، بين الرملة وبيت المقدس » .

(٢) سورة الذاريات ٢٦ .

(٣) ط : « التحنَّاد » ، وما ذكرته من ا ، والتفسير : ١٢ : ٤٣ . (٤) سورة هود ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ ﴾ قائمةً فضحكتُ ﴿ لما عرفت من أمر الله عز وجل ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشروها ﴿ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(١) يابن ، وبابن ابن ، ٢٧٣/١ فقالت - وَصَكَّتْ ^(٢) وَجْهَهَا ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ حَسِيدٌ مَّحِيدٌ ﴾ ^(٣) . وكانت سارة يومئذ - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب ولد من صلب إسحاق وأمن ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ^(٤) .

• • •

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي ، قال : ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولدت سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ، فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل : ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى في سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذي بدأ به في ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم نوط ، فأقبلت
تمشى في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيقوه ، فلما رآهم
إبراهيم أجستهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بمجلى سمين فذبحه ، ثم شواه في الرضف (١)
وهو الحنيد حين شواه ، وأتاهم فقعده معهم ، وقامت سارة تخلمهم ، فذلك
حين يقول جل ثناؤه : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ ﴾ (٢) في قراءة ابن مسعود ،
فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً
إلا بئمن ، قال : فإن لهذا ثمتاً ، قالوا : وما ثمته ؟ قال : تذكرون اسم الله
على أوّله وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل ، فقال : حق لهذا أن
يتخذة ربه خليلاً ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ يقول : لا يأكلون ،
﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ (٣) ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم
وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجيباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم
بأنفسنا تكريماً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

٢٧٤/١

(١) الرضف : الحجارة التي حنيت بالشمس أو النار .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت

قال : ثم إن الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق - فيما ذكر - ببناء بيت له يعبد فيه ، ويذكر . فلم يدر إبراهيم في أيّ موضع يبني ؟ إذ لم يكن بيّن له ذلك ، فضايق بذلك ذرعاً ، فقال بعض أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت ، فضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .
وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جبرئيل عليه السلام ، حتى دلّه على موضعه ، وبيّن له ما ينبغي أن يعمل .

• • •

٢٧٥/١

• ذكر من قال : الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة : أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُني . إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتاً في الأرض ، فضايق إبراهيم بذلك ذرعاً ، فأرسل عزّ وجلّ السكينة ، وهي ريح خججوج^(١) ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوّت على موضع البيت كتطوى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة ، فبنى إبراهيم وبنى حجر ، فذهب الغلام يبني شيئاً ، فقال إبراهيم : أبغني^(٢) حجراً كما أمرك ، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأثابه به ، فوجدته قد ركّب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرئيل من السماء . فأثماه^(٣) .

• لم يرد في ١ ، ٢ ، ٣ .

(١) الخججوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا في ١ ، يقال : أبغاه الشيء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : حدثنا مؤتمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ عليه السلام قال : لما أمر إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى^(١) على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلمه ؛ وقال : يا إبراهيم ، ابن عليّ ظليّ - أو على قدرى - ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى^(٢) مَنْ تكلّمنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعضس إسماعيل عطشاً شديداً ، فصعدت هاجر الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأثته وهو يفحص^(٣) برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وكلكما ؟ قالت : وكلتنا إلى الله ، قال : وكلكما إلى كافٍ ، قال : ففحص الغلام الأرض بإصبعه ، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رواء^(٤) .

٢٧٦/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل : أن طهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت ، فبعث الله عز وجل ريحاً يقال لها ريح الحججوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين يقول عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾^(٥) .

٢٧٧/١

(١) ر : « أتى » .

(٢) ر : « على » .

(٣) يفحص برجله ، أي يبحث ويزيل التراب عن حفرة .

(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيم بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجر ، وبعث الله معه السكينة ، وهي ريح^(١) لها لسان تكلم به ، يقدوم معها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهيم : ابن عليّ ، ابن عليّ ، ابن عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهى^(٢) إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنيّ ، ابغ لي حجراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجر ، فلم يرضه وقال : ابغني غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس^(٣) له حجراً ، فجاءه وقد^(٤) أتى بالركن ، فوضعه في موضعه ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا الحجر ؟ قال : من لم يكلثني إليك يا بنيّ .

• • •

وقال آخرون : إن الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جبرئيل عليه السلام ، وقالوا : كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غير سارة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارة قالت لإبراهيم : تسرّ هاجر^(٥) ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته^(٦) وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة

٢٧٨/١

(١) كذا في أ ، وفي ط : « ريح » ، وفي ب : « ريجاً » .

(٢) ر ، س ، ن : « أتى » .

(٣) ب ، ر : « يلتمس » .

(٤) ط : « فقد » ، وما أثبت عن أ .

(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبت عن أ ، ر ، ن .

(٦) أ ، س : « ولد له » .

على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثمّ إنّها دعته فأدخلتها . ثمّ غضبت أيضاً فأخرجتها ثمّ أدخلتها ، وحلفت لثقتنّ منها بضعة ؛ فقالت : أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينها ذلك ، ثمّ قالت : لا بل أخفضها^(١) ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلاً تعنى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذيولاً ، ثمّ قالت : لا تساكنتي في بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجر : إلى من تركتنا^(٢) هاهنا ؟ ثمّ ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي تَجِيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عزّ وجلّ لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم ، فخرج وخرج معه جبرئيل ، يقال : كان لا يمرّ بقربة إلا قال : بهذه أمرت يا جبرئيل ؟ فيقول : جبرئيل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عِضَاه سَلَمَ وَسَمُر ، وبها أناس يقال لهم العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مندرة ، فقال إبراهيم لجبرئيل : أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحجر ، فأزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى - ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٣) . ثمّ انصرف إلى أهله بالشام وتركهما عند البيت ، قال : فظمى إسماعيل ظمأ شديداً ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فاستسمعت^(٤) : هل تسمع صوتاً ؟ لتلمس له شرباً ، فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ثمّ سمعت صوتاً نحو المروة ،

(١) الخفض للجارية ، مثل الختان للصبي .

(٢) ر : « تركتنا » .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٤) في كذا ، ن ، و ، ط : « فاستمعت » .

فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ويقال : بل قامت على^(١) الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمدت إلى المروة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصوات سبع الوادى نحو لإسماعيل حيث تركته ، فأقبلت إليه تشتد ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاءها أم إسماعيل فجعلتها^(٢) حسيباً ، ثم استقت منها في قربتها تذخره لإسماعيل ، فلولاً الذى فعلت ما زالت زمزم معيناً طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسع أن زمزم همزة^(٣) جبرئيل بعصيه لإسماعيل حين ظمى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نبئت عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أول من سقى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل ، وأن أول من سار أحدث من نساء العرب جرّ الذبول لأم إسماعيل . قال : لما فرت من سارة أرخت ذيلها^(٤) لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أى شىء تكلنا ؟ إلى طعام تكلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ لا يرد عليها شيئاً ، فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا ، قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كدء ، أقبل على الوادى فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾ الآية . قال : ومع الإنسانية^(٥) شنة فيها ماء ، فنقد الماء ، فعطشت فانقطع لبنها ، فعطش الصبي فنظرت : أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمعت : هل تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً ؟^(٦) فلم تسمع شيئاً فانحدرت ، فلما

(١) : « عند » .

(٢) ن : « فوجدتها » ، والحسى : حفرة قريبة القمر ؛ ولا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفه الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجميعه أحساء .

(٣) همزة جبريل ؛ أى ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) : « أرخت من ذيلها » .

(٥) : « هاجر » .

(٦) س : « إنسا » .

أتت على الوادى سعت - وما تريد السعى - كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فظنرت أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت المروة ، فسمعت : هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً^(١) ؟ فسمعت صوتاً ، فقالت كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ! حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهلك منى معى ، فجاء الملك بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه فقارت عيناً ، فعمجت^(٢) الإنسانية تُفرغ فى شنتها^(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أم إسماعيل ، لولا أنها عَجِلت لكانت زمزم عيناً معيناً » .

٢٨١/١

وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد؛ فإنها عين يشرب^(٤) ضيفان الله منها، وقال : إن أبا هذا الغلام سيحجى فيبنيان لله بيتاً هذا موضعه . قال : ومرت رُفقة من جرهم تريد الشام ، فأروا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف^(٥) على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فانت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلَّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له^(٦) فظنة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء^(٧) ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة بابك فحوها ، وانطلق^(٨) . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم^(٩) ، وجاء إبراهيم حتى

٢٨٢/١

(١) س : « إنسياً » .

(٢) ا : « فعمجت » .

(٣) ر : « شنها » ، والشن والشننة : القربة .

(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبت من ؟

(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمشى » . وانظر

السان ٦٣ : ١٦٩ .

(٦) ن : « امرأته » .

(٧) ر : « كان »

(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .

(٩) ن : « منهن » .

انتهى إلى منزل^(١) إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة^(٢) فقال لها :
 أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فإطعمكم ؟ قالت :
 اللحم والماء ، قال : اللهم بارك لهم في لحمهم ومأثم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا
 جاء زوجك فأخبريه ؛ قولي^(٣) له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه
 يقول لك : قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ،
 قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت^(٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا
 حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
 قال : جاء إبراهيم نبي الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة في موضع زمزم ،
 فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما^(٥) أسألك ثلاث مرات : مَنْ أملك أن
 تضعني بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا أنيس ولا ماء ولا زاد ؟ قال : ربي
 أمرني ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ
 تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ يعنى من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٦) . فلما ظمى إسماعيل جعل يلحس^(٧) الأرض

٢٨٣/١

بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادي يومئذ لآخر - يعنى
 عميق - فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ،
 فأنحدرت فبلغت الوادي ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأثت المروة فصعدت
 فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم
 جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يلحس الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

(١) ن : « موضع » .

(٢) أ ، « طليقة » ، والطلقة والطليقة : المستبشرة .

(٣) ط : « فقولي » وما أثبتته عن أ والتفسير .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .

(٥) ط : « أنا » وما أثبتته من أ والتفسير .

(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .

(٧) دحس الأرض : أثار غبارها ؛ وفي أ والتفسير : « دحس » ، وهما بمعنى .

وهي زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما^(١) اجتمع ماء أخذته بقدحها ، فأفرغته في سقاها ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى ، قالوا . ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وأنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شبَّ إسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألا ينزل ، وقدم إبراهيم - وقد ماتت هاجر - إلى بيت إسماعيل ، فقالت لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك^(٢) ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندي وما عندي أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولى له : فليغير عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل ، فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد^(٣) ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا - وكذا كالمستخفة بشأنه - قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لي : أقرئى زوجك السلام ، وقولى له : فليغير عتبة بابه ، فطلَّقها وتزوج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب^(٤) إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو برّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما^(٥) بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

٢٨٤/١

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبت من ا .

(٢) س : « عندكم » .

(٣) ن : « شيخ » .

(٤) س : « مكان » .

(٥) ر ، س : « لها » .

أو بُرٌّ أو شعير أو تمر لكأنت أكثر أرض الله برًّا وشعيراً وتمرّاً ، فقالت (١) :
 انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعتة عن شقه الأيمن ،
 فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حولت
 المقام إلى شقّه الأيسر ، فغسلت شقّه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك
 فأقرئيه السلام ، وقولِي له : قد استقامت عتيةُ بابك . فلما جاء إسماعيل وجد
 ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسن الناس
 وجهاً وأطيبهم ريحاً ، فقال لي : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ،
 وهذا موضع قدميه على المقام ، قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لي : إذا جاء
 زوجك فأقرئيه السلام ، وقولِي له : قد استقامت عتيةُ بابك ، قال ذلك إبراهيم ،
 فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره (٢) الله عز وجل ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ،
 فلما بنياه قيل : ﴿ اذْنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٣) ، فجعل لا يمرُّ بقوم إلا قال : يا أيها
 الناس ، إنّه قد بُني لكم بيت فحجروه ، فجعل لا يسمعه أحد ؛ لا صخرة ولا
 شجرة ولا شيء إلا قال : لبيك اللهم لبيك . قال : وكان بين قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
 أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وبين قوله :
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٤) كذا وكذا
 عامّاً ؛ لم يحفظ عطاء (٥) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي
 الحنفي ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدث عن
 سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : جاء - يعني إبراهيم - فوجد إسماعيل
 يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ ، فقال إبراهيم : يا إسماعيل ، إن ربك قد
 أمرني أن أبني له بيتاً ، فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك ، فقال إبراهيم :
 ٢٨٦/١

(١) ر : « على » .

(٢) ط : « فأمره » ؛ وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة الحج ٢٧

(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ١٥٢ - ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ : إِذَا أَفْعَلُ ، قَالَ : فَقَامَ مَعَهُ ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمَ
بَيْنَهُ وَإِسْمَاعِيلَ يَنَاولُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا أَرَفَعَ الْبِنْيَانَ وَضَعَفَ الشَّيْخَ عَنِ رَفْعِ الْحِجَارَةِ قَامَ عَلَى
حَجْرٍ ، وَهُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، فَجَعَلَ يَنَاولُهُ وَيَقُولَانِ : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) .

فَلَمَّا فَرَّغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنِائِهِ ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ
يُؤذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، فَقَالَ لَهُ : ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكَّلُ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ بَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ^(٣) . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - فِيمَا ذَكَرْنَا -
مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ قَابُوسِ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ ، قِيلَ لَهُ : أُذِّنْ فِي النَّاسِ
بِالْحَجِّ ، قَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَا يَبْلُغُ صَبْرِي ؟ قَالَ : أُذِّنْ وَعَلَى الْبَلَاغِ ، فَنَادَى
إِبْرَاهِيمُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، قَالَ : فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجْهِثُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبُثُونَ !

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلِ بْنِ غَزْوَانَ الضَّبِّيُّ ،
عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا بَنَى
إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : أَنْ أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، قَالَ :
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَحْجُّوهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ
مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْءٍ ؛ مِنْ حَجْرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ : لَبَّيْكَ
اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ
ابْنُ وَقْدٍ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَأُذِّنْ فِي
النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ، قَالَ : قَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلَ اللَّهِ عَلَى الْحَجَرِ فَنَادَى :

(١) سورة البقرة ١٢٧ والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأيها الناس ، كتب عليكم الحج ، فأسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق في علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك (١) !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، فقال : يا رب ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكانت أول التلبية (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ، أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثي : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ قال : بلغني أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحج استقبل اليمن ، فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته ، فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم إلى الشام فدعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى حجِّ بيته فأجيب أن لبيك اللهم لبيك ؟ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منى ومن معه من المسلمين ، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلَّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقال بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جمَّع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم على الأراك (٣) ، وهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يريه ويعلمه ، فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها (٤) وبمن معه ، حتى إذا طلع التمجَّر صلتى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قَرَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام وبعضه من اليمن .

(٤) كذا في ١ ، في ط : « به » .

الذى يقف به الإمام حتى إذا أسفر دَقَعَ به وبمن معه يُريه ويعلمه كيف يصنع ، حتى رى الجمرَةَ الكبرى ، وأراه المنحَرَّ من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منى ليريه كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منى ليريه كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به في الناس .

• • •

قال أبو جعفر : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرئيل هو الذى كان يُرى لإبراهيم المتأسك إذا حج . ٢٨٩/١

« ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى - وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى - قال : أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمعى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك - أو حيث ينزل الناس - فصلّى به الصلاتين جميعاً : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعاً ، فصلّى به الصلاتين جميعاً : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقف حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى ، فرمى الجمرَةَ ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنْ أَتْبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن محمد بن أبي ليلى ، قال : حدثنى أبى ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

• • •

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .
واختلف السلف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم في الذي أمرَ
إبراهيم بذبحه من ابنه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال
بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعُدْهُ إلى غيره ، غيرَ أن الدليلَ من
القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو
إسحاق » أوضح وأبين منه على صحة الأخرى .

والرواية التي رويت عنه أنه قال : « هو إسحاق » حدثنا بها أبو كريب ،
قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن
جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾^(١)
قال : « هو إسحاق »^(٢) .

• • •

وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصح من هذا الوجه ، غير أنه
وقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ،
عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
قال : « هو إسحاق »^(٣) .

وأما الرواية التي رويت عنه أنه هر إسماعيل ، فاحدثنا محمد بن عمار
الرازي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : حدثنا عمر بن
عبد الرحيم الخطابي ، عن عبد الله بن محمد العنبي من ولد عتبة بن أبي سفيان ،
عن أبيه ، قال : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصنابحي ، قال : كنا عند معاوية

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بولاق) . (٣) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بولاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عدُّ علىّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إن عبد المطلب لما أمر بحجر زمزم نذر لله : لئن سهل الله له أمرها ليدبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أخواله وقالوا : أفند أبنتك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثاني (١) .

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

• ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

٢٩١/١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عليه ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(١) الخبير في التفسير ٢٣ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهري ، عن العلاء بن جارية الثقفي ، عن أبي هريرة، عن كعب ، في قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذي أمر بذبحه إبراهيم من ابنه إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي ، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي ؟ قال أبو هريرة : بلى ، قال كعب : لما أرى^(١) إبراهيم ذبح إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحداً منهم أبداً ، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق ؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلم غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا حسن^(٢) بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غادياً بك ؟ قال : غدا لي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكنه^(٣) غدا بك ليذبحك .

(١) ب ، ن : « لما أرى » .

(٢) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « فهذا أحسن » .

(٣) ن : « وإنما » .

قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليُطيعته ، فركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرني ربي لأفعلن ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بُنَيَّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهم فإني أدعوك أن تستجيب لي : أيما عبدٍ لقيت من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة (١) .

٢٩٤/١

حدثني عمرو بن علي ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا رب ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قط إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جادلني بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : أي ربِّ بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

٢٩٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيباني ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عقيبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال يوسف للملك في وجهه ترغيب

أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله
ابن إبراهيم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن إبراهيم عليه السلام أرى في المنام فقيل له : أوف
نذرك^(١) الذي نذرت : إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تدبجه .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن
أبي إسحاق ، عن مسروق في قوله : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال :
هو إسحاق .

• • •

• ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حدثنا
يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثوير^(٢) ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : ٢٩٦/١ :
الذبيح إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال :
حدثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ،
قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة
محمد بن ميمون السكري عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

(١) : « بنذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبي فاضة أبو الجهم الكوفي ؛ ذكر ابن حجر في التهذيب ٢ : ٣٦ أن
إسرائيل من روى عنه . وفي ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذى أمر بذبجه إبراهيم إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، عن على بن زيد ، عن عمار مولى
بني هاشم ، وعن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : هو إسماعيل ، يعنى :
﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبي ،
قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثني به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : سئل
داود بن أبي هند : أى ابني إبراهيم أمر بذبجه ؟ فزعم أن الشعبي قال : قال
ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، أنه قال فى الذى ، فداه الله بذبج
عظيم ، قال : هو إسماعيل . ٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : حدثنا ليث ، عن مجاهد
عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني
عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : المقدى
إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن مبارك ،
عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : الذى فداه الله عز وجل
قال : هو إسماعيل .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي
عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : حدثني خالد بن عبدالله ، عن داود ، عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل ، قال : وكان قرننا الكبش منوطين بالكعبة .

٢٩٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : الذبيح إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : رأيت قرني الكبش في الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي سجيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله عز وجل إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل ، وإننا لت نجد ذلك في كتاب الله عز وجل في قصة الخبير عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل ، وذلك أن الله عز وجل يقول حين قرع من قصة المذبح من ابني إبراهيم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) ويقول : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ^(١)؟ يقول : بابتن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه من الله من الموعود ما وعدّه ، وما النبی أمير بذبحه إلا إسماعیل^(٢) . ٢٩٩/١

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأُسَلَمِيّ ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم ، فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء اليهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . قال محمد بن كعب القرظي : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أيّ ابني إبراهيم أمير بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين ، إن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمر به ، فهم يحسدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأنّ إسحاق أبوهم^(٣) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، أنه كان لا يشكّ في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيراً . ٣٠٠/١

• • •

وأما الدلالة من القرآن التي قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصحّ ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مع زوجته

(١) سورة هود ٧١

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاق)

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاق)

سارة، فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۗ رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢)، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره (٣) إياه بغلام حلیم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعی، ولا يُعلم في كتاب ذكر (٤) لتبشير إبراهيم بولده ذكر إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٥) وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۗ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٦) ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (٨) نظير (٩) ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة.

• • •

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبيل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علّة غير موجبة صحّة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعی. وجائز (١٠) أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتل في ذلك بقرن الكيش أنه رآه معلقًا في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك.

٣٠١/١

- | | |
|----------------------|---|
| (١) أ : « قال » . | (٢) سورة الصافات ٩٩ ، ١٠٠ . |
| (٣) ن : « تبشيره » . | (٤) ط : « في كتاب الله عز وجل تبشير إبراهيم » . |
| (٥) سورة هود ٧١ . | (٦) سورة الذاريات ٢٨ ، ٢٩ . |
| (٧) ر : « ذكر » . | (٨) سورة الصافات ١٠١ . |
| (٩) ر : « نظيرها » . | (١٠) ر : « وجزاز » . |

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب في أمر الله عز وجل إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه
فما ذكر أنه إذ فارق قومه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه متوجهاً إلى الشام
من أرض العراق دعا^(١) الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من سارة فقال :
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعنى بذلك ولداً صالحاً من الصالحين^(٢)] كما
أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ . رَبِّ هَبْ
لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى
المؤتفة قوم لوط بشره بغلام حلیم عن أمر الله تعالى إليهم بتبشيره ، فقال
إبراهيم إذ بشر به : هو إذأ لله ذبيح . فلما ولد الغلام وبلغ السعى قيل له :
أوف بندرك الذي نذرت لله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك . وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الحمدي ، عن عبد الله - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : قال جبرئيل عليه السلام لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ،
ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت جبينها عجباً ، فذلك قوله : ﴿ فَصَكَتُ
وَجْهَهَا ﴾^(٣) . وقالت : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ . ﴾ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل

(١) ر : « إلى الله » .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) سورة الذاريات ٢٩

الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» (١). قالت سارة لجبرائيل : ما آية ذلك ؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو إذاً لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتى (٢) إبراهيم في النوم فقيل له : أوّف بنذرك الذي نذرت ، إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تدبجه . فقال لإسحاق : انطلق فقرب قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وجلاً ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بنيّ إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكذف عن (٣) ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحنن ، وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون أهوناً للموت علىّ ، وإذا أتيت سارة فاقرأ عليها السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبله وقد ربطه وهو يبكى ، وإسحاق يبكى ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يسحك (٤) السكين ، وضرب الله عزّ وجلّ صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزّ في قفاه قوله عزّ وجلّ :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (٥) . يقول : سلما لله الأمر ، فنودى : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكيش ، فأخذه وخلّى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبله وهو يقول : يا بنيّ اليوم وهبت لى ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم أردت أن تدبح ابنى ولا تعلمنى ! (٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها - يعنى هاجر - حميل على البراق يغدو من

(٢) ط : « أرى » ، وما أثبتته عن ا ، ن .

(٤) لم يسحك : لم يقطع .

(٦) الخبر في التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

(١٨)

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٣) ا : « عنى » .

(٥) سورة الصافات ١٠٣

الشأم ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فيبيت عند أهله بالشأم ، حتى إذا بلغ معه السعى ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أرى في المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذببح ابنه قال له : يا بني خذ الحبل والمُدْيَةَ ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطب^(١) أهلك منه ، قيل أن يذكر له شيئاً مما أمر به . فلما وجه إلى الشعب اعترضه عدو الله إبليس ليصدّه عن أمر الله في صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك في منامك ، فأمرك بذببح بنيك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرّفه إبراهيم ، فقال : إليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربى فيه ، فلما يش عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل والشفرة ، فقال له : يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطب^(٢) أهلنا من هذا الشعب ، قال : والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال : ليم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعاً وطاعة . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهى فى منزلها ، فقال لها : يا أمّ إسماعيل ، هل تدريين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطبا^(٣) من هذا الشعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كلاً هو أرحمُ به وأشدّ حباً له من ذلك ، قال : إنّه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن^(٤) كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع عدو الله بغیظه لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد ، وقد امتنع^(٥) منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا^(٦) لأمر الله بالسمع والطاعة ،

(١) ن : « لاحتطب لأهلك » .

(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .

(٣) ن : « لاحتطب لنا » .

(٤) ا : « فإن » .

(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبتته عن ا .

(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه في - الشعب وهو فيها يزعمون شعب ثبير - قال له : يا بني ،
إني أرى في المنام أني أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله
من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل
العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي
لا يُصيبك ^(١) مني شيء فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإني لا آمن
أن أضطرب عنده إذا وجدت منه ، واشحذ شفرتك حتى تُجهز على فترميحني ،
وإذا أنت أضجعتني لتذبحني فكبتني لوجهي على جبينى ولا تُصجعتنى لثقتى ،
فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهى أن تدركك رقة تحول بينك وبين أمر
الله في ، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فإنه عسي أن يكون هذا أسلتى
لها عني ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعم العون أنت يا بني على أمر
الله . قال : فربطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين
واتق النظر في وجهه ، ثم أدخل الشفرة حلقة فقلها الله لقلها في يده ، ثم اجتذبا
إليه ليفرغ منه ، فنودي : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء
لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عز وجل ، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، وإنما
تسل الذبائح على حدودها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل
في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبتني على وجهي قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ .
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • ٣٠٦/١
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ • وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن
دينار ، عن قتادة بن دعامه ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ،
قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل
إبراهيم ابنه فاتبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

(١) ن : « حتى لا يصيبك » .

(٢) سورة الصافات ١٠٢ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجحمة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجحمة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فألقى به المنحمر من منى فدبحه ، فولدته نَقَسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول-الإسلام ، وإن رأس الكبش لعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ، وقد وَخَّش - يعنى قد يبس .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثني حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أُمِرَ بالمناسك عَرَّضَ له الشيطان عند المسعى (١) فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبرئيل عليه السلام إلى جحمة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجحمة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنتي (٢) فيه غير هذا فاخلمه عني ، فأكفنتي فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فدبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش (٣) .

٣٠٧/١

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تدبجني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني ، فلا تجهز عليّ ، اربط يدي إلى رقبتى ، ثم ضع وجهي للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ عليه السلام : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعين مربوط بيسمُر (٤) في ثبير .

(١) ر : « المسعى » . (٢) ر : « تكفنتي » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

(٤) سم ، كرجل : من شجر العشاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش . قال عبيد بن عمير : ذبح بالمقام ، وقال مجاهد : ذبح بمنى في المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خشيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشاً أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان وعيلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فدى إسماعيل إلا ببتيس كان من الأروى ، أهبط عليه من ثبير ، وما يقول الله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعراً ، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي رويناها عن السدي ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤْتَى بِالنَّذْرِ
رِ احْتِسَابًا وَحَامِلِ الْأَجْزَالِ^(١)

(١) الأبيات في خزنة الأدب ٢ : ٥٤٢ مع اختلاف في الرواية .

بِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرْ عَنْهُ أَوْ يَرَاهُ فِي مَعْشَرِ أَقْبَالِ
 أُمِّي بُنَىٰ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلْمَشْحِيطِ فَأَصْبِرْ فِدَىٰ لَكَ خَالِي^(١)
 وَاشْدُدِ الصَّفَدَ لَا أَحِيدُ عَنِ السُّكَيْنِ حَيْدَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ
 وَهُوَ مُدَيَّةٌ تَخَابِلُ فِي اللَّحْمِ جُدَامٌ حَنِيبَةٌ كَالِهَلَالِ
 بَيْنَمَا يَمْلَعُ السَّرَائِيلَ عَنْهُ فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَيْسِ جُلَالِ
 فَذَنْ ذَا قَارَسِيلِ ابْنِكَ إِنِّي لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتَمَا غَيْرُ قَالَ
 وَالِدٌ يَتَّبِعِي وَآخِرُ مَوْلُو دُفَطَارًا مِنْهُ سَمِعُ فَمَالَ^(٢)
 رُبَّمَا تَجَزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

٣٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين
 - يعني ابن واقد - عن زيد ، عن عكرمة : قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا أَسْلَمَا ﴾ :
 قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه .
 قال : يا أبت اقدفى للوجه كيلا تنظر إلى فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة
 فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحنى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك ناديناها ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ
 سَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

. . .

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به - بعد ابتلائه بإياه بما
 كان من أمره وأمر سُمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان
 من أمره بإياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعاونته على
 ما يقربه من ربه عز وجل ورفع القواعد من البيت ، ونسكه المناسك - ابتلاؤه
 جل جلاله بالكلمات التي أخبر الله عنه أنه ابتلاه من فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ

(١) كذا في ١ ، ر ، وفي ط : « حال » .

(٢) السمع : الذكر الجميل . وفي الخزانة : « يسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴿١﴾

• • •

وقد اختلف السلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهن^١ فأتمهن^٢ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام .

٣١٠/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة : عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبتلَ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلمات فاتمهن^٣ ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾^(١) : عشر^٤ منها في الأحزاب ، وعشر منها في براءة ، وعشر^٥ منها في المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتليَ أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام ؛ ابتلى بالإسلام فاتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فذكر عشر^٦ في براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... ﴾^(٢) وعشر^(٣) في الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾^(٤) وعشر^(٥) في سورة «المؤمنين» إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^(٥) ، وعشر^(٦) في سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^(٦) .

(٢) سورة التيم ٣٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة المعارج ٢٤

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١١٢

(٥) سورة المؤمنین ٩

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال :
حدثنا خارجة بن مصعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ،
قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار .

• • •

وقال آخرون : ذلك عشر خصال من سنن الإسلام ، خمس منهن في
الرأس ، وخمس في الجسد .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمّر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة : خمس في الرأس ،
وخمس في الجسد : في الرأس قصّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق
الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر
الغائط والبول بالماء .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن
معمّر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن ابن عباس بمثله ،
غير أنه لم يذكر أثر البول .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال ،
قال : حدثنا قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ،
قال : ابتلاه بالختان ، وحلق العانة ، وغسل القبل والدبر ، والسواك ، وقصّ الشارب ،
وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خصلة .

حدثني عبدان المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجهم (١) ، قال : ابتلى

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن في الإنسان^(١) سنة : المضمضة ، والاستنشاق ،
وقصّ الشارب ، والسواك ، وشفّ الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ،
وحلق العانة ، وغسل الدبر والفرج .

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ست من العشر في جسد
الإنسان ، وأربع منهن في المشاعر .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني المنثي ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ،
قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنّس ، عن ابن عباس في
قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : ست
في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتى في الإنسان : حلق العانة ، والختان ، وشفّ
الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والغسل يوم الجمعة . وأربع في المشاعر :
الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، وري الحمام ، والإفاضة .

وقال آخرون : [بل]^(٢) ذلك قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومناسك الحج .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن أبي صالح : قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ،
منهنّ إني جاعلك للناس إماماً وآيات النسك^(٣) .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن
أبي خالد ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهنّ ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنّ آيات النسك

(١) ط : « الإسلام » وما أثبتته من التفسير .

(٢) من ا ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .

(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١).

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٢) قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد أمناً ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترينا مناسكنا وتوب علينا ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترزق أهلنا من الثمرات من آمن [منهم]^(٣) ؟ قال : نعم^(٤) .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلى بالآيات التي بعدها : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) .

حدثني المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبلي ، عن ابن أبي نجیح ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهد فلم ينكره . ٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) الخبري في التفسير ٢ : ١١ .

(٣) من التفسير .

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ
لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَكَ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْتِثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ^(١).

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ^(١) قال :
الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ ^(٤) الآية ، وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ^(٥)
الآية . قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال :
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(١) ، ومنهن :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومنهن الآيات في شأن المنسك
والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله
عليه وسلم بعث في ذريتهما .

• • •

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحج خاصة .

• ذكر من قال ذلك :

٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن
نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾
قال : مناسك الحج .

(١) سورة البقرة ١٢٧ - ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قال : هي المناسك .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم هي المناسك .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحج .

حدثني ابن المني ، قال : حدثني الحياتي ، قال : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك . ٣١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهن الخيانات .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن الخيانات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي يقول . . . فذكر مثله .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق . قال : سمعتُ الشعبي — وسأله أبو إسحاق عن قوله

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ - قال : منهم الختان يا أبا إسحاق .

* * *

وقال آخرون: ذلك الخلالُ الست : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهن أجمع فصبرَ عليهن .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رَجَاءَ ، قال : قلتُ للحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه بالنار فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعَ ، قال : حدثنا سَعِيدُ ، عن قَتَادَةَ ، قال : كان الحسنُ يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ؛ ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربه دائم لا يزول ، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان^(١) ، فصبر على ذلك .

٣١٧/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار]^(٢) بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قُتَيْبَةَ ، قال : حدثنا أبو هلال عن الحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر ، فوجده صابراً .

(١) ط : « والختان » ، وما أثبتته من ١ ، والتفسير ٣ : ١٤

(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسان بن الربيع ،
قال : حدثنا عبد الرحمن - وهو ابن ثوبان - عن عبد الله بن الفضل ، عن
عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اختن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدُوم » .

• • •

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم
خبران :

أحدهما : ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال :
حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال : « أتدرون
ما وفى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفى عملَ يومه أربعَ ركعات
في النهار » .

والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ،
قال : حدثنا زبان بن فائد ، عن سهيل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله
﴿ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؟ لأنه كان يقول كلِّمًا أصبح وكلِّمًا أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ
تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ .. ﴾ ^(١) حتى ختم الآية ^(٢) .

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبرَ على كلِّ ما ابتلاه به ، والقيام بكلِّ
ما أزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعته على كلِّ شيء سواها ، اتخذته خليلًا ،
وجعله لمن بعده من خلقه إمامًا ، واصطفاه إلى خلقه رسولًا ، وجعل في ذريته
النبوة والكتاب والرسالة ، وخصَّهم بالكتب المترلة ، والحكم البالغة ، وجعل
منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كلِّمًا مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد
رفيع ، وأبقى لهم ذكرًا في الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتثنى عليه ، وتقول
بفضله إكرامًا من الله له بذلك في الدنيا ، وما ادَّخر له في الآخرة من الكرامة

(٢) الخبران في التفسير ٣ : ١٥ ، ١٦ .

(١) سورة الروم ١٧

أجلٌ وأعظمٌ من أن يحيط به وصف واصف .

• • •

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

وَنُرْجِعُ الْآنَ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ ٣١٩/١
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ النَّصِيحَةَ الَّتِي نَصَحَهَا لَهُ جَهْلًا مِنْهُ ، وَاعْتِرَارًا بِحُلْمِ اللَّهِ
 تَعَالَى عَنْهُ ، نَمْرُودَ بْنَ كُوشِ بْنِ كَنْعَانَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ فِي عَاجِلِ
 دُنْيَاهُ حِينَ تَمَرَّدَ عَلَى رَبِّهِ ، مَعَ إِمْلَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَتَرَكَهُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ لَهُ عَلَى كُفْرِهِ
 بِهِ ، وَمَحَاوَلَتِهِ إِحْرَاقَ خَلِيلِهِ بِالنَّارِ حِينَ دَعَاهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ،
 وَأَنَّ نَمْرُودًا لَمَّا تَطَاوَلَ عَشُوهُ وَتَمَرَّدَهُ عَلَى رَبِّهِ مَعَ إِمْلَاءِ اللَّهِ (١) اللَّهُ تَعَالَى لَهُ - فِيمَا ذَكَرَ -
 أَرْبَعِمِائَةَ عَامٍ ، لَا تَزِيدُهُ حُجُجُ اللَّهِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْهِ ، وَعَبْرُهُ الَّتِي يُرِيهَا إِيَّاهُ
 إِلَّا نَمَادِيًّا فِي غِيَةِ ، عَذَبَهُ اللَّهُ - فِيمَا ذَكَرَ - فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ قَدْرَ إِمْلَائِهِ إِيَّاهُ مِنْ
 الْمُدَّةِ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ بَعُوضَةٌ سَلَطَهَا عَلَيْهِ [تَوَغَّلَتْ فِي خِيَاشِيمِهِ فَمَكَثَ
 أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ يَعْذَبُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا] (٢) .

* * *

* ذَكَرَ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةَ عَنْهُ بِمَا ذَكَرْتُ مِنْ جَهْلِهِ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَقْمَتِهِ :

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
 مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، أَنَّ أَوَّلَ جَبَّارٍ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَمْرُودٌ ، وَكَانَ النَّاسُ
 يَخْرُجُونَ فَيَمْتَارُونَ مِنْ عِنْدِهِ الطَّعَامَ ، فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْتَارُ مَعَ مَنْ يَمْتَارُ ، فَلِذَا
 مَرَّ بِهِ نَاسٌ قَالَ : مَنْ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : أَنْتَ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ :
 مِنْ رَبِّكَ ؟ قَالَ : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ٣٢٠/١

(١) ١ : « إِمْلَاءُ اللَّهِ إِيَّاهُ » . (٢) تَكْلِمَةٌ مِنْ أ ، ن .

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿١﴾ .
 قال : فردّه بغير طعام ، قال : فرجع إبراهيمُ إلى أهله فرمّ على كئيبٍ أعفر^(٢) ،
 فقال : هلا آخذاً من هذا فأتى به أهلي فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم !
 فأخذ منه ، فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ثم نام ، فقامت امرأته إلى متاعه
 ففتحتّه فإذا هي بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه ، فقربته إليه وكان
 عهد أهله ليس عندهم طعام — فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام
 الذي جئت به ، نعلم أن الله قد رزقنا ، فحمد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار ملكاً : أن آمن بي وأتركك على مالك ، قال :
 فهل ربّ غيري ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك . فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى
 عليه ، فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبار جموعه ،
 فأمر الله الملك ، ففتح عليهم باباً من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها
 من كثرتها^(٣) ، فبعثها الله عليهم . فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق
 إلا العظام ، والملك كما هو لم يُصبه من ذلك شيء ، فبعث الله عليه بعوضةً
 فدخلت في منخره ، فحكّت أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق . وأرحم الناس
 به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبّاراً أربعمئة عام ، فعذبه
 الله أربعمئة سنة كملكه وأمانته الله ، وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء ،
 فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ
 الْقَوَاعِدِ ﴾ (٤)

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
 ابن عباس — وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٢) الكئيب الأعفر : الرمل الأحمر .

(٣) ن : « كثرت » .

(٤) سورة النحل ٢٦ ، والخبر في التفسير ٥ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

عليه وسلم ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم ، فأخرج - يعني من مدينته -
قال : فأخرج فلقي لوطاً على باب المدينة - وهو ابن أخيه - فدعاه فأمن به ،
وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ ^(١) ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ
أربعة أفرخ من فراخ النور ؛ فربّاهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن
وغلظن واستملجن ، قرهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع رجلاً من
لحم هن ، فطرن به ؛ حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى
الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع هن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض
محيطاً بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلاً فوق في ظلمة ؛ فلم ير
ما فوقه ولم ير ما تحته ، ففرع فألقى اللحم فاتبعته منقضات ، فلما نظرت الجبال
إليهن وقد أقبلن منقضاتٍ وسمعن حفيفهن فزعت الجبال ، وكادت أن تزول
من أمكنتها ولم يضعن ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٢) ، وهي في قراءة ابن مسعود :
﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهن ^(٣) به من بيت المقدس ، ووقعهن في
جبل اللدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح ، فبنى حتى
إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - بزعمه - إلى إله إبراهيم ، فأحدث يوم
يكن يحدث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) ، يقول : من آمنهم ، وأخذهم من
أساس الصرح ، فتنقض [٣٣٠] ^(٥) . ثم سقط فتلبت ألسن الناس من يوثد من
الفرع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً ، فلذلك سميت بابل ، وإنما كان
لسان الناس قبل ذلك السريانية ^(٦) .

(١) سورة المنكوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ا والتفسير : « طير ورهن » ؛ وهما بمعنى .

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكلمة من ا والتفسير .

(٦) الخبر في التفسير ١٤ ، ٦٦ ، ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفصري ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد - أو جعفر - عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : نمرود صاحب النور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا . ثم أمر بالنور فاحتلمته ، فلما صعد قال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : أرى الماء والجزيرة - يعنى الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط ، وقال غيره : تُودى : أيها الطاغية ، أين تريد ؟ فسمعت الجبال حفيف النور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانييل ، أن علياً عليه السلام قال في هذه الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : أخذ ذلك الذى حاج إبراهيم في ربه تسريين صغيرين ، فرباهما حتى استغلظا واستعلجا فشببا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب ، فصوبها ، فهبط . قال : فهو قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ ^(٢) .

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

• • •

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يذمعه أهل العلم بسير الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاق) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيم كان في عهد الضحاك بن أندرماسب الذى قد ذكرنا بعض أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض من أشكل عليه أمر نمرود من عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عن روى عنه أنه قال : ملك الأرض كافران ومؤنان ، فأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين . وقول القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في ٣٢٤/١ عهد إبراهيم نمرود : هو (١) الضحاك . وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار (٢) الأوائل ، والمعرفة بالأمر السوالف ، كالذى ظن ، لأن نسب نمرود في النسب معروف ، ونسب الضحاك في عجم الفرس مشهور ، ولكن ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمر السالفين من الأمم ذكروا أن الضحاك كان ضم إلى نمرود السواد وما اتصل به بمنة ويسرة ، وجعله ولده عمه على ذلك ، وكان هو ينتقل (٣) في البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنه ووطن أجداده (٤) دُنباوند ، من جبال طبرستان ، وهناك روى به أفريدون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد . وكذلك ببختنصر كان أصبهيد ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل هراسب ، وذلك أن هراسب كان مشتغلاً بقتال الترك ، مقيماً بإزمهم ببلخ ، وهو بتناها - فيما قيل - لما تطاول مكثه هنالك لحرب الترك ، فظن من لم يكن عالماً بأمر القوم بتطاول مدة ولايتهم أمر الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك . ولم يدع أحداً من أهل العلم بأمر الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النسب كان ملكاً برأسه على شبر من الأرض ، فكيف يملك شرق الأرض وغربها ! ولكن العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التاريخات ، يزعمون أن ولاية نمرود لإقليم بابل من قبل الازدهارق بيوراسب دامت أربعمئة سنة ، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال

(١) ر : « وهو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبت عن ا ، ر ، ن .

(٣) كلا في ا ، وى ط : « ينتقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبَطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص^(١) بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة ، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهرًا . فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر ، وذلك كله في أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَبَطَ وطردهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم بيوراسب على أموره ، وعَمَل نمرود وولده له .

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكّر لهم .
وتغيّر عما كان لهم عليه .

• • •

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التي كانت في أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران ابن تارخ ، ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سدّوم . وكان من أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمناً به ، متبعاً له على دينه ، مهاجراً إلى الشام ، ومعهما سارة بنت ناحور . وبعضهم يقول : هي سارة بنت هيبال^(٢) بن ناحور . وشخص معهم — فيما

قيل — تارخ أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم في دينه ، مقيماً على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر]^(٣) أبو إبراهيم بجرّان على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ، ثم مضوا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعوناً من فراعنتها ، ذكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج^(٤) بن عملاق بن لاوذ^(٥) ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخاً للضحاك ، كان

٣٢٦/١

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوص » .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « هنال » .

(٣) تكلة من أ .

(٤) ر : « عويج » .

(٥) ب : « لاوى » .

الضحاك وجهه إليها عاملاً عليها من قبيله - وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيها مضي قبل - ثم رجعوا عوداً على بلنهم إلى الشام. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سدوم، وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿ إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أُنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ (١).

وكان قطعهم السبيل - فما ذكر - إتيانهم (٢) الفاحشة إلى من ورد بلدهم.

• ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ ﴾ ، قال : السبيل طريقُ المسافر إذا مرَّ بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديتهم ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : كانوا يحذفون من مرَّ بهم .

وقال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجالسهم .

وقال بعضهم : كان بعضهم ينكح بعضاً فيها .

• ذكر من قال كانوا يحذفون من مرَّ بهم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا عمر ابن أبي زائدة ، قال : سمعتُ عكرمة يقول في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا يؤذون أهل الطريق ، يحذفون من مرَّ بهم (٣) .

(١) سورة التنبؤ ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ب : « أتباعهم » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٣ (بولاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة^(١) ، قال : سمعت
عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كل من
مر بهم حذفوه ، وهو المنكر .

• ذكر من قال : كانوا يتضارطون في مجالسهم :

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ،
قال : حدثنا رَوْحُ بن غُطَيْفِ الثَّقَفِيِّ ، عن عمرو بن مُصْعَبٍ ، عن عُرْوَةَ
ابن الزبير ، عن عائشة في قوله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قالت :
الضراط .

• ذكر من قال كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم :

٢٢٨/١

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن
مجاهد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضهم يأتي بعضاً
في مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال :
حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عمرو ، عن منصور ،
عن مجاهد مثله .

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « الظفاري » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى .
وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : المجالس ،
والمُنْكَرُ إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : ناديتهم المجالس ، والمُنْكَرُ عملهم الخبيث
الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه ، وقرأ : ﴿ أَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) وقرأ : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن
أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار : قوله : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ،
ما نرا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عتني
بالمُنْكَرِ الذي كانوا يأتونه في ناديتهم في هذا الموضع حذفهم من مرّ بهم
وسخريتهم منه ، للخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي
حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن
أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أم هانئ ، عن أم هانئ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحدفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذي كانوا يأتونه^(١)

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن حيان ، قال : أخبرنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحدفون أهل الطريق ويسخرون منهم ٢٣٠/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحدفون أبناء السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعدهم - على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه - العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتوراً واستعجالاً لعذاب الله ، إنكاراً منهم وعيده ، ويقولون له : ﴿اِئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢) ، حتى سأل لوط ربه عز وجل النصره عليهم لما تناول عليه أمره وأمرهم وتماديهم في غيهم ، فبعث الله عز وجل لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جبرئيل عليه السلام وملاكين آخرين معه .

وقد قيل : إن الملكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاق) ، وفيه : « يأتون » .

(٢) سورة المنكوت ٢٩ .

فأقبلوا - فيما ذكر - مُشاةً في صورة رجال شباب .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتُهلك قوم لوط ، فأقبلت^(١) تمشي في صورة رجال شباب ؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتصيفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه في خبر إبراهيم وسارة . فلما ذهب عن إبراهيم الروح جاءتهُ البشري ، وأطلعتهُ الرسل على ما جاءوا له ، وأن الله أرسلهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجتهم في ذلك كما أخبر الله عنه [فقال] :^(٢) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتَهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾^(٤).

وكان جداله إياهم في ذلك - فيما بلغنا - ما حدثنا به ابن حميد ، قال :

حدثنا يعقوب القمي ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٥) . قال لهم إبراهيم : أتَهلكون قرية فيها

أربعمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنت نفسه .

(١) في جميع الأصول : « أقبلت » .

(٢) ط : « فأطلعتهُ » ، وما أثبتته من أ .

(٣) من أ .

(٤) سورة هود ٧٤

(٥) سورة النكبت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمْيَانِيُّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلُّون رُفِعَ عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿يَجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرايتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن^(١) كان فيهم خمسون لن نعدِّبهم^(٢) ، قال : وأربعون ؟ قالوا : وأربعون ، قال : وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كانوا عشرة ؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيم حال قوم لوط بخبر الرسل قال للرسل : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾^(٣) إشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(٤) .

• • •

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سدوم ، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذُكِرَ أنهم لَقُوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقيل إنهم لَقُوا عند نهرها ابنة لوط تستقي الماء .

• ذكر من قال لقوا لوطاً :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم - والله أعلم - لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضَيَّفوك^(٤) الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر

٣٣٣/١

(١) في ط : « وإن » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) ب ، ن : « يعذبهم » .

(٣) سورة العنكبوت ٣٢

(٤) كذا في أ ، ب ، وفي ر : « نضيفك » ، وفي ط : « مضيفك » .

الأرض^(١) أناساً^(٢) أحيث منهم . قال : ففضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائي ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات ، فقد أذنت لكم في هلكتهم^(٣) ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيتك الليلة ، قال : وما بلغكم^(٤) أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشراً قرية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

■ ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت

من سدوم ابنة لوط دون لوط^(٥) :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي ٣٣٤/١ صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها — وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى^(٦) رعزيا^(٧) — فقالوا

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .

(٢) ن : « أسداً » .

(٣) كذا في أ ، ر ، وفي ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .

(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .

(٥) ن : « قبل » .

(٦) ب ، ر : « والصغرى » .

(٧) كذا في أ ، ب ، وفي ن : « رعزنا » ، وفي ر : « دعريا » ، وفي ط من غير نقط .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فكانتكم لا تدخلوا حتى آتيتكم ؛ فرقت^(١) عليهم من قومها ، فأنت أباهما ، فقالت : يا أبتاه ، أراذك فتیان علی باب المدينة ، ما رأيت وجوه^(٢) قوم هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم - وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا - فقالوا له : خال عنا فلتضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إن في بيت لوط رجلا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنا قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزون في صيفي آيس منكم رجل رشيد ﴾^(٣) ؛ هؤلاء بناتي هن أظهر لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم نهنك أن تضيف الرجال ! لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾^(٤) . يقول عليه السلام : لو أن لي أنصارا ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي !

٣٣٥/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قال لوط لهم : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ ، فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد . فلما يشس^(٥) لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعاً ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمر أنك

(١) ابن الأثير ١ : ٧٩ : « خافت » .

(٢) ابن الأثير : « ما رأيت أصح وجوها منهم » .

(٣) سورة هود ٧٨

(٤) سورة هود ٨٠

(٥) ر : « أيس » .

إِنَّهُ مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿١﴾ ، فذكر أن لوطًا لما علم أن أضيافه رسل الله ،
وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .
* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال :
مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطًا وكان من أمرهم ما ذكر
الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إن أهلها
كانوا ظالمين . فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال جبرئيل عليه السلام :
﴿ إِنَّمَا مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ الْبَاقِيَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿١﴾ فأنزلت على لوط : ﴿ أَلَيْسَ
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿١﴾ .

قال : وأمره أن يُسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحدٌ
إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة (٢) التي أهلكوا فيها أدخل
جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ،
ونُبِّأ الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ،
قال : وسمعت امرأة لوط الهدية فقالت : وا قوماه ! فأدركها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن
شيمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألا تذيع شيئًا من سرِّ
أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ورأهم في صورة لم تر
مثلها قط انطلقت تسعى إلى قومها ، فأنت النادى فقالت بيدها هكذا ،
فأقبلوا يهرعون مشيًا بين الهرولة والحمز ، فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال
الله تعالى في كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ،
قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، قال : فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون (٣) الحيطان
وهم لا يبصرون (٤) .

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان في الساعة » .

(٣) كذا في ا ، ب ؛ وفي ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حُدَيْفَةَ ، قال : لما بصرت بهم - يعني بالرسل - عجوز السوء ، امرأته ، انطلقت فأندرتهم فقالت : قد تضيف لوطاً قومٌ ما رأيت قوماً أحسنَ منهم وجوهاً - قال : ولا أعلمه إلا قالت : وأشدّ بياضاً وأطيب ريحاً منهم - قال : فأتوه ﴿بُهُرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(١) ، كما قال الله عز وجل ، فأصفيق^(٢) لوط الباب . ٣٣٧/١

قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عز وجل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عمياناً يترددون في أخبث ليلة أتت عليهم قطاً ، فأخبروه إذا رسل ربك ، فأمر بأهلك بقطع من الليل ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفت ، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس المُلَاقِيّ ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته - يعني امرأة لوط - حين رأتهم - يعني حين رأت الرسل - إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قطاً أحسن وجوهاً ، ولا أطيّب ريحاً . فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال : ﴿هُوَ لَأَهْ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤) ، فقالوا : ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) ، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة : فطمست أعينهم فقالوا : يَا لُوطُ جِئْنَا بِقَوْمٍ سَحَرَةً ؛ سَحَرُونَا كَمَا أَنْتَ حَتَّى نَضِجَ . قال : فاحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها^(٦) . ٣٣٨/١

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) أصفيق الباب : أغلقه .

(٣) ر : « قتلها » ، والخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ - ٥٥ (بولاق) .

(٤) سورة الحجر ٧١ .

(٥) سورة الحجر ٧٠ .

(٦) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور . وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، جميعاً عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ذهبت عجوزة ، عجوزة السوء ، فأنت قومها فقالت : قد تضيّف لوطاً [الليلة] ^(١) قوم ما رأيت يوماً قط أحسن وجوهاً منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ، فقام ملك فلزّ الباب - يقول : فسدّة - فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصرهم ^(٢) جبرئيل يجناحه ، فتركهم عمياناً ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا : إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتاً ، فالتفت فأصابها حجر وهى شاذة من القوم معلوم مكانها ^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه : لما قال لوط : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بَكْمُ قُوَّةٍ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ، بسط حينئذ جبرئيل جناحه ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً ، يقولون : النجاء النجاء ! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَنَّا أَعْيُنَهُمْ﴾ ^(٤) وقالوا للوط : ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنِ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ ، يقول : سر بهم فامضوا حيث تؤمرون ، فأخرجهم الله تعالى إلى الشام . وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ! فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ ^(٥) .

(١) من التفسير . (٢) ط : « فصفقهم فصرهم » ، وما أثبتته من أ ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)

(٤) سورة القمر ٢٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المشنى، قال : أخبرنا إسحاق، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن مُنَبِّه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قومَ سوءٍ قد استغفوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشي ، فقال : أخبروني لمَ بعثتم ؟ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سدوم لندمهم فإنيهم قوم سوء . قد استغفوا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرايتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحاً ؟ قالوا : إذاً لا نعلمهم ، فلم يزل [ينقص] ^(١) حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح ، قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يش إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قوماً قط أحسن منهم ولا أجمل ، فسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران ^(٢) ، فلقيتهم لوط فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيقي وأنا أزوجهم بناتي فهن أطهر لكم . فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال : لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنيهم آتيهم عذاب غير مردود ، فسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحيه حتى بلغ أسفل الأرضين ، فقلبها فنزلت حجارة من السماء ، فتبع من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجى لوطاً وأهله إلا امرأته . ^(٣)

٣١٠/١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال : حدثنا الأعمش، عن مجاهد، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سرّحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

(١) من والتفسير .

(٢) ط : ١ ، « الجدران » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد ، فقال : أدخل جبرئيل جناحيه ^(١) تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان يقول : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ^(٢) ، قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه ^(٣) ، ثم حملها على خوافي جناحيه ^(٤) .

٣٤١/١

حدثني المنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، قال : وحدثني هذا ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد قال : فحملها على خوافي جناحيه ^(٥) بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبتها ، فكان أول ما سقط منها شرافها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ ﴾ ^(٥)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغى ^(٦) كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعتهم ^(٧) الحجارة . قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبت من ا . (٢) سورة هود ٨٢ .
 (٣) ا : « ثم حملها في جناحيه » . (٤) ط : « جناحه » ، وما أثبت من ا .
 (٥) سورة الحجر ٧٤ . (٦) ضواغى الكلاب : نباحها .
 (٧) ا : « تبعهم » .

قتادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدان^(١) القوم صخراً ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول : سدوم يوماً هالك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه : لما أصبحوا - يعني قوم لوط - نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالْمَوْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾^(٢) ؛ المتقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فن لم يمت حين أسقط^(٣) الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبعهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى الموتفة (قرية قوم لوط التي كان لوط فيها) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد^(٥) بها حتى إن أهل السماء^(٦) الدنيا ليسمعون^(٧) نباح كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفاها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى :

(١) شدان القوم : المتفرون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .

(٣) في الأصول « سقط » وما أثبتته من التفسير .

(٤) المعبر في التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق

(٥) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « صعد » .

(٦) ساقطة من أ وفي ن : « أهل سماه الدنيا » .

(٧) ط : « يسمعون » وما أثبتته من التفسير .

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خَمْسَ قَرِيَّاتٍ : صَبْعَةَ^(١) ، وَصَعْرَةَ^(٢) ، وَعَمْرَةَ^(٣) ، وَدُومًا^(٤) ؛ وسَدُومُ هِيَ الْقَرْيَةُ الْعَظِيمُ ، وَنَجَّى اللَّهُ تَعَالَى لُوطًا وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ فِي مَنْ هَلَكَ^(٥) .

(١) ن : « صَبْعَةَ »

(٢) ن : صَمُوعَةَ .

(٣) ب : « عَمْرَةَ » .

(٤) ب : « دُومًا » .

(٥) الخبير في التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أم إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهل العلم من العرب والمعجم أنها كانت بالشام .

وقيل : إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم . وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة .

فأما الخبر فبغير ذلك ورد . حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل .

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فقال لسارة : ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه ، فأخذت عليه عهداً ألا يتزل حتى يأتيها ، فركب البراق ، ثم أقبل وقد ماتت أم إسماعيل ، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم .

٣٤٤/١

وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه . وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل ، أن إبراهيم عليه السلام احتاج - وقد كان له صديق يعطيه^(١) ويأتيه - فقالت له سارة : لو أتيت خلعتك^(٢) فأصبت لنا منه طعاماً ! فركب حماراً له ، ثم أتاه ، فلما أتاه تغيب منه ، واستحياً إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائباً ، فرآه على بطحاء ، فلأ منها خرجه ، ثم أرسل الحمار إلى أهله ، فأقبل الحمار وعليه حنطة جيدة ، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ ، وجاء إلى أهله ، فوجد سارة قد جعلت له طعاماً ، فقالت : ألا تأكل ؟ فقال : وهل من شيء ؟ فقالت : نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك ، فقال : صدقت

(١) ر : « يقرضه » . (٢) ط : « خليلك » ؛ وهما سواء .

من عند خليلي جنت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرعه وهلكت زروع الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبي فرجع ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(١) . فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في

المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية^(٢) مدين - فيما قيل - والحجاز ٣٤٥/١ إلى أرض الشام ، وكان ابن أخيه لوط نازلاً معه ، فقاسم^(٣) ماله لوطاً ، فأعطى لوطاً شطره فيما قيل ، وخيره مسكنًا يسكنه ومنزلاً يتزله غير المنزل الذي هو به نازل ، فاختار لوط ناحية الأردن فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سبباً لآثاره بمكة وإسكانه إياها لإسماعيل ، وكان ربما دخل أمصار الشام .

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قطورا بنت يقطن ؛ امرأة من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر : يقسان^(٤) بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛ ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ، فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل يكره أكبر ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر وليفتها . وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون^(٥) . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي ، فهو وقومه من ولده بعثه الله عز وجل إليهم نبيًا .

٣٤٦/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا في ١ ، روى ط : « برية » .

(٣) ب : « ناقسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ا : يقشان ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا في ١ ، ر ، و ، ط : « يملون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال : كان أبو إبراهيم من أهل حران ، فأصابته سنة من السنين ، فأقى هُرْمَزْ جرد بالأهواز ، ومعها امرأته أم إبراهيم ، واسمها توتا^(١) بنت كرينا^(٢) بن كوئي ، من بني أرفخشذ بن سام بن نوح .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال : اسمها أموتامن ولد أفرام بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وكان بعضهم يقول : اسمها امتلى بنت يكفور^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، عن أبيه ؛ قال : نهر كوئي كراه كرينا جد إبراهيم من قبل أمه ، وكان أبوه على أصنام الملك نمrod ، فولد إبراهيم بهرْمَزْ جرد ، ثم انتقل إلى كوئي من أرض بابل ، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه ، دعاهم إلى عبادة الله ، وبلغ^(٤) ذلك الملك نمrod فحبسه في السجن سبع سنين ، ثم بنى له الحير^(٥) بخص ، وأوقد له الحطب الخزل ، وألقى إبراهيم فيه ، فقال : حسبي الله ونعم الوكيل ! فخرج منها سليماً لم يكلم .

٣٤٧/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب إبراهيم من كوئي ، وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني ، فلما عبر القرات من حران غير الله لسانه فقيل : عبراني ، أي حيث عبر القرات ، وبعث نمrod في أثره ، وقال : لا تدعوا أحداً يتكلم بالسرانية إلا جثمتوني به ، فلقوا إبراهيم عليه السلام فتكلم بالعبرانية : فتركوه ولم يعرفوا لغته .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه قال : فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام فجاءته سارة ، فوهبت له نفسها

(١) كذا في ن

(٢) كذا في ر

(٣) ا : « تكفور »

(٤) ط : « بلغ » .

(٥) ر : « الحفر » .

فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأق حمران ، فأقام بها زماناً ، ثم أتى الأردن فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع (أرض بين إيليا وفلسطين) واحضر بئراً ، وبني مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحول من عندهم ، فنزل منزلاً بين الرملة وإيليا ، فاحترق به بئراً أقام^(١) به ، وكان قد وسع عليه في المال والخدم ، وهو أول من أضاف الضيف ، وأول من ثرد الثريد ، وأول من رأى الشيب .

قال : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده - وأمه هاجر وهي قبطية ، وإسحاق ، وكان ضرير^(٢) البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن فاخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح - ٣٤٨/١ ومدن ، ومدين ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح ؛ وأمههم قنطورا بنت مقطور^(٣) من العرب العاربة .

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدین ، فسميت به ، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك ، وأمرتنا أن ننزل أرض العرب والوحشة ! فقال : بذلك أمرت ، قال : فلمهم اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنصرون ، فمنهم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا : ينبغي للذي علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال : فسموا ملوكهم خاقان .

قال أبو جعفر : ويقال في يسبق : يسباق ، وفي سوح : ساح .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قنطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منها حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس .

(١) ط : « فأقام » ، وما أثبت من أ .

(٢) ط : « وهو ضرير » ، وما أثبت من أ .

(٣) ط : « مقطور » ، وما أثبت من أ .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه^(١) ملك الموت في صورة شيخ هرم . ٣٤٩/١

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ بالإسناد الذي ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم ، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير]^(٢) يمشي في الحرة^(٣) ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكبير ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بيني وبينك ستان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضني إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام — وكان موته وهو ابن مائتي سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة — دفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون .

وكان مما^(٤) أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .

(٣) ا : « الحرة » .

(٤) ن : « فيما » وفي ا : « كذلك حدثني » .

كتب : أنزل الله عزَّ وجلَّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلَّ وعزَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحيف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم ؛ فإني لا أردُّها^(١) وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربَّه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله عزَّ وجلَّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم^(٢) والمشرب . وعلى العاقل ألاَّ يكون ظاعناً إلاَّ في ثلاث : تزوّد لمعاده ، ومروءة لمعاشه ، ولذة في غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومنَّ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاَّ فيما يعنيه .

٣٥١/١

* * *

وكان لإبراهيم - فيما ذكر - أختوان يقال لأحدهما هاران - وهو أبو لوط ، وقيل إن هاران هو الذي بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت^(٣) - والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل^(٤) هو أبو لابان^(٥) ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، ولياً وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

(١) في ط : « لأردّها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما في الأصول .

(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .

(٣) ط : « تنسب » ، وما أثبتته من أ .

(٤) أ : « بتويل » ، ر : « نبويل »

(٥) أ ، ن : « لايان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى ^(١) ذكرنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل ، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجرهمي ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة ، وهي زوجة إسماعيل : قولي لزوجك إذا جاء : قد رضيت لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمههم السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجرهمي : نابت بن إسماعيل ، وقيدر بن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل ، ومبشا بن إسماعيل ، ومسمع بن إسماعيل ، ودما بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل .

٣٥٢/١

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبتا الله عز وجل إسماعيل ، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم في قيدر : قيدار ، وفي أدبيل : أدبال ، وفي مبشا : ميشام ، وفي دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادم ^(٢) .

وقيل : إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر .

(١) ا ، ن : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسأؤم في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأنبيل ، ومبسام ، ومشاع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيس ، وقدمه .

حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن
 المخزومي ، عن مبارك بن حسن صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز ،
 قال : شكّا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرّاً مكة فأوحى الله تعالى إليه : إني
 فاتح لك باباً من الجنة يجرى عليك روحها إلى يوم القيامة ، وفي ذلك المكان تدفن .

• • •

ونرجع الآن إلى :

٢٥٢/١ ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

إذ كان التأريخ غير متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان ملوكهم متصلاً دائماً من عهد جيومثرت الذي قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس ، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصلين بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام . وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متصل في قديم الأيام وحديثه إلا ما لا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم ، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت^(١) ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معلوم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملك ، غير أنه كان غير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقف على مبلغها العلماء ، لقلّة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر اللدائم ، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عامل لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه^(٢) بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن نهم ؛ فإنهم كانوا على فرج نجر العرب للفرس من الحيرة إلى حد اليمن طولاً وإلى حدود^(٣) الشأم وما اتصل بذلك^(٤) عرضاً ، فلم يزل ذلك دائماً لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان التعمان بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على نجر العرب إلى إياس بن قبيصة الطائي .

(١) ١ : «وصفت» . (٢) ط : «لا يملك» وما أثبتته من أ .

(٣) ط : «حد» ، وما أثبتته من أ . (٤) ط : «به» ، ما أثبتته من أ .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توأمين وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بني الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله لييا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون ٣٥٥/١ ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون^(١) بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل في يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فحلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب - وهو بالعربية شداد - وولد له من سُرِّيَّتَيْنِ، اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالي^(٢) بن يعقوب، وحاد^(٣) بن يعقوب، وأسر^(٤) بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا.

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عم إسحاق، وإنها ولدت له ابنه عيصا ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطباً، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتخرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت ٣٥٦/١ له ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أني أخذتُك أجيراً حتى تستوفى صدق

(١) ا، ب، ن: «زبالون» . (٢) ن: «يفتال» .

(٣) ر: «وحادر» . (٤) ن: «أسر» .

ابتتك ، قال : فإنّ صداقها أن تخدمني سبع حجج . قال يعقوب : فزوجني راحيل وهي شرطى ، ولها أخذُك ، فقال له خاله : ذلك بينى وبينك ، فرعى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفى له ^(١) شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا ، وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو فى نادى قومه فقال له : غررتنى وخذعتنى واستحللت ^(٢) على سبع سنين ، ودلّست علىّ غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختى ، أردت أن تُدخِل علىّ خالك العار والسبّة ، وهو خالك والدك ، ومنى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى ! فهلمّ فاخذمى سبع حجج أخرى ، فأزوّجك أختها — وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة — فرعى له سبعا ، فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوى . وولدت ليراحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنته حين جهزهما إلى يعقوب أمّتين فوهبتا الأمتين ليعقوب ، فولدت كل واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيضا .

وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفثالى من زلفة جارية راحيل ؛ وذلك أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جارتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل فى جارتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامراتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص ، فلم ير منه إلا خيرا ، وكان العيص فيها ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتروج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشام ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم . وكان العيص فيها ذكر يسمى آدم لأدمته . قال : ولذلك سمى ولده

(١) ١ : « فلما وفاه » ، وفى ر : « فلما تم » .

(٢) ر : « واشترطت على » .

ولد الأصغر، وكانت^(١) ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنه العيص ويعقوب — بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة — توأمين في بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خروجا من بطن أمه، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت^(٢) رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فزعموا أن يعقوب ختل العيص في قربان قرياه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سن إسحاق، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاض ذلك العيص وتوعدّه بالقتل، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوجه ابنته ليا وراحيل، وانصرف بهما ويخاريتهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشام إلى منزل آباءه، وتآلف أخاه العيص حتى نزل^(٣) له البلاد وتنقل في الشام، حتى صار إلى السواحل. ثم عبر^(٤) إلى الروم فأوطنها^(٥)، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية — فيما زعم هذا القائل .

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي^(٥)، قال : حدثنا أبي، قال : أخبرنا أسباط، عن السدي، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أزدت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعرضن في بطن أمي ولأقتلنها، فتأخر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمى عيصاً لأنه عصى، فخرج قبل يعقوب، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيص، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصاً خرج قبله، وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق

(١) ط : « فكانت » وما أثبت من ا .

(٢) كذا في ا ، ر وفي ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذها وطناً .

(٥) في الأصول : « المبقرى » ، تصحيف ؛ منسوب إلى بيع المنقر ، ذكره ابن الأثير

وعمى، قال لعيص: يا بنى أطمعنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى، وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب رجلاً أجرداً، فخرج عيص يطلب الصيد، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب: يا بنى، اذهب إلى الغم فاذبح منها شاة ثم اشوه، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك، وقل له: أنا ابنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا أبتاه كُفْ، قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابنك عيص، قال: فسّه، فقال: المس مس عيص، والريحُ ريح يعقوب، قالت أمه: هو ابنك عيص فادع له، قال: قدّم طعامك، فقدّمه فأكل منه، ثم قال: ادن منى، فدنا منه، فدعا له أن يجعل فى ذريته الأنبياء والملوك، وقام يعقوب، وجاء عيص فقال: قد جئتُك بالصيد الذى أمرتني به^(١)، فقال: يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلته، قال: يا بنى قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع^(٢) لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم، وقالت أم يعقوب ليعقوب: الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص، فانطلق إلى خاله، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار، ولذلك سمي إسرائيل، وهو سرى الله، فأقى خاله وقال عيص: أما إذ غلبتني على الدعوى فلا تغلبني على القبر، أن أدفن عند آبائى: إبراهيم وإسحاق، فقال: لئن فعلت لتدفننّ معه.

٣٥٩/١

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنة خاله - وكانت له ابنتان - فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما، فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمى، فلما انقضى الأجل زفت إليه أختها ليا، قال يعقوب: إنما أردت راحيل، فقال له خاله: إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير، ولكن ارع لنا أيضاً وأنكحها^(٣)، ففعل. فلما انقضى الأجل زوجته راحيل أيضاً، فجمع يعقوب بينهما، فذلك قول الله: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤).

٣٦٠/١

يقول: جمع يعقوب بين ليا وراحيل، فحملت ليا فولدت يهوذا،

(٢) : « أدعو » وكلاهما جائز .

(١) ر : « أردت » .

(٤) سورة النساء ٢٣ .

(٣) ر : وانكحها جميعاً .

وروبيل ، وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل في نفاسها بينيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذى ماتت فيه] (١) .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعاً من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أبي لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان في حجر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتَمِّهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشام ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أتاكم أحدٌ يسألكم : مَنْ أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقبيهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فكفَّ عيص عن يعقوب ، ونزل (٢) يعقوب بالشام ، فكان همّه يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأنَّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

(١) تكلة من ا .

(٢) ا : « وترك »

(٣) سورة يوسف هـ

ذكر أيوب عليه السلام

ومن ولده - فيما قيل - أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد ، قال :
 ٣٦١/١ حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، أن
 أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن
 إسحاق بن إبراهيم .

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص
 ابن إسحاق بن إبراهيم .

وكان بعضهم يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل^(١) . ويقول : كان أبوه
 ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه^(٢) نمرود ، وكانت زوجته التي أمر
 بضربها بالضغث ابنة يعقوب بن إسحاق ، يقال : لها ليا ؛ كان يعقوب
 زوجها منه .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا
 غياث بن إبراهيم ، قال : ذكر - والله أعلم - أن عدو الله إبليس لقي امرأة أيوب -
 وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب - فقال : يا ليا ابنة الصديق وأخت الصديق .
 وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران .

وقيل : إن زوجته التي أمر بضربها بالضغث هي رحمة بنت أفرايم بن
 يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البشينة^(٣) من الشام كلها بما فيها ، وكان - فيما
 ٣٦٢/١ ذكر - عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاري ،
 قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال : حدثني عبد الصمد
 ابن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب
 الملائكة^(٤) بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « رغويل » . (٢) ط : « إحراقه » ؛ وما أثبت عن ١ .

(٣) البشينة ؛ ويقال البشة ؛ ذكرها ياقوت وقال « اسم ناحية من نواحي دمشق ، وقال :

وقيل : هي قرية بين دمشق وأذربعت ، عن الأزهري . وكان أيوب النبي عليه السلام منها .

(٤) ر : « ملائكة السموات » .

البغي والحسد ، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ^(١) ، فسلطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماهم ، وكان لأيوب البشيرية من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها ^(٢) ، وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدان أنان ، لكل أنان ولد ؛ بين اثنين ^(٣) وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس ، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد سلطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كل من عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده ^(٤) . فأرسلهم فأهلكوا ماله كله ، وأيوب في كل ذلك يحمد الله ولا يشيئ شيء أصيب به من ماله عن الجسد في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلهم ، ثم جاء إليه متمثلاً بعلتهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرقق حتى رقى أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، ففسر بذلك إبليس ، واغتنمه من أيوب عليه السلام .

٣٦٣/١

ثم إن أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتويته فلبسوا إبليس إلى الله عز وجل . فلما لم يئن أيوب عليه السلام ما حل به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجسد في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عز وجل إبليس أن يسلطه على جسده ، فسلطه على جسده خلالسانه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً ، فجاءه ^(٥) وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل ^(٦) منها جسده ، فصارت من جملة أمره إلى أن أتت

(١) ن : « في دينه » .

(٢) ن : « برعاتها » .

(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .

(٤) ر : « ما عندهم » .

(٥) ط : « فجاء » ، وما أثبتته من .

(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجهم أهلُ القرية من القرية إلى كُنْاسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبته :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء ورفضوه وأتهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز^(١) وللثالث صافر^(٢) . فانطلقوا إليه وهو في بلائه فيكثروه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه ، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء ، وردَّ عليه أهله وماله ومثلهم معهم ، وقال له : **رَأَى كُفْرَ بَرِّجَلِكْ هَذَا مُغْتَسِلٌ بِأَرْدٍ وَشَرَابٌ**^(٣) ؛ فاغتسل به فعاد كهيبته قبل البلاء في الحسن والجمال .

٣٦٤/١

فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كُنْاسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا ، ما يسأل الله عزَّ وجلَّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربِّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْبَةَ ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقى أيوب عليه السلام على كُنْاسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا اختلف فيها^(٤) الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبياً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم السلام .

وذكر أن عمرُ أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

(١) « اليفز » ، ن : « النفر » . (٢) ١ : « صافن » .

(٣) سورة ص ٤٢ . (٤) في الأصول : « فيه » .

ابنه حومل^(١) ، وأن الله عزَّ وجلَّ بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيًّا ، وسماه
 ذا الكِفْل وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ ، وأنه كان مقيمًا بالشَّام عُمره حتى مات ،
 وكان عُمره خمسًا وسبعين سنة ، وأن بشرًا أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله
 عزَّ وجلَّ بعث بعده شُعَيْبَ بن صَيْفون^(٢) بن عَيْفَا^(٣) بن نَابِت^(٤) بن مَدِين
 ابن إبراهيم إلى أهل مَدِين .

وقد اختلف في نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذي^(٥) ذكرت .
 وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مَدِين ، حدثني
 بذلك ابن حُمَيْد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض مَنْ
 كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشَّام ، ولكنه ابن بنت لوط ؛
 فجدة شعيب ابنة لوط .

° * °

ذَكَرَ خَبْرَ شُعَيْبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وقيل إن اسم شعيب يزون^(٦) ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب
 في نسبه ، وكان - فيما ذكر - ضريير البصر .

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : حدثنا أسيد بن زيد
 الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبَّيْر في قوله :
 ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِّنًا ضَعِيفًا ﴾^(٧) ، قال : كان أعمى .

(١) ن : « حومل » .

(٢) أ : « صيفون » .

(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

(٤) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « ثابت » .

(٥) ن : « النسبة التي » .

(٦) كذا في أ ، وفي ر : « يزوز » ، وفي ط : « يزون » .

(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا: حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكاً يقول في قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِنَّا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : أعمى .
حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحِمَّانِيُّ ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِنَّا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضرير البصر .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصْبِصِيُّ ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِنَّا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر (١)

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِنَّا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء ، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة - والأيكة الشجر الملتف - وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكابيل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عز وجل وسع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ مُخْتَرِينَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (٢) فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عز وجل في كتابه .

(١) ن ، ا ، ن : « كان أعمى » .

(٢) سورة هود : ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة - إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء» ، لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به .

فلما طال تماديهم في غيبيهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] ^(١) وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم ^(٢) ، سلط عليهم - فيما حدثني الحارث - قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثني يزيد الباهلي ، قال : سألتُ عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله و بَدَّةً ^(٤) وحرّاً شديداً ، فأخذ بأَنفُسِهِمْ فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] ^(٥) أجواف البيوت فأخذ بأَنفُسِهِمْ ، فخرجوا من البيوت هرباً ^(٦) إلى البرية فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل ^(٧) الله عليهم ناراً ، قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذاب يوم الظلة ؛ ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن رهب ، قال : حدثني جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذبهم بعث عليهم حرّاً شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء برّدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت ^(٧)

(١) من أ . (٢) ١ : « إهلاكهم » .

(٣) سورة الشعراء ١٨٩

(٤) ابن الأثير : « وقدة » ؛ وهما بمعنى .

(٥) ر : « هرباً » .

(٦) ن : « أرسلها » .

(٧) كذا في إ وابن الأثير ، وهو أجود ؛ قال في اللسان : « أمطرتهم الله ، في العذاب خاصة » ،

وفي ط : « مطرت » .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : حدثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء ، قال : كانوا - يعني قوم شعيب - عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعلوا كلما عطّلوا حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقاروا ، ولا ينفعهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجد رَوْحاً ، فنادى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعاً ، حتى إذا اجتمعوا ألهمها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم الظلة . ٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : أصابهم حرٌّ قاتلهم في بيوتهم ، فنشأت سحابة كهيئة الظلّة فابتدروها ، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرجفة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد في قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : ظلال العذاب .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، قال : أظّلّ العذاب قوم شعيب . قال ابن جريج : لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها برد وروح وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : بعث الله عز وجل إليهم ظلة من سحب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى .

٢٧٠/١

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميمية ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : مَنْ حَدَّثَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، مَا عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، فَكُذِّبَ بِهِ .

حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الحياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾^(١) ، قال : كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم - أو قال : قطع الدراهم ، الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا ابن أبي فديك ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عند بوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

٢٧١/١

وترجع الآن إلى :

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفي وله مائة وستون سنة فقبره ابنه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حَبْرُونَ (١) ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأمه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثني عبد الله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البناني] (٢) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : «أعطى يوسف وأمّه شَطْرَ الحسن» .

وأن أمه راحيل لما ولدته دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمته التي كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما (٣) بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنطَقَة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبير ، فكان من اختانها مَنْ وإيها كان له سَلَمًا (٤) لا يَنازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته (٥) عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحب أحد شيئاً من الأشياء حبّها إياه ، حتى إذا ترعرع

٢٧٢/١

(١) في الأصول : « جبرون » ؛ وفي ياقوت : « حبرون » ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس .

(٢) من ١ .

(٣) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « ما بلغني » .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا في ١ ان والتفسير ، وفي ط : « حضنته » .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أختي^(١) سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت : والله^(٢) ما أنا بتاركته ؛ قال : فوالله ما أنا بتاركة . قالت : فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعل ذلك يسدني عنه - أو كما قالت - فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتُمت ثم قالت : كَشَفُوا أهل البيت ، فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى مات . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) .

٣٧٢/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدة حب والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه^(٤) منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَائِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ، يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إِنْ أَبَانَا لَنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٥) .

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألته إياه إرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانهم^(٦) له حفظه ، وإعلام يعقوب إياهم حزنه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذنب ، وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

(١) ح : « يا أختاه » .

(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبتته من أ .

(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٢١ (بلاق) .

(٤) ح : « لمكانه » . وفي ر : « حسدوا مكانه » .

(٥) سورة يوسف ٨ .

(٦) ح : « في ضمانهم » .

وخرجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الحب ، فكان من أمره حينئذ فيما ذكر - ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقري ، عن أسباط ، عن السدي قال : أرسله - يعني يعقوبُ يوسف - معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ! لو تعلم ^(١) ما يصنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه ^(٢) ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ! فانطلقوا به إلى الحب ليطرحوه ، فجعلوا يَدُلُّونه في البئر فيتعلق بشفيرها ^(٣) ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ، ردُّوا عليّ قميصي أتواري به في الحب ! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدُلِّسوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت ، فكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقوه في الحب جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ^(٤) فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فنعهم وقال : قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

٣٧٤/١

ثم خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو في الحب لينبئهم إخوانه الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحي الذي أوحى إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحب أن ينبئهم بما صنعوا به ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ^(٥) بذلك الوحي .

(١) ط : « لم تعلم » وما أثبت من ا .

(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .

(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفي ب . ن : « بشفير البئر » .

(٤) ا : « بالحجارة » .

(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن
معر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم . ٣٧٥/١

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن
ابن عباس ؛ حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا
صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذلك^(١) ،
وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً فيكون ، يذكرون
له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ
جَمِيلٌ ﴾^(٢) .

ثم خبره جل جلاله عن محيىء السيارة ، وإرسالهم واردهم ، وإخراج الوارد
يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾^(٣) فيبشروهم^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة ، قال : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، تباشروا به حين أخرجه - وهى بشر
بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

* * *

وقد قيل : إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبه له يسمى بشرى ،
فتاداه باسمه الذى هو اسمه . كذلك ذكر عن السدي . حدثنا الحسن بن محمد ،
حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ،
عن السدي فى قوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ ﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشرى .

(١) : « ذلك » .

(٢) : سورة يوسف ١٨ .

(٣) : سورة يوسف ١٩ .

(٤) : « فيبشروهم » .

حدثني المنثى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غَلَامٌ ﴾ ، قال : اسم الغلام بشرى ، كما تقول : يا زيد .

ثم خبره عز وجل عن السيارة وواردهم الذي استخرج يوسف من الحب إذ اشروه من إخوته ﴿بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١) ، على زهد فيه وإسراهم إياه بضاعة ، خيفة من معهم من التجار سألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشروه .

كذلك قال في ذلك أهل التأويل :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن]^(٢) ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾^(١) ، قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه^(٣) خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بشئهم ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعني ويبتئرا فاشتره الملك ، والملك مُسلم^(٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شباية ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، وتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق حتى وقفوه بمصر .

٢٧٧/١

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ ، قال : لما اشتره الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا : اشتريناه فيسألونهم الشركة فيه فقالوا : إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا : بضاعة ، استبضعناه^(٣) أهل الماء ، فذلك قوله : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ .

(١) سورة يوسف ٢٠ (٢) تكله من التفسير .

(٣) كذا في ١ ، ح والتفسير ، وفي ط : « استبضعناها » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ١٠٠ (بولاق) .

فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهماً ، ثم اقتسموها - وهم عشرة - درهماً درهمين ، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن ؛ لأن الدرهم حينئذ - فيما قيل - إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهماً لم تكن توزن ، لأن أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل : إنهم باعوه بأربعين درهماً . وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً .

وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوب^(٢) ابن عققان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وأما الذي اشتراه بها وقال : ﴿ لِمَرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾^(٣) ؛ فإن اسمه فيما ذكر عن ابن عباس - قُطْفِير^(٤) . حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذي اشتراه قُطْفِير .

٣٧٨/١

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحِيب^(٥) ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الريّان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

(١) : « ذعر » .

(٢) : ١ ، ن : بويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا في ط وهو يوافق ما في ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفي أ : « قُطْفِين » ، وفي ن : « قُطْفِين » ،

واسمه في سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) : أ : « رحيب » ، ر : « روحيت » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمّت حتى آمن وأتبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حتى ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن عمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاؤف بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافرًا ، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن في التوراة : أنّ الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمتّ له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوأيذ بن الريان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر^(١) سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

٣٧٩/١

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أطفال يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — راعيل : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿ أَوْ تَتَّخِذَهُ وَادًّا ﴾ ، وذلك أنه كان فيها حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزّ وجلّ الحكم والعلم .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٢) : قال : العقل والعلم قبل النبوة .

. . .

﴿ وَرَأَوْدَتُهُ ﴾ حين بلغ من السن أشده ^(١) ﴿ أَلَيْسَ هُوَ فِي بَيْتِهَا
عَنْ نَفْسِهِ ﴾ - وهي راعيل امرأة العزيز أطفير - ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ ^(٢)
عليه وعليها للذي أرادت منه ، وجعلت - فيما ذكر - تذكر ليوسف محاسنه
تشوقه بذلك إلى نفسها .

• ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن ٣٨٠/١
السدّي : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ^(٣) ، قال : قالت له يا يوسف :
ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدي ، قالت : يا يوسف ما أحسن
عينيك ! قال : هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي ، قالت :
يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطعمته
فهمت به وهم بها ، فدخل البيت وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله
فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت قد عض على إصبعه يقول : يا يوسف
لا تواقعها ، فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطافى ، ومثلك
إن واقعته مثله إذا مات وقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ،
ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعته
مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن
نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته فأخذت بمؤخر ثيابه
من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف . واثبت نحو
الباب .

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عيينة
عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس : سئل عن هم
يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الحائر ^(٤) .

٣٨١/١

(١) ١ ، ٢ ، ٣ : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر في التفسير ١٢ : ١٠٨ (بولاق) .

(٤) ١ : « الحائر » . وكذلك في التفسير ١٢ : ١٠٩ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُسَيْكَةَ ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له وجلس بين رجلها ينزع ثيابه ، فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من السوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله ، فذلك ^(١) — فيا قال بعضهم — صورة يعقوب عاصباً على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودی من جانب البيت : أتزني فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم : رأى في الحائط مكتوباً : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ^(٢) فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد باب البيت ، فراراً مما أرادت ، واتبعت راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبتة بقميصه من قبيل ظهره ، فقدت قميصه وألتي يوسف وراعيل سيدها — وهو زوجها أظفیر — جالساً عند الباب ، مع ابن عم لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ^(٣) . قال : كان جالساً عند الباب وابن عمها معه ، فلما رأته قالت : ﴿ مَا جَزَاهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٤) ؛ إنه راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي فأبيت فشقت قميصه . قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتني فشقت قميصي . فقال ابن عمها : تبیان هذا في القميص ، فإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(٥) ، وإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، فأني بالقميص ، فوجده قد من دُبُرٍ ، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ

٣٨٢/١

(١) ١ : « أراه الله به ، وذلك » . (٢) سورة الإسراء ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ٢٥ . (٤) سورة يوسف ٢٦ .

(٥) سورة يوسف ٢٧ .

عَظِيمٌ ۖ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١١﴾ .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبید الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشامي ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت : ﴿ ما جزأه من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ (١٢) ، قال : فغضب وقال : ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ .

* * *

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ ، فقال بعضهم : ما ذكرت عن السدي . وقال بعضهم : كان صبيّاً في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

* * *

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقد من دبره .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

قال : قميصه مشقوق من دُبُرِه فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدَّ من دبر قال لراعيل زوجته : ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مرادتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومرادتها إياه على نفسها فلم ينكمه ، وقلن : ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، (١) قد وصل حبَّ يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها .
وشغاف القلب : غلافه وحجاباه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب (٢) يقال لها لسان القلب ؛ يقول : دخل الحبُّ الجلد حتى أصاب القلب ، فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثن بينهن بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأً يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائل . وحضرها فقدمت إليهن طعاماً وشراباً وأترجاً ، وأعطت كلَّ واحدةٍ منهن سكيناً تقطع به الأترج .

٣٨٤/١

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كدَيْبَةَ ، عن حُصَيْن ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ ، قال : أعطتهن أترجاً ، وأعطت كلَّ واحدةٍ منهن سكيناً .

فلما فعلت امرأةُ العزيز ذلك بهنَّ ، وقد أجلست يوسف في بيت ومجلس غير المجلس الذي هنَّ فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿أُخْرِجْ عَلَيْنَا﴾ ،

(١) يوسف ٣٠ .

(٢) ن : « في القلب » .

فخرج يوسف عليهن ، فلما رأيته أجللته وأكبرته وأعظمته ، وقطعن أيديهن
 بالسكاكين التي في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الأترج ، وقلن :
 معاذ الله ما هذا إنس ، ﴿ إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(١) . فلما حلّ بين
 ما حلّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرها إلى يوسف وذهاب عقولهن ،
 وعرفتهن خطأ قيلهن : ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوَدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهن
 ما أنكرن من أمرها أقرت عند ذلك لهن بما كان من مراودتها إياه على نفسها ،
 فقالت : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ،
 بعد ما حلّ سراويله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ٢٨٥/١
 ﴿ قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ،
 تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له ! ثم قالت لهن :
 ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيْسَجَنَّ وَلَيْكُونَا مِنَ
 الصَّغِيرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن
 السدي : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث
 بربه عز وجل فقال : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٣) . فأخبر الله عز وجل أنه استجاب له دعاءه ، فصرف عنه كيدهن
 ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى
 من قَدِّ القميص من الدُّبُر ، وخمش في الوجه ، وقطع النسوة أيديهن وعلمه

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة يوسف ٢٢ .

(٣) سورة يوسف ٢٣ .

ببراءة يوسف مما قُرف^(١) به في ترك يوسف مطلقاً .

• • •

وقد قيل : إن السبب الذي من أجله بدا له في ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط عن السدي : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾^(٢) ، قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فلما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر ، ولما أن تعبه كما حبستني ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

• ذكر من قال ذلك :

٢٨٦/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة : ﴿ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز ، أدخل معه السجن الذي حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الريان ؛ أحدهما كان صاحباً طعامه ، والآخر كان صاحب شرا به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حبسه الملك ، وغضب على خبأزه ؛ بلغه أنه يريد أن يسّمه فحبسه ، وحبس صاحب شرا به ؛ ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾^(٣) .

فلما دخل يوسف قال فيما حدثني به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إني أعير الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هلّم فلنجرّب هذا العبد العبراني ، فقرأ يا له ، فسأله من غير أن يكون رأياً شيئاً ، فقال الخباز : ﴿ إِنْ أَرَانِي أُحْيَلُ

٢٨٧/١

(١) ح : « قُرف به » . (٢) سورة يوسف ٢٥ . (٣) سورة يوسف ٣٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّي أَرَانِي
أَعَصِرُ خَمْراً ﴾ ، ﴿ تَبَشَّنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) .

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا
خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سألت رجل الضحاك
عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا
مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه
المكان وسَّع له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾^(٢)
في يومكما^(٣) هذا ﴿ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾^(٤) في اليقظة . فكره^(٥) صلى الله
عليه أن يعبر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما
في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبِ السَّجْنِ
أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(٦) .

وكان اسم أحد الفتين اللذين أدخلوا السجن محلب—وهو الذي ذكر أنه رأى
فوق رأسه خبراً— واسم الآخر نيو^(٧) ، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر
خمراً ، فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل
ما سألاه عنه فقال : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ — وهو الذي ذكر أنه
رأى كأنه يعصر خمراً ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾^(٨) . ٣٨٨/١ .
فلما عبر لهما ما سألاه تعبيره ، قال : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع . قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة — يعني ابن
التمقاع — عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، في الفتين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ١ : « نيوكا » .

(٣) ط : « وكره » وما أثبتته من أ .

(٤) سورة يوسف ٣٩ .

(٥) كذا في أ ، وفي ط مهمل .

(٦) سورة يوسف ٤١ .

في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه^(١) ، فلما أوَّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، فقال^(٢) : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٣) ثم قال لنبو- وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهما : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره^(٤) أني محبوس ظلماً ، ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾^(٥) ، غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساق : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذت من دوني وكيلاً ! لأطيلن حبسك . قال : فيكى يوسف وقال : يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ، فويل لإخوتي !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف - يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل » .

فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذب بختنصر فحوَّل في السباع سبع سنين . ٢٨٩/١

• • •

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

(٢) ط : « قال » ، وما أثبت من ا
(٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبت من ا .

(١) ا : « ليبرياه » .
(٢) سورة يوسف ٤١ .
(٥) سورة يوسف ٤٢ .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله عز وجل رأى الملك في منامه رؤيا هالته ، فرأى :
 ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾^(١) ، فجمع السحرة ، والكهنة والحازة^(٢) والقافة ، فقصتها عليهم ، فقالوا :
 ﴿ أَضْعَافُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا مِنَ الْفِتْنَيْنِ وَهُوَ نُبُو ، ﴿ وَادَّكَّرَ ﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعني بعد نسيان :
 ﴿ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾^(٣) ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾^(٤) فإن الملك رأى ذلك في نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال : ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ . . . ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ فالسمان الخاصيب ، والبقرات العجاف هنّ السنون المحول الجذوب . قوله : ﴿ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ أما الخضر فهنّ السنون الخاصيب ، وأما اليابسات فهنّ الجذوب المحول .
 فلما أخبر يوسف نبوتأويل ذلك ، أتى نبوالمملك ، فأخبره بما قال له يوسف ، فعلم الملك أن الذي قال يوسف من ذلك حق ، قال : اثبتوني به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : اثبتوني به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد أ : « والحازي : المتخرص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ - ٤٦ .

الملك أبي يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالِ النِّسْوَةِ
الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال السدي: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك
بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي راود امرأتى. فلما
رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهن: ما
ماخطيكن؟ إذ راودتن يوسف عن نفسه! قلن: فيما حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو،
عن أسباط، عن السدي قال: لما قال الملك لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ
يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛ ولكن امرأة العزيز
أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، فقالت امرأة العزيز حينئذ: ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ (٢). فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترديدى رسول
الملك بالرسالات التي أرسلت في شأن النسوة، ليعلم أطفير سيدى ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
بِالْقَيْبِ﴾ في زوجته راعيل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَافِلِينَ﴾ (٣).

فلما قال ذلك يوسف قال له جببرئيل: ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قالت امرأة العزيز الآن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْقَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَافِلِينَ﴾. قال: فقال له جببرئيل:

٣٩١/١

(١) سورة يوسف ٥٠ .

(٢) سورة يوسف ٥١ .

(٣) سورة يوسف ٥٢ .

ولا يوم هممت بها؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١).
فلما تبين للملك عنده يوسف وأمانته قال: ﴿أَتُوتَنِي بِهِ اسْتِخْلَافًا لِنَفْسِي فَدَعَا﴾
أَبِي بِهِ ﴿كَلِمَةً قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(١). فقال يوسف للملك:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ .

فحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام،
فسلم سلطانه كله إليه، وجعل القضاء إليه أمره، وقضاؤه نافذ.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبه الضبي في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، قال: على حفظ الطعام. ﴿إِنِّي حَفِيفٌ عَلِيمٌ﴾^(١)
يقول: إني حفيظ لما استودعني، عليم بسنى الحاجة، فولاه الملك ذلك.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:
لما قال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيفٌ عَلِيمٌ﴾ قال
الملك: قد فعلت، فولاه - فيما يذكر - عمل إطفير، وعزل إطفير
عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)
قال: فذكر لي - والله أعلم - أن إطفير هلك في تلك اللبالي، وأن الملك
الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت
عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدان! قال: فيزعمون أنها قالت:
أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة - كما ترى - حسنة^(٣) جميلة ناعمة،
في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك
وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، وأصابها
فولدت له رجلين: أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي:

(١) سورة يوسف ٥٣ - ٥٦. (٢) ح: «حسنا وجمالا».

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (١) قال :

استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها : وكان يلي البيع والشجاره وأرضه كله ، فذلك قوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ .

فلما ولي يوسف للملك خزائن أرضه واستقر (٢) به التمرار في عمله ، ومضت السنين السبع الخصبه التي كان يوسف أمر بترك ما في سنبل ما حصدوا من ٣٩٣/١
الزرع فيها فيه ، ودخلت السنين المجده وقحط الناس ، أجذبت بلاد فلسطين فيما أجذب من البلاد ، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذي كانوا فيه ، فوجه يعقوب بنيه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :

أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخوا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فلما نظر إليهم قال : أخبروني : ما أمركم ؟ فإني أنكر شأنكم ! قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نبتاع طعاماً ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم [أمير] (٣) ألف . فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا إخوة ، بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أختنا لنا ، وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك فيها ، وكان أحبنا إلى أبنينا . قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبروني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ! التوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ . قالوا : سَرَّأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿ (٤) .

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبتته من ا .

(٣) تكلمة من التفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ . وأخير في التفسير ١ - ٦ : (بولاق) .

قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا . فوضعوا شمعون .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل الواحد بعيرين تقيطاً بين الناس ، وتوسيعاً عليهم ، فقدم عليه لإخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف ^(١) فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيرة ، فقال لهم : اتنوني بأخيكم من أبيكم ، لأحمل لكم بعيراً آخر ، فتزادوا به حمل بعير : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلِ ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ^(٢) . وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي ﴾ ^(٣) بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله ، ولا تقربوا بلادى . وقال لفتياناه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ ﴾ - وهي ثمن الطعام الذي اشتروه به - ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ ^(٤) ، أي ورقهم ، فجعلوا ذلك في رحالهم وهم لا يعلمون .

٣٩٥/١ : فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته : وإنه ارتهن شمعون وقال : اتنوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد

(١) ١ : « ليوسف » ، ن : « من يوسف » .

(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذي هلك؛ فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندي ولا تقرّبوا بلادى^(١) أبداً.
قال يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢). قال: فقال لهم يعقوب:
إذا أتيتم ملك مصر فأقرّوه منى السلام وقولوا له: إن أبانا يصلّى عليك،
ويدعوك بما أوليتنا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرجوا
حتى إذا قدموا على أبيهم، وكان مترطماً - فيما ذكر لي^(٣) بعض أهل العلم -
بالعربات من أرض فلسطين بغور الشام. وبعضهم يقول: بالأولاج^(٤) من
ناحية الشعب أسفل من حيسى فلسطين، وكان صاحب بادية، له إبل
وشاء. فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له: يا أبانا منع منا
الكيل فوق حمل أباعرنا، ولم يكمل لكل واحد منا إلا كيل بعير، فأرسل معنا
أخانا بنيامين يكتل لنفسه، وإنا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ
عليه إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٣٩٦/١

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذي
قدموا به من مصر، وجعلوا ثمن طعامهم الذي اشتروه به ردّ إليهم، فقالوا لوالدهم:
﴿يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
وَتَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾^(٥) آخر على أحمال إبلنا.

وقد حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن

(١) ط: «ولا تقرّبوا». وقح: «فإن لم تأتونى بأخيكم هذا فلا تقرّبوا بلادى»؛
وما أثبتته من أ.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) ط: «ذكرني»؛ وما أثبتته عن أ.

(٤) الأولاج: موضع ذكره ياقوت؛ ولم يعين موضعه.

(٥) سورة يوسف ٦٥.

ابن جريج، ﴿وَزَرَدًا كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أحنانا نزدد حمل بعير . قال ابن جريج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهي لغة ؛ قال الحارث : قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له في بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب : ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يقول : إلا أن تهلکوا جميعاً ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى ، فلما وثقوا له بالآيمان قال يعقوب : ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(١) .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألا تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفاً عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(١) ، قال : كانوا قد أتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ، [وكانت الحاجة التي في نفس يعقوب فقضاها]^(٢) ما تخوف على أولاده أعين الناس لهيئتهم وجمالهم .

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(١) ، قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال : لیسنم كل أخوين

(١) سورة يوسف ٦٦-٦٩ .

(٢) تكله من ا .

منكم على ميثال^(١)، فلما بقى الغلام وحده قال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فبات معه، فجعل يوسف يَشْتُمُّ رِيحَهُ، وَيَضْمَمُهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَصْبَحَ؛ وَجَعَلَ رُوْبِيلَ يَقُولُ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ نَجُونَا مِنْهُ.

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما دخلوا - يعني ولد يعقوب - على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جئناك به. فذكر لي أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، أو كما قال.

ثم قال: إني أراكم رجالا، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كل رجلين على حدة، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما. ٣٩٨/١

ثم قال: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثاب، فأسأله إلى فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فأواه إليه، فلما خلا به قال: إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتش بشيء فعلوه بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتكم؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، يقول له: ﴿فلا تبتش﴾، فلا تحزن.

فلما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم، جعل الإماء الذي كان يكيل به الطعام - وهو الصواع - في رحل أخيه بنيامين.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا عبد الواحد، عن يونس، عن الحسن أنه كان يقول: الصواع والسقاية سواء، هما الإماء الذي يشرب فيه، وجعل ذلك في رحل أخيه، والأخ لا يشعر فيما ذكر.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، والأخ لا يشعر، فلما ارتحوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٣).

(١) المثال: الفراش ينام عليه. (٢) سورة يوسف ٦٩، ٧٠.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل لهم بغيراً بغيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بغيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك - وهو الصوّاع - وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدرِكوا واحتسبوا ، ثم نادى مناد : أيتها العير إنكم لسارقون ، [قفوا] ^(١) . وانتهى إليهم رسوله فقال لهم - فيما يذكرون - : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفِّقكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ، وصار لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا يتَّهَموا عليها غيركم . قالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا سفیان ، قال : أخبرني رجل ، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ جاء بصوّاع الملك فله حملٌ بغير من الطعام ، وأنا بإيقائه ذلك زعيم - يعني « كفيل » ^(٣) - وإنما قال القوم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذي كان كيل لهم المرة الأولى في رحالهم . فردوه إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين ^(٤) لم نردد ذلك إليكم - وقيل لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك - فقيل لهم : فما جزاء من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه في حُكْمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى مَنْ سرقه حتى يسترقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ قالوا جزاؤه مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ

(١) تكله من ا ، ن ، والتفسير .

(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر في التفسير ١٢٠ ١٢ (بولاق) .

(٣) ن : « كفيلا » .

(٤) ح : « سراقاً » .

فهو جزاؤه^(١) تأخّلونه ؛ فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أحرّ تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمّماً مما قرّفهم به ، حتى يبيّ أخوه - وكان أصغر القوم - قال : ما أرى هذا أخذ شيئاً . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقائهم . ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾^(٢) ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرْقَ السارق بما سرق ، ولكنّه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفقاً وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شباية ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ إلا بعلّة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف ، فقال إخوة يوسف حينئذ : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) - يعنون بذلك يوسف .

• • •

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنماً بلده أبي أمته ، فكسره ، فعيّروه بذلك .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : حدثنا الفيض بن الفضل ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي حصين^(٤) ، عن سعيد بن جبير : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، قال : سرق يوسف صنماً بلده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيّبونه بذلك .

(١) سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) سورة يوسف ٧٦ . (٣) سورة يوسف ٧٧ .
(٤) أبو حصين ، يفتح المهلة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأمدى . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذ نظر يوسف إلى عَرَقٍ ^(١) فخبأه فغيروه بذلك ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلِ ﴾ ، فأسر في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم ، فقال : ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ ^(٢) به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبْسِدِ ذلك لهم قولاً .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما استخرجت السريقة من رجل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بني راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذت هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية ^(٣) ، وصنع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدرهم في رحالكم . فقالوا : لا تذكر الدرهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ثم أذناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخي أين هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حي ، وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي فسوف يستغفني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي . فنقره ، فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني : من صاحبي ؟ فقد رأيت مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطأقوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصبحن صبيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألفت ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فسّه - وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسّه الآخر ذهب غضبه - فقال روبيل : من

(١) العرق والمراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن في هذا البلد لَبَزُوا من بَزُر يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟
فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه لإسرائيل الله بن ذبيح
الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقاً .

قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ،
ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى تخليصه ^(١) صاروا إلى مسألته تخليته ببذل منهم
يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرِيرُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿ مَاذَا اللَّهُ
أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ يَجِدُنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَّالِمُونَ ﴾ ^(٢) أَنْ نَأْخُذَ بَرِيئًا
بِسْتِمْ !

٤٠٣/١

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق
أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلتصوا نجياً لا يفترق منهم أحد ، ولا
يختلط بهم ^(٣) غيرهم . فقال كبيرهم : — وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون — :
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله أن تأتيه بأخينا بنيامين إلا
أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ
الْأَرْضَ ﴾ التي أنا بها ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الخروج منها وترك أخى بنيامين
بها ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ^(٤) — وقد قيل معنى
ذلك : أو يحكم الله لي بحرب من منى من الانصراف بأخى —
﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ﴾ ، فأسلمناه بحريته ،
﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ ؛ لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وما كنا
للسب حافظين ﴾ ^(٤) ، يعنون بذلك أنا إنما ضمننا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه

٤٠٤/١

(١) ن : « تخليته » .

(٢) سورة يوسف ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) ن : « منهم » .

(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيُسترق بسرقة، واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك، فإنك تخبر بحقيقة ذلك.

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين، وتخلّف روبييل قال لهم (١): بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه، فصبرٌ جميل لاجزع فيه على ما نالني من فقدي ولدي، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه وروبييل.

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال: ﴿يا أسفا على يوسف﴾ يقول الله عز وجل: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (٢)، مملوء من الحزن والغليظ.

فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك: تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تقتر (٣) من حبه وذكره حتى تكون دنف الجسم، مخبول العقل من حبه وذكره، هرماً بالياً أو تموت!

فأجابهم يعقوب فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف؛ أن تأويلها كائن، وأنى وأنتم سنسجد له.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عيسى بن يزيد، عن الحسن، قال: قيل: ما بلغ وجد يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين شكلي، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، قال: ٤٠٥/١ وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار.

وحدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا حكام، عن أبي معاذ، عن يونس، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن المبارك بن مجاهد، عن رجل من الأزد، عن طلحة بن مصرف الياشي، قال: أنبت أن يعقوب ابن إسحاق دخل عليه جاره فقال: يا يعقوب، مالي أراك قد أنهشمت

(١) «قال لهم أبيهم» . (٢) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) كذا في ١، وفي ط: «لا تفتأ» .

وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف وذكره . فأوحى الله عز وجل إليه : يا يعقوب^(١) أتشكونى إلى خلقى ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها^(٢) لى . قال : فإنى قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض خليفة^(٣) أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيسبوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغم الذى نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَحِثْنَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾^(٤) . وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاءوا بها معهم فيها ذكر - دراهم رديئة زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة^(٥) . وكان بعضهم يقول : كانت خلق الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمناً وصوفاً . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحبية الخضراء . وقال بعضهم : كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويوفيتهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم فى المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ قَاوِفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .

(٢) ح : « فاغفر لى » .

(٣) سورة يوسف ٨٨ .

(٤) الوضيعة هنا : الحط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي :
 ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجياد والردية . وقد قيل : إن معنى
 ذلك : وتصدق علينا برد أحنينا إلينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام ، غلبته نفسه فافرض دمعهُ باكيًا ، ثم باح
 لهم بالذي كان يكتُم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
 إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ^(١) . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ،
 ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ^(٢) ما صنعوا . فلما قال لهم
 يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
 اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال
 لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَأَلَّهَ لَقَدْ آتَمَرَكَ اللَّهُ
 عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ^(٤) . قال لهم يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ
 بِمَقْرَأَةِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٥) . فلما عرفهم يوسف نفسه سالم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
 قال يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال :
 ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ هَلِي وَجِهِي أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ
 أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ عير بني يعقوب ، قال يعقوب :

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ٥ : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ ^(١) .

فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح ،
 عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتي يعقوب بريح
 يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب :
 ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ،
 عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة
 ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
 عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً ،
 يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن
 جريج . قوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ
 ثمانون فرسخاً ، وقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعاً
 وسبعين سنة . ويعني بقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ لولا أن تسفّهوني فتنسبوني إلى الهرم
 وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من
 ذكر يوسف وجهه ﴿ لَنِي ضَلَّالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ ^(٢) — يعنون في خطبك القديم .
 ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ ^(٣) — يعني البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب —
 يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :

(١) سورة يوسف ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سورة يوسف ٩٥ ، ٩٦ .

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١). قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حتى ، فأقر عينه كما أحزنته ؛ فهو كان البشير .

فلما أن جاء البشيرُ يعقوبَ بقميص يوسف ألقاه على وجهه ، فعاد بصيراً بعد العمى ، فقال لأولاده: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢). وذلك أنه كان قد علم — من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أن الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون — ما لم يكونوا يعلمون . فقالوا ليعقوب : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٣). فقال لهم يعقوب : ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٤). قيل : إنه أخر الدعاء لهم إلى السحر . وقيل إنه أخر ذلك إلى ليلة الجمعة .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال يعقوب : ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة » .

٤١٠/١ فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه ، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر — فيما قيل — لأن يوسف تلقاهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والمالك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (٥) . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

(١) سورة يوسف ٩٢

(٢) سورة يوسف ٩٦ - ٩٩

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخي ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيراً ، وقال : اثتوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ، فلما دنا يعقوب أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال : وركب معه أهل مصر - وكانوا يعظمونه - فلما دنا أحدهما من صاحبه - وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده ، يقال له يهوذا - قال : فنظر يعقوب إلى الخليل والناس ، فقال (١) : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب (٢) يوسف يده بالسلام ، فنع ذلك ، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل . فقال : السلام عليك يا مذهب الأحزان ، فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

• • •

وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه ، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل . وقال آخرون : بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخر له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجداً . ٤١١/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (٣) قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا ﴾ (٣) يعني بذلك : هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل ، صنع إخوتي بي ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجيء تأويلها .

• • •

وقيل كان بين أن أرى يوسف رؤياه هذه ومجيء تأويلها أربعون سنة .
* ذكر بعض من قال ذلك :

(١) ط : « قال » وما أثبت من أ . (٢) ١ : « فذهب » .

(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، قال :
حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن
رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : حدثنا
هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون
٤١٢/١ سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديّه ، وما على الأرض يومئذ
أحب إلى الله عز وجل من يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مهزيان ، قال : حدثنا
عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : أُلقيَ يوسف في الحب
وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش
بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن
فضالة ، عن الحسن ، قال : أُلقيَ يوسف في الحب ، وهو ابن سبع عشرة
سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى
تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام
في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون
ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن
عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأن هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك
بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس^(١) بن قاران بن عمرو
٤١٣/١ ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان
بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت
له مائة وعشرون سنة ، وأن فيراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف - وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجانب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشام ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آباءه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف - كما ذكر لي في - صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة . قال : وفي التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين . وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو قتي موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا . وقيل : إن موسى بن منشا نبي^(١) قبل موسى بن عمران .

ويزعم أهل التوراة أنه الذي طلب الخضر .

٤١٤/١

(١) ط : « نبي » ، وما أثبتته من أ .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك بن أنفيان في قول عامة أهل الكتاب الأول ، وقبل^(١) موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر ، الذى كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قضى له بيئر السبع - وهى بيئر كان إبراهيم احتضرها لما شيته في صحراء الأردن - وإن قوماً من أهل الأردن ادّعوا الأرض التى كان احتضر بها إبراهيم بيئر ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد ، وإنه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلد ، فهو حتى عندهم إلى الآن .

وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه ١١٥/١ على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكاً عظيماً .

وقال آخرون : ذو القرنين الذى كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أنفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شوذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، قال : الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بنى إسرائيل ، يلتقيان في كل عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بنى إسرائيل

(١) كذا في ١ وابن الأثير ، وهو الصواب ، وفي ط : « وقيل » .

رجالاً منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عزَّ وجلَّ لهم الخضر نبياً . قال : واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل - أورميا بن خلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذي ذكره ابن إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام . ٤١٦/١

وقول الذي قال : إن الخضر كان في أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر وقبل (١) موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله مَنْ قال إنه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث في أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبعث أيام ناشية بن أموص ، وذلك أن ناشية بن أموص الذي ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكاً على بني إسرائيل ، كان في عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور (٢) والأزمان ما لا يحمله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

وإنما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم أشبه بالحق من القول الذي قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبه ، للخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب ، أن صاحب موسى بن عمران - وهو العالم الذي أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد في الأرض أعلم منه - هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذي لم يكن بعد . ٤١٧/١

والذي روى أبي بن كعب في ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد ، قال (٣) : قلت لابن عباس : إن نوقاً يزعم أن الخضر ليس

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .

(٢) ح : « الدهر » .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير بسنده عن سعيد بن جبير ، مع اختلاف في ألفاظ

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقبل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لي^(١) عند مجمع البحرين ، فقال : يا رب ، كيف به ؟ قال^(٢) : تأخذ حوتاً فتجعله في مكثل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتاً فجعله في مكثل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني . فانطلقا يمسيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكثل ، فخرج فوق في البحر ، فأمسك الله عنه جارية الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاؤَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾^(٣) قال : ولم يجد موسى النصب^(٤) حتى جاوز حيث أمره الله^(٥) ، قال : فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾^(٦) قال : فقال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْنَعُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾^(٧) . قال : يقصان آثارهما^(٨) . قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل قائم مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى فقال : وأنتى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، قال : فإني أتبعك على أن تعلمني ممّا علمت رُشداً . ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٩) . فانطلقا يمسيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الحضرم ، فحملة

(١) البخارى : « فأوسى الله إليه إن ل عبداً » .

(٢) ط : « فقال » ؛ وما أثبتته عن البخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ - ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « أثرهما » ، ولفظ البخارى : « رجماً يقصان آثارها حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير تَوَلٍّ ، فجاء عصفور فوق علي حرفها فنقر - أو فنقد^(١) - في الماء ، فقال الخضر موسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر - أو فنقد - هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشكُّ ، وهو في كتابي هذا « نقر » . قال : فبينما هم في السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يتد وتدأ أو يترع تختاً منها ، فقال له موسى : حملنا بغير تَوَلٍّ وتخرفها لتُغرق أهلها^(٢) ! ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ قَالَ لَا تَأْتِنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿٣﴾ - قال : فكانت الأولى من موسى نسياناً - قال : ثم خرجا فانطلقا بمشيان ، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ وَبَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ۗ ﴿٤﴾ .

٤١٩/١

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده - قال : مسحه بيده - فقال له موسى : لم يضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ ﴿٥﴾ . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۗ ﴿٥﴾ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم^(٦) » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي قال : حدثنا الأوزاعي ،

- (١) ط : « فنقد ، وما أثبتته عن ا ، ونقر وفتد بمعنى واحد .
 (٢) لفظ البخاري : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير تَوَلٍّ عدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها » .
 (٣) سورة الكهف ٧١ - ٧٣ .
 (٤) سورة الكهف ٧٤ - ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر : « زكية » ، بتشديد الياء ، وهي التي في المصحف . وقال البخاري : « كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية » .
 (٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨ .
 (٦) لفظ البخاري : ووددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها » .

قال : حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه ^(١) تمارى هو وألحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فرأهما أبي بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى عليه السلام الذي سأل السبيل إلى لقائه ، فهل سمعت رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا موسى عليه السلام في ملا من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بكى عبدنا الخضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [في البحر ، فقال قتي موسى لموسى : ﴿ رأيت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نبيت الحوت ﴾] ^(٢) ، قال موسى : ﴿ ذلك ما كنا نبع فرتدا على آثارهما قصصا ﴾ ، فوجدنا الخضر ^(٣) ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه .

حدثني محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النعميري ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهري يحدث قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو وألحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاتِهِ ﴾

(١) نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٩٦

(٢) تكله من اوتفسير ابن كثير .

(٣) ١ : « فوجدنا عبدنا الخضر » .

لَا أُبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...» (١) الآية ، قال : لما (٢) ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عز وجل عليه : أن ذكرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله] (٣) في الأرض ، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ حجة منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرعون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفها إياهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هو كذلك يا نبي الله ، وقد عرفنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك - قال ابن عباس : هو الخضر - فسأل موسى ربه أن يرّيه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذها فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فتمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب .

٤٢١/١

فلما طال سفر موسى نبي الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : ﴿أرأيت إذ أومأنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أنْ أذكره﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرياً . فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء (٤) إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله صلى الله عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها ، فسلم

٤٢٢/١

(١) سورة الكهف ٦٠ .

(٢) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٩٥ .

(٣) من تفسير ابن كثير .

(٤) ط : « البحر » ، وما أثبتته من ا .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض !
 ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له : الخضر صاحب^(١) بنى إسرائيل ؟
 قال : نعم ، فرحّب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلّمنى مما
 علمت رشداً ، قال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٢) ، يقول : لا تطيق
 ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾^(٣) .
 قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شىء أصنعهُ حتى أبين لك شأنه ،
 فذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٤) . فركبا فى السفينة يريدان
 أن يتعديا إلى البرّ ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخْرَقْتَهُمَا
 لِتُغْرِقَ أَهْلَهُمَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾^(٥) ... ثم ذكر بقية القصة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القسّمى ، عن هارون بن عنبرة
 عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال :
 أى ربّ ؟ أىّ عبادك أحبّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال :
 فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أىّ ربّ ،
 أىّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يتبغى علم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب
 كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردى ، قال : ربّ فهل فى الأرض أحد
 — قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : ربّ ، فمن
 هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل^(٦) ، عند
 الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان
 ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فلمّ كل واحد منهما
 على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى^(٧) ، قال : لئن تطيق

(١) ١ ، ن : « أصحاب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ - ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصعبك » .

صحبتى ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ . فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ
أَخْرَقْتُمَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا أَقْدَجِثُ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا .
فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَاكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ
جِثْتُ شَيْئًا نُكْرًا ﴿ ، إلى قوله : ﴿ لَا تَخْذُتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ^(١) .

قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا ، وكان
قوله في السفينة وفي الغلام لله عز وجل . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ^(١) ، فأخبره بما قال الله :
﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ... ﴾ ^(١) الآية ،
﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ... ﴾ ^(١) الآية . قال : فسار به في البحر حتى انتهى
به إلى مجمع البحرين ^(٢) ، وليس في الأرض مكان أكثر ^(٣) ماءً منه ، قال :
٤٢٤/١ وبعث ربك الخُطَّاف ، فجعل يستقى منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى
هذا الخُطَّاف رزاً من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزاً ! قال : يا موسى فإن
علمى وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخُطَّاف من هذا الماء . وكان
موسى عليه السلام قد حدث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثم
أمير أن يأتي الخضر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال :
جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس
إن توفى ابن امرأة كعب ، ذكر ^(٤) عن كعب أن موسى النبي عليه

(١) سورة الكهف ٧٠ - ٨٠

(٢) أ : « البحور »

(٣) ح : « أكبر »

(٤) أ : « يزعم »

السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس :
 أنوفٌ يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوناً يقول ذلك ،
 قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نونٌ . ثم
 قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 موسى نبي إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أى رب ، إن كان فى عبادك
 أحدٌ هو أعلم منى فادلنى عليه ، فقال له : نعم فى عبادى من هو أعلم منك ،
 ثم نعت له مكانه ، وأذن له فى لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ،
 ومعه حوت مليح قد قيل له : إذا حييت هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك ،
 وقد أدركت حاجتك .

٤٢٥/١

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده
 السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى (١) ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، من شرب منه
 خلد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة (٢) وحي . فلما نزلوا منزلاً ومسى
 الحوت الماء حياً ، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً ، فانطلق فلما جاؤا بمنقلة (٣)
 قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ . قال الفتى
 وذكر : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ
 إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ . قال ابن عباس :
 وظهر موسى على الصخرة حتى انتهيا إليه ، فإذا رجل متلفف (٤) فى كساء له ،
 فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى
 ابن عمران ، قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك ، قال : وما جاء
 بك إلى هذه الأرض ، أن لك فى قومك لشغل ! قال له موسى : جئت لتعلمنى
 مما علمت رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكان رجلاً يعمل على
 الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى ، قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

(١) ن : « إلى » .

(٢) ح ، ا : « ميت إلا حى » .

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « ملتف » .

خُبْرًا» ، أى إغما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تُحِطْ من علم الغيب بما أعلم . ٤٢٦/١
 ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وإن رأيتُ ما يخالفنى .
 قال : ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ،
 أى فلا تسألنى عن شىء وإن أنكرته حتى أحدث لك منه ذكراً ، أى خبراً .
 فانطلقا عيشان على ساحل البحر يتعرّضان الناس ، يلتمسان من يحملهما
 حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما شىء من السفن أحسن ولا
 أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمانا
 فيها ، وبلّجت بهما مع أهلها ، أخرج متقاراً له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية
 منها فضرب فيها بالمتقار حتى خرقتها ، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها ، ثم جلس
 عليها يرقعها ، قال له موسى : فأى أمر أقطع من هذا ! ^(١) ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
 أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ احملونا وآوونا إلى سفينتهم ، وليس فى البحر سفينة
 مثلها ، فلم خرقتها ! قال : ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ . قال
 لا تؤاخذنى بما نبيتُ ، أى بما تركت من عهدك ﴿وَلَا تُرْهِقِنِي مِنْ أَمْرِي
 عُسْرًا﴾ . ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان
 يلعبون ، فيهم غلامٌ ليس فى الغلمان غلام أظرف ولا أترف ولا أوضأ منه ،
 فأخذ بيده ، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله . قال : فرأى موسى
 أمراً فظيماً لا صبر عليه ، صبي صغير قتله ^(٢) بغير جناية ولا ذنب ٤٢٧/١
 له ! فقال : ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ﴾ ، أى صغيرة بغير نفس ،
 ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ . قال ألم أقول لك إنك لن تستطيع معي صبراً .
 قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذراً ، أى
 قد أعذرت فى شأنى . ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَمَّ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ
 يُضَيِّقُوهَا فَوَاجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ ، فهدمه ثم قعد بينيه ،

(١) ا : « رأى أمراً قطع به »

(٢) ط : « أخذ صبياً صغيراً بغير جناية » وما أثبتته من ا .

فضجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو
شئت لانتخذت عليه أجراً ﴾ أى قد استطعناهم فلم يطعمونا ، واستضفناهم
فلم يضيفونا ، ثم قعدت تعمل في غير صنيعه^(١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً
[في عمله]^(٢) ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبراً . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة - وفي قراءة أبي بن كعب :
كل سفينة صالحة - غصبا ﴾ ، وإنما عيبتها لأردته عنها ، فسلمت منه حين
رأى العيب الذى صنعت بها . ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن
يُرهبهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب
رحماً . وأما الحداد فكان إغلامين يذميين في المدينة وكان تحته كنز
لهم وكان أبوهما صالحا ﴾ - إلى - ﴿ ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ - ٤٢٨/١
فكان ابن عباس يقول : ما كان الكثر إلا عِلماً^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن الحسن بن عمار ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع
لفى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من
حديث الفتي ، قال : شرب الفتي من ماء الخلد فخلد ، فأخذته العالم فطابق به
سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فيها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن
له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله :
﴿ فلما بلغنا مجتمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ ، ذكر لنا أن نبي الله موسى لما قطع
البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بنى إسرائيل فخطبهم فقال :

(١) كذا في التفسير ، وفي ط : « صنيعه » . (٢) من أ والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ١٨٠ - ١٨٤ (بولاق) .

أنتم خير أهل الأرض وأعلمهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلا هو أعلم منك^(١) قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فترودا مملوحة في مكثل لهما ، وقيل لهما : إذا نسيما ما معكما لقيتما رجلا عالمًا يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الخوت روحه فسرّب له من الجُد^(٢) حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقًا إلا صار ماء جامدًا ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عز وجل : ﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتينا غداً ما لقد آتينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ — إلى قوله — : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ آدُنَا عِلْمًا ﴾ ، فلقيا رجلا عالمًا يقال له الخضر ، فذكر لنا أن نبي الله قال : إنما سمي الخضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهترت به خضراء .

• • •

فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ قول من قال : إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان في أيام بختنصر ، وبين عهدى موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم ؛ وإنما قلنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل ؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما]^(٣) نُبئ في عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكل ما ذكرنا من أخبار من ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله — فيما ذكر — كان في ملك بيئوراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبار أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما^(٤) .

• • •

وترجع الآن إلى الخبر عن :

(١) ط : « منكم » ؛ وما أثبت من أ .

(٢) الجد ، بضم الجيم : شاطئ البحر ، وفي ح : « الحد » .

(٣) من أ : « يبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

(٤) من أ : « يبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

ثم ملك بعد أفريدون بن أنفیان بركاو^(١) منوشهر، وهو من ولد إيرج بن أفريدون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا ، وهو منوشهر كيازيه^(٢) — فيما يقول نسبة الفرس — بن منشخورنر^(٣) بن منشخواربع^(٤) ابن ويرك بن سروشنك^(٥) بن أبوك بن بتك^(٦) بن فرزشك^(٧) بن زشك^(٨) ابن فركوزك^(٩) بن كوزك^(١٠) بن إيرج بن أفريدون بن أنفیان بركاو . وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض الهجوس أن أفريدون وطى ابنة لابنه إيرج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك^(١١) ، ثم وطى فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك^(١٢) ، ثم وطى زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك^(١٣) ، ثم وطى فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك^(١٤) ،

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو »

(٢) كلاً في ن ، وفي ا ، ح : « كان به » ، وفي ط من غير نقط .

(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .

(٤) ا : « منشجواربع »

(٥) ن : « سروشنك » .

(٦) ن : « بتك » .

(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .

(٨) ا : « رشك » ، ن : « رشك » .

(٩) ا ، فركوزك « ن : « فركوزل » .

(١٠) ن : « كوزل »

(١١) ا : « خركوشك » .

(١٢) ا : « روشك » .

(١٣) ا : « فروشك » .

(١٤) ا : « تبتك » .

٤٣٢/١ ثم وطي بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها إيزك^(١) ، ثم وطي إيزك فولدت له إيزك ، ثم وطي إيزك فولدت له ويرك ، ثم وطي ويرك فولدت له منشخرفاغ^(٢) . ويقول بعضهم : منشخواربع^(٣) وجارية يقال لها : منشجرك^(٤) ، وأن منشخرفاغ وطي منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراروك ، وأن منشخرنر وطي منشراروك فولدت له منوشهر .

فيقول بعضهم كان مولده بد نياوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّي ، وإن منشخرنر ومنشراروك لما ولد لهما منوشهر أسراً أمره خوفاً من طوج وسلم عليه ، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريديون ، فلما دخل عليه توسم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعل بلخه إيزج من المملكة ، وتوجه بتاجه . ٤٣٣/١

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريديون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله^(٥) .

وأبناء إسحاق اللبوث إذا ارتدوا حمائل موت لآيسين السنورا^(٦)
 إذا اتسبوا عدوا الصهباء منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصراً^(٧)
 وكان كتاب فيهم ونبوته وكانوا ياصطخر الملوك وتستر^(٨)

(١) كذا في ن ، وفي ط ، ا مهمل .

(٢) ١ : « منشخرفاغ » .

(٣) ١ : « منشجواربع » .

(٤) كذا في ا ، وفي ط مهمل .

(٥) من قصيدة يمدح بها هلال بن أحموز المازني ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو

الفرزدق وبنو طيبة ، في ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الدروع .

(٧) الصهباء : قائد السكر ، بالفارسية .

(٨) قال في شرح النقائض : « لى كان الملوك يتزلون إصطخر وتستر » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْفَرُّ أَبْنَاءُ فَارِسَ أَبٌ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مِنْ تَأْخِرًا
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهِ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فلها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا في أولاد
أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لغيرهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم في ذلك
من غيرهم في قديم الأيام [قبل الإسلام] ^(١) ، فإنه دخل فيه بغير حق ^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك طوج وسلم الأرضَ بينهما
بعد قتلهاما أخاهما إيرج ثلثمائة سنة ، ثم ملك منوشهر بن إيرج بن أفريدون
مائة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركي [على رأس ثمانين سنة] ^(٣) ٤٣٤/١
فنفاه عن بلاد العراق ثنتي عشرة سنة ، ثم أديل منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ،
وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة .

قال : وكان منوشهر يُوصف بالعدل والإحسان ، وهو أول من خندق
الخنادق ، وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية
دهقانا ، وجعل أهلها له خولاً وعبيداً ، وألبسهم لباس المدلّة ، وأمرهم بطاعته .
قال : ويقال إن موسى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر في سنة ستين من ملكه .

وذكر غير ^(٤) هشام أن منوشهر لما ملك نُوج بتاج الملك وقال يوم ملك :
نحن مقوون مقاتلينا ، ومُعِدّوهم للانتقام لأسلافنا ، ودفع العدو عن بلادنا .
وأنه سار نحو بلاد الترك طالباً بدم جده إيرج بن أفريدون ، فقتل طوج بن
أفريدون وأخاه سلّما ، وأدرك ثاره وانصرف ، وأن فراسياب بن فشنج
ابن رستم بن ترك — الذي تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ٤٣٥/١

(١) من أ (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل
الإسكندر معروفة ، وبعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوشهر أيام موسى ، وكان ما بين موسى
وإصحاق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ؛ ففي أي زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس !
ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إصحاق ! » . الكامل
٩٣ : ١

(٣) ط : « عن » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

لارشيب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشك^(١) فشنج بن زاشمين -
حارب منوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسألما ستون سنة ، وحاصره
بطبرستان .

ثم إن منوشهر وفراسياب اصطلحا على أن يجعلوا حداً ما بين مملكتيهما
منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرشبتاير - وربما
خفف اسمه بعضهم فيقول : إيرش - فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته
تلك مما يلي بلاد الترك فهو الحد بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية
الأخرى . وإن أرشبتاير نزع بسهم في قوسه ، ثم أرسله - وكان قد أعطى
قوة وشدة - فبلغت رميته من طبرستان إلى نهر بلخ ووقع السهم هنالك^(٢) ،
فصار نهر بلخ حداً ما بين الترك وولد طوج وولد إيرج وعمل الفرس ، فانقطع
بذلك من رمية أرشبتاير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر .

وذكروا أن منوشهر اشتق من الصراة ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظيماً .
وقيل إنه هو الذي كثر الفترات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ،
وزاد في مهنة المقاتلة الرمي ، وجعل الرياسة في ذلك لأرشبتاير لرميته التي
رماها .

وقالوا : إن منوشهر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك
من أطراف رعيته ، فوبخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تملحوا الناس كلهم ،
وإنما الناس ناساً ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك
من أطرافكم ، وليس ذلك إلا من ترككم جهاداً عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله
تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكر فيزيدينا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن
أهل بيت عز^(٣) ومعدن الملك لله ، فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم
واعتذروا ، فقال : انصرفوا ، فلما كان من الغد أرسل إلى أهل المملكة وأشرف

(١) « لفشك بن برزبن تشمين » .

(٢) قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ
هذا كله » .

(٣) « عز » ، بصتين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا مؤبذ مؤبذان ،
 فأقعد على كرسيّ مقابل سريره ، ثم قام على سريره ، وقام أشراف أهل بيت
 المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإني إنتما قمت لأسمعكم
 كلامي . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنما الخلق للخالق ، والشكر للمنعّم ،
 والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان
 أو مطلوباً ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أعجز
 ممن هو في يده طالبه ، وإن التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، وقد
 ورد الأول ولا بدّ للآخر من اللحاق^(١) بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن
 فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ؟ وإن الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك
 فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإن للملك على أهل مملكته
 حقاً ، ولأهل مملكته عليه حقاً ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه
 ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتهم ،
 إذ لا معتمد لهم على غيرها ، وإنها تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر
 لهم ، ويرفق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص
 من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن
 اجتاحتهم مصيبة أن يُعوضهم ما يقوّمهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد
 ذلك على قدر ما لا يحيف بهم^(٢) في سنة أو سنتين ، وأمر الجند للملك بمنزله
 جناحي الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قصّ من الجناح ريشة كان ذلك
 نقصاناً منه ؛ فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه . ألا وإن الملك ينبغي أن
 يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقاً لا يكذب ، وأن يكون سخياً
 لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج
 يأتيه ، فينبغي ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثّر العفو ؛
 فإنه لا ملك أبى من ملك فيه العفو ، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة . ألا

(١) ا : « اللحق » .

(٢) ن : « بقاء » .

(٣) ط : « به » وما أثبتته عن ا ، وابن الأثير .

وإنّ المرء إن يخطئ في العفو فيعفو، خير من أن يخطئ في العقوبة . فينبغي للملك أن يتثبت في الأمر الذي فيه قتل النفس وبنواها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا يبغي له أن يجابهه ، وليجمع بينه وبين المتظلم ؛ فإن صح عليه للمظلوم حقٌ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردّه إلى موضعه ، وأخذه بإصلاح ما أفسد ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومن سلك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حق ، فإن لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو^(١) عنه صاحبه فخذوا هذا عنى . وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفونا ، فإنما تكفون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي ، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخيلاف فإننا لا نقبله من المبلّغ له حتى نتيقنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلاّ أنزلناه منزلة المخالف . ألا وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل في مجاهدة العدو رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأيسر المهترّب مما هو كائن ! وإنما يتقلب في كفّ الطالب ، وإنما هذه الدنيا سفرٌ لأهلها لا يحلّون عقمدهم الرحال إلا في غيرها ؛ وإنما بلّغتهم فيها بالعوارى ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاء له ! ومن أحقّ بالتسليم لمن فوّقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه ، ولا معولاً إلا عليه ! فثقوا بالقلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من أدرك الطلبة إذا صحت نياتكم . واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدوّ وسدّ الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشفأؤكم عنديكم ، والدواء الذي لا داءَ فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهي عن الشر ، ولا قوّة إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم ، ومنى عدلتم فيها رغبوا في العمارة ، فزاد ذلك في خراجكم ، وتبين في زيادة أرزاقكم ، وإذا حِفِتم على الرعية زهلوا في العمارة ، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

٤٣٩/١

٤٤٠/١

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبتته من ا .

من خراجكم ، وتبين في نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ؛ وما كان من الأهمار والبشوق مما تنفق ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعية فعمجوا عنه فأقرضوهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان^(١) أوقات خراجهم ، فخذوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يحفف ذلك بهم ، رُبْع في كل سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشق^(٢) ذلك عليهم . هذا قولي وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ^(٣) في هذا الذي سمعت في يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ! فقالوا : نعم ، قد قلت فأحسنت ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

وقد زعم هشام بن الكلبي فما حدثت عنه أن الراثش بن قيس بن صبي ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الراثش كان ملكه باليمن أيام [ملك]^(٤) منو شهر ، وأنه إنما سمي الراثش - واسمه الحارث بن أبي شدد^(٥) - لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمي لذلك الراثش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلتي طي ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطاف ، فدخل على الترك أرض أذربيجان وهي في أيديهم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى الدرية ، وزبر ما كان من مسيره في حججرتين ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال : وفي ذلك يقول امرؤ القيس^(٦) :

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ^(٧) خَشَوُ الرِّجَالِ الْعَهْدِ بَلَّتْ قِيمُ الرِّجَالِ

(١) : « جاءت » .

(٢) ط : « يتبين » وما أثبتته من ا .

(٣) ا : « وجد » .

(٤) من ا .

(٥) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « سد » .

(٦) ديوانه ٣٠٩

(٧) ا ، والديوان : « ألم يحزلك » .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَ
وَأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ^(١) وَالزَّرَادِ قَدْ نَصَبَ الْجِبَالَ

قال : وذو منار الذي ذكره الشاعر هو ذو منار بن رائش ، الملك بعد أبيه ،
واسمه أبرهة بن الرائش ، قال : وإنما سمي ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل
فيها براً وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهدوا بها .
قال : ويزعم أهل اليمن أنه كان وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزوته^(٢) هذه
إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب ، فغم وأصاب مالاً وقدم عليه بتسناس^(٣)
لم يخلت وحشية منكورة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار .
قال : فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في الأرض ؛

• • •

وإنما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن في هذا الموضع لما ذكرت من
قول من زعم أن الرائش كان ملكاً باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن
كانوا عمالاً للملك فارس^(٤) بها ، ومن قبلهم كانت ولايتهم^(٥) بها .

(١) الديوان : « ذاخليل » .

(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .

(٣) في القاموس : « التسناس : جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة » ، وفي

واين الأثير : « يسي » .

(٤) ح : « الفرس » .

(٥) « ولاياتهم » .

ذکر نسب موسی بن عمران وأخباره وما كان فی عهده وعهد
منوشهر بن منشخورنر الملک من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم^(١) . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوي بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر ، فولدت له عرشون بن لاوي ومرزي^(٢) بن لاوي [ومردی بن لاوي]^(٣) وقاهت^(٤) ابن لاوي . فنكح قاهت بن لاوي فاهي^(٥) ابنة مسين^(٥) بن بتويل بن إلياس . فولدت له يصهر بن قاهت ، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديت بن برکيا^(٦) ابن يقسان^(٧) بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن برکيا بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

وقال غير ابن إسحاق : كان عمر يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوي له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوي قاهت بعد أن مضى من عمر لاوي ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهت يصهر ، ثم ولد ليصهر عرم - وهو عمران - وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد^(٨) - وقيل : كان اسمها باخته^(٩) - وامراته صفورا ابنة يترون^(١٠) ، وهو

- (١) ح : « وموالدهم » .
(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « مردی » .
(٣) من ١ .
(٤) ١ : « قاهي » ، ن : « ماهي » .
(٥) كذا في ح ، وفي ١ : « متنين » ، وفي ن : « حدير » .
(٦) ١ ، ن : « برکنا » .
(٧) ١ : « ييشان » .
(٨) ١ : « يوخايد » ، ن : « يوخايد » .
(٩) كذا في ١ .
(١٠) ١ : « يتزون » .

شعيب النبي صلى الله عليه وسلم . وولد موسى جرشون^(١) وإيليعازر^(٢) ، وخرج إلى مدين خائفًا وله إحدى وأربعون سنة ، وكان يدعو إلى دين إبراهيم ، وتراعى^(٣) الله بطور سيناء ، وله ثمانون سنة . ٤٤٤/١

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، فرعون يوسف الأول . فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات ، وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان أعتى^(٤) من قابوس وأكفر^(٥) وأفجر^(٦) ، وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة ، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة^(٧) ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولًا مع هارون ، وكان من مولد موسى إلى أن خرج بني^(٨) إسرائيل عن مصر ثمانون سنة ، ثم صار إلى التيه بعد أن عبر البحر ، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض - كما ذكر لي - في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم ٤٤٥/١

(١) ن : « جرشون » ، ح : « جرشون » .

(٢) أ : « إيلعان » ، ن : « إيليان » .

(٣) ح : « ورأى النار » .

(٤) أ : « أعتى » . (٥) ن : « أكبر » ، ح : « أكبر » .

(٦) كذا في أ ، وفي ط : « وأفجر » .

(٧) ح : « مائة وسبع سنين » . (٨) أ : « بنو » .

من الإسلام ، متمسكين به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه . وكان اسمه - فيما ذكروا لى - الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعدّهم فيجعلهم خدماً وحقولاً ، وصنّفهم في أعماله ، فصنّف بينون ، وصنّف بحرثون ، وصنّف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله : ﴿سوء العذاب﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء المعدودات ، فعمّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشدّ أعطى الرسالة .

قال : وذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزراته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويفلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدّل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبال فيعدّين حتى يطرحن ما في بطونهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد ذُكر لى أنه كان يأمر بالقصب فيسق حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصف بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبال من بني إسرائيل فيوقفهن^(١) عليه فيحزّ أقدامهن ، حتى إن المرأة منهن لتمصع^(٢) بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلّ تطوّه تشقى به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك ، وكاد يُقنيمهم ، فقيل له : أفنيت

(١) : « فيوقفن » .

(٢) : تمصع بولدها ، أى تلقيه .

الناس ، وقطعت النسب ، وإنهم خولك وعمالك . فأمر أن يقتل الغلمان عاماً ويستحيوا عاماً ، فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون ، فكان هارون أكبر منه بسنة .

° ° °

وأما السدى فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] ^(١) كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن ناراً أقيت من بيت المقدس حتى اشتمت على بيوت مصر ، فأحرق القبط وتركت بني إسرائيل ، وأخرت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على وجهه ^(٢) هلاك مصر . فأمر بنو إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال للقبط : انظروا مملوكيكم ^(٣) الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القدرة . فجعل بنو إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : تعجب في الأرض ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ - يعنى بنو إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القدرة - ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيعُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ^(٤) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم ، فدخل رهوس القبط على فرعون فكلّموه ، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويتقى الكبار ، فلو أنك تبتى من أولادهم فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى ^(٥) فلما أرادت وضعه

٤٤٧/١

٤٤٨/١

(١) من أ (٢) ن : « يديه » . (٣) كلنا في أ ح ، ووط : « عماليكم » .

(٤) سورة القصص ٤ (٥) أ : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهو النيل ، ﴿ وَلَا تَحْزَانِي وَلَا تَحْزَانِي إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَعَلُونَهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) . فلما وضعت أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته في اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ تعنى قصي أثره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) ، أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يمتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلته إلى آسية ، وظنن ^(٣) أن فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتها وأحبه . فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل ، وأن يكون هذا الذي على يديه ^(٤) هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٥) . فأرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك ليتزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ ﴾ أخته ﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ^(٦) ، فأخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت ^(٧) : ٤٤٩/١ : ما أعرفه ، ولكنني إنما قلت : هم للملك ناصحون .

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابني ! فعصمها

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبت عن ا .

(٤) ا : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ا : « قالت » .

الله، فذلك قول الله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) ، وإنما سُمِّي موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر ، والماء بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَمَا تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنُ ﴾^(٢) . فاتخذه فرعون ولداً فدعى ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيّاً ، فبينما هي ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذ فرعون عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرع عين لك ولا لي^(٣) . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهولي قرع عين إذا لآمن به ؛ ولكنه أبي ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، هذا هو ! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَآلِدًا ﴾^(٤) ، إنما هو صبي لا يعقل ؛ وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى سنى ؛ أنا أضع له حليّاً من الياقوت ، وأضع له جمرًا^(٥) ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذهب ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبيّ ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر ، فجاء جبرئيل فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴾^(٦) . فزال عن موسى من أجل ذلك . وكبير^(٧) موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس [مثل]^(٨) ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض يقال لها منشف ، فدخلها نصف النهار ،

٤٥٠/١

(١) سورة القصص ١٠

(٢) سورة القصص ١٣

(٣) في الأصول : « ول لا » .

(٤) سورة القصص ٩

(٥) ن : « جمر نار » .

(٦) سورة طه ٢٧ ، ٢٨

(٧) ط : « لكبير » ، وما أثبتته من ا .

(٨) من ا

وقد تغلقت أسواقها ، وليس في طرفها أحد ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ
 الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾
 يقول : هذا من بني إسرائيل ، ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول : من القبط ﴿ فَاسْتَقَامَهُ
 الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
 مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
 لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
 ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يقول : يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوِيٌّ
 مُبِينٌ ﴾ ^(١) ثم أقبل [موسى] ^(٢) لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه لبيطش
 بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي — وفريق من موسى أن يبيطش به من أجل أنه
 أغلظ الكلام — يا موسى ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن
 تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ ^(٣) .
 فتركه وذهب القبطي ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه نرعون
 وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بُنْيَات ^(٤) الطريق ،
 فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق ، وأخذ موسى في بُنْيَات الطريق
 وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِيُونَكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ
 مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) . فلما أخذ موسى في بُنْيَات الطريق جاءه ملك على فرس بيده
 عنزة ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال : لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ،
 فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين :
 ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٦) ، فانطلق به الملك حتى انتهى
 به إلى مدين .

(١) سورة القصص ١٥ - ٢٢

(٢) من ١

(٣) بنيات الطريق : هي الطرق الضيقة التي تنفرع من الجادة .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال :
حدثنا أصبغ بن زيد الجهنّي ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني سعيد
ابن جبير ، قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ
فُتُونًا ﴾ ^(١) ، فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا ابن جبير ،
فإن لها حديثاً طويلاً ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه
ما وعدني [^(٢) . قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم
من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل
لينتظرون ذلك ما يشكون ^(٣) ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما
هلك قالوا : ليس هكذا كان الله ^(٤) وعد إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟
قال : فاتسمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفار ،
يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار
من بني إسرائيل يموتون بأجلهم ، وأن الصغار ^(٥) يُذبحون قالوا : توشكون أن
تفنون بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدعة التي كانوا يكفونكم ،
فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فيقلّ أبناؤهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ،
فישبّ الصغار مكان من يموت من الكبار ؛ فإبهم لن يكثروا بمن تستحيون
منهم فتخافوا مكائرتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك
فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة
حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن — وذلك
من الفتون يا ابن جبير — مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها :
﴿ الْآتِحَا فِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرها إذا
ولدته أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم . فلما ولدته فعلت ما أمرت به ،
حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني ؟
لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليّ من أن ألقى بيدي إلى حيطان

٤٥٢/١

٤٥٣/١

(٢) تكلمة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(١) سورة طه ٤٠

(٤) ن : « كان وعد الله » .

(٣) ن ، والتفسير : « وما يشكون » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابه . فانطلق به الماء حتى أوفى (١) به عند فُرْضَة (٢) مُسْتَقَى جوارى آل فرعون ، فرأيته فأخذنه ، فهمن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهم لبعض : إن في هذا مالاً ؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيته لم (٣) يحركن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فلما فتحت رأت فيه (٤) الغلام ، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا (٥) إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه—وذلك من الفُتُونِ يا بن جبير — فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم ألكم . فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتَاوُهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لك ، فأما أنا فلا حاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي يُحْتَلَفُ به ، لو أقرَّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

فأرسلت إلى مَنْ حوّلها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظنراً ، فجعل (٦) كالمأخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثلثها (٧) ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحرّنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق .

(١) كذا في ١ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ك : « وافي » ، وفي ط : « وأرفأ » .

(٢) الفرضة من النهر : ثلثة يستق منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثلثها » ، وابن كثير : « على ثلثها » .

يجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظمراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى فقالت لأخته : قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيى ابني أم قد أكلته دواب البحر وحيثانه ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظنورات : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ . فأخذوها فقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ! هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، ورجبتهم ^(١) في ظنورة الملك ، ورجاء منفعتي . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشارة إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظمراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي تُرضعين ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئاً قط . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه ^(٢) فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عز وجل منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتعمون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخْر التي كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تربيني موسى ^(٣) ، فوعلتها يوماً تربيا إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظنورها ^(٤) وقهارمتها : لا ييقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة ^(٥) تحصى ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

٤٥٥/١

(١) كذا في ح ، ك ، وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « رجبتهم » .

(٢) كذا في أ وابن كثير والتفسير ، وفي ط : « تعطيني » .

(٣) ك : « ولدي » .

(٤) ك : « وظنورتها » .

(٥) ابن كثير : « وأذا باعثة أمينة يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها
يَحِلُّهُ (١) وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت :
انطلقن به إلى فرعون فليجعله وليكومه (٢) . فلما دخلن به على فرعون وضعته في
حجره ، فتناول موسى حية فرعون حتى مدّها ، فقال : عدو من أعداء الله ! ألا
ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه
— وذلك من الفنون يا بن جبير — بعد كلّ بلاء أبتلى به وأريد به . فجاءت امرأة
فرعون تسمى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي ؟ قال :
ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ! فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً يعرف (٣)
فيه الحق ؛ أنت يجمرتين وؤلؤتين فقربين إليّ ، فإنّ بطش بالؤلؤتين واجتنب
الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد الؤلؤتين فاعلم أن أحداً
لا يؤثّر الجمرتين على الؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين
فتزعهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه
بعد ما كان قد همّ به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان (٤)
من الرجال لم يكن أحداً (٥) من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل
بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية
المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ؛ أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ،
فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فغضب موسى واشتدّ غضبه لأنه تناوله وهو
يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنّما ذلك من
قبل الرضاة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك
على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونيّ قتلته ، وليس يراهما إلا الله
عزّ وجلّ والإسرائيليّ ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا في أ ، وفي ط . « فليكومه » ، وفي التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » .

(٤) كذا في أ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يكن أحداً » ، وما أثبتته عن التفسير وتاريخ ابن كثير .

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ^(١)، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٢) . فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار ، فأتى فرعون فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك ، فقال : ابغضوني قاتله ، ومن يشهد عليه ؛ لأنه لا يستقيم أن نقضى بغير بيّنة ولا ثبت^(٣) . فطلبوا له ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونياً ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى فدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ ، فقال للإسرائيليّ لما فعل بالأمس واليوم : ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ^(٤) . فنظر الإسرائيليّ إلى موسى بعد ما قال [ما قال]^(٥) ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونيّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ، أن يكون إياه أراد - ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرعونيّ - فخاف الإسرائيليّ فحاجز الفرعونيّ ، وقال : يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ! وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتتاركا ، فانطلق الفرعونيّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ من الخبر ، حين يقول : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ! فأرسل فرعون الذّباحين ، وسلك موسى الطريق الأعظم وطابوه وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر^(٦) ، وذلك من الفتون يا بن جببر^(٧) .

• • •

ثم رجع الحديث إلى حديث السديّ . قال : ﴿فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

(١) سورة القصص ١٥ ، ١٦ (٢) الثبت هنا : الحجّة .

(٣) سورة القصص ١٨ ، ١٩ (٤) تكلّة من التفسير وابن كثير .

(٥) ن : « بالخبر » . (٦) الخبر في التفسر ١٦ : ١٢٥ ، ونقله ابن كثير

في التاريخ ١ : ٣٠٠ - ٣٠٢ ، بسنده عن أبي عبد الرحمن السدائي .

عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ»^(١) يقول : كثرةً من الناس يستقون .

وقد حدثنا أبوعمار المرزوي ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما^(٢) مسيرة ثمان ليال - قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافياً ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثام ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ يقول : تحبان غنهما ، فألهما : ﴿ مَا خَطَبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^(١) ، فرحمهما موسى فأقى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان الثفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوأ فأروتا^(٢) غنهما ، فرجعتا سريعاً ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولى موسى إلى ظل شجرة من السمرة^(٣) فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^(٤) ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليشراهى خضرة البقل في بطنه من

(١) سورة القصص ٢٢ - ٢٤

(٢) ن : « وبينه وبينها » .

(٣) ط : « فأرويتنا » ، وما أثبتته عن ا ، س .

(٤) س ، ن : شجرة سمرة .

الهزال فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَىٰ مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ قال : شَبْعَةُ .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ،
سألها فأخبرته خبر موسى ، فأرسل إحداها فأتته ﴿ تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ ﴾
[وهي تستحي منه] ^(١) ، ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾
فقام معها ، وقال لها : امضي ، فشت ^(٢) بين يديه ، فضربتها الرياح فنظر
إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ،
فلما أتى الشيخ ﴿ وَفَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ .
وهي الجارية التي دعت . قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ،
أرأيت أمانته ما يدريك ما هي ؟ قالت : إني مشيت قدامه فلم يجب أن يخونني
في نفسي ، وأمرني أن أمشي خلفه ، قال له الشيخ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أُنَكِّحَكَ بِحَدَىٰ ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾ — إلى — ﴿ أَيُّمَا
الْأَجْلِينَ قَضَيْتَ ﴾ ، إما ثمانيا وإما عشرا ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ^(٣) .

قال ابن عباس : الجارية التي دعت هي التي تزوج بها . فأمر إحدى
ابنتيه أن تأتيه بعضا فأتته بعضا ، وكانت تلك العصا [عصا] ^(٤) استودعها ^(٥) إياه ملك
في صورة رجل ، فدفعها إليه . فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما
راها الشيخ قال لها : لا ، إيتيه بغيرها ، فألقها ، فأخذت تُريد أن تأخذ غيرها فلا
يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردد لها ، فكل ذلك ^(٦) لا يخرج في يدها غيرها ^(٧) ،
فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه ، فرعى بها . ثم إن الشيخ قدم وقال :
كانت وديعة . فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال ^(٨) موسى :

(١) تكلمة من أ . (٢) ن : « فشت » .

(٣) سورة القصص ٢٥ - ٢٨ (٤) من أ

(٥) س : « أودعها » . (٦) أ : « وكل » .

(٧) ن : « إلا هي » .

(٨) كذا في أ ، وفي ط : « قال » .

هي عصاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يعشى فقضى بينهما فقال : ضعاها فى الأرض فن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .
قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى : قال : حدثنا الحَمَيْدَى عبد الله ابن الزبير^(١) ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما» .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودى بالكوفة - وأنا أتجهز للحج - : إني أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حَبْرَ العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول ٤٦٢/١ اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إنّ النبى إذا وعد لم يُخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألتى رجل من أهل النصرانية : أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم - وأنا يومئذ لا أعلم - فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألتى عنه النصرانى ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانياً واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئاً ، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ، وفى الأصول : « الحميدى بن عبد الله ... »

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الذماری ، عن شعيب الجبائي قال : اسم الحاريتين ليا وصفورة ، وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى يثرون ، ابن أخي شعيب النبي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى اسمه يثري صاحب مدين .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد ابن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي امرأة موسى يثري .

٤٦٣/١

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظن أنها نار - وكانت من نور الله - ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجد خبراً آتيتكم منها بشهاب قبس ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ - قال : من البرد - ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(٢) . فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ، يقول

أضرب بها الورك ، فيقع للغم من الشجر ﴿ وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ ، يقول :
 حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء ، فقال له : ﴿ أَلَيْسَ بِهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ ،
 ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ،
 يقول : لم ينتظر . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى
 الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) . ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٣) العصا واليد آيتان ،
 ٤٦٤/١ فذلك (٤) حين يدعو موسى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِي ﴾ . وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
 يُصَدِّقُنِي ، يقول : كما يصدقني ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٥) قال : ﴿ وَلَهُمْ
 عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي ﴾ - يعني بالقتيل - ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
 بِأَخِيكَ وَنَجْمِلُ لَكَ سُلْطَانًا ﴾ - والسلطان الحجرة - ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
 بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِسُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ فَاتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا
 رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ،
 خرج - فيما ذكر لي ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه اليافى - فيما ذكر له -
 عنه ، ومعه غنم له ، ومعه زنده له وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاره ، فإذا أمسى
 اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبنغمه
 يتوكأ على عصاه ، وكانت - كما وصف لي عن وهب بن منبه - ذات شعبتين
 في رأسها ، ومجمن في طرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم من
 أصحابه ، أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

(١) سورة طه ١٧ - ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١ - ٣٥ .
 (٤) ن : « لك » . (٥) سورة الشراء ١٦

٤٦٥/١ فقال كعب: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه^(١) عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض، وسلوه ما أول ما وضع في الأرض؟ وما أول شجرة غرست في الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود، وأما أول ما وضع في الأرض فيرهوت^(٢) باليمن يردّه هام الكفار، وأما أول شجرة غرسها الله في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه. فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل، عالم والله!

قال: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه، فأخرج زنده ليقدم ناراً لأهله لبيبتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد عليه زنده فلا يورى له ناراً، فقدح حتى [إذا^(٣)] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤)، بقبس تصطلون، وهدى: عن علم الطريق الذي أضلنا بنعت من خبير. فخرج نحوها، فإذا هي في شجرة من العليق. وبعض أهل الكتاب يقول: في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استنخارها رجع عنها، وأرجس في نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله: يا موسى ﴿أَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٥). فالتقاهما ثم قال: ﴿مَا تِلْكَ بَيِّبَتِكَ يَا مُوسَى﴾. قال رمى عصاه أنواراً عليها وأهش بها على غنمى ولي فيها مآرب أخرى، أى منافع أخرى، ﴿قال ألقها يا موسى﴾ فالتقاها فإذا هي حية تسعى^(٦) قد صار شعبتها فيها وصار محجتها عرفاً لها، في ظهرتها، لها أنياب، فهي كما شاء الله أن تكون. فرأى

(١) س: «فهو».

(٢) س: «فيرهوت» (٣) من ١

(٤) سورة طه: ١٠

(٥) سورة طه: ١٢

(٦) سورة طه ١٧ - ٢٠

أمراً فظيماً فولى مدبراً ولم يعقب ، فناداه ربه : أن يا موسى أقبل ولا تخف ، ﴿ سَمِعِدْهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾^(١) ، أى سيرتها عينا كما كانت . قال : فلما أقبل قال : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾^(٢) ، أدخل يدك في فيها ، وعلى موسى جبة من صوف ، فلفت يده بكمته وهو لها هائب ، فنودى أن ألقى ككك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيتيها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هي عصاه في يده ، ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ، ومجنتها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئاً . ثم قيل : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٣) أى من غير برص - وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم أفتى جعداً طويلاً - فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها في جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه ، ثم قال : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، أى يبين لهم عنى ما أكلتهم به ، فإنه يفهم عنى ما لا يفهمون . ﴿ قَالَ سَنَنْدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِبُونَ ﴾^(٤) .

٤٦٧/١

رجع الحديث إلى حديث السدسى . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاهم ليلاً ، فتضيئ على أمه وهو لا يعرفهم ، فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطعميشل^(٤) ، فترل في جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدثا ، فسأله هارون : مَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

(١) سورة طه ٢١ .

(٢) سورة النمل ١٢ .

(٣) سورة القصص ٣٢ - ٣٥ .

(٤) الطفيشل : نوع من المرق ، قاله صاحب القاموس .

انطلق معي إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون :
 سمعٌ وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألا تذهبا
 إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلا ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون ،
 وفزع البواب ، وقال فرعون : من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة ؟ فأشرف
 عليهما البواب ، فكلتلهما ، فقال له موسى : ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ففزع
 البواب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانا مجنوناً يزعم أنه رسول ربِّ
 العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إني رسول رب العالمين ؛ أن أرسل
 معي بنى إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فَيَةً وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا
 مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ • وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبِئْسَ الَّذِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ •
 ٤٦٨/١
 معان على ديننا هذا الذي تعيب! ﴾ قال فعملتها إذا وأنا من الصالحين • ففررتُ
 مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا • - والحكم النبوة - ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُرْسَلِينَ • وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وربيتني
 قبل وليداً! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى • قَالَ
 رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٣) . يقول : أعطى كل دابة زوجها ^(٤)
 ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿ إِنْ كُنْتَ حَسِبْتَ بِآيَةِ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال
 موسى : ﴿ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ • قَالَ فَآتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ •
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٦) - والثعبان الذكر من الحيات - فاتحة

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ - ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ١ : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ - ٣٢

فاها ، واضعةً لَحْيَيْهَا الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْلَى عَلَى سُورِ الْقَصْرِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ
 نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِتَأْخُذَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهَا ذَعَرَ مِنْهَا وَوَثِبَ ، فَأَحْدَثَ — وَلَمْ يَكُنْ يُحَدِّثُ
 قَبْلَ ذَلِكَ — وَصَاحَ : يَا مُوسَى خُذْهَا وَأَنَا أَوْمِنُ بِكَ وَأُرْسِلُ مَعَكَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ . فَأَخَذَهَا مُوسَى فَعَادَتْ عَصَا ، ثُمَّ نَزَعَ يَدَهُ وَأَخْرَجَهَا ^(١) مِنْ جَيْبِهِ ،
 فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ . فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَبَى فِرْعَوْنَ أَنْ
 يُؤْمِنَ بِهِ ، أَوْ ^(٢) يُرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا أَعْلَى
 أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ ^(٣) . فَلَمَّا بَنَى لَهُ الصَّرْحَ ارْتَقَى فَوْقَهُ ، فَأَمَرَ بِنَشَابَةِ فِرْعَوْنَ بِهَا
 نَحْوَ السَّمَاءِ فَدَرَّتْ إِلَيْهِ ، وَهِيَ مَلْطَخَةٌ دَمًا ، فَقَالَ : قَدْ قَتَلْتَ إِلَهَ مُوسَى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
 عن قتادة : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول من طبخ الآجر
 بيني به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق ، قال : خرج موسى لما بعثه الله عز وجل حتى قدم مصر على
 فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه ،
 وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين ، فأذنوا بنا هذا الرجل . فكثا — فيما بلغنا —
 ستين يغدوان على بابيه ، ويروحان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن
 يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بطال له يلعبه ويضحكه ، فقال له : أيها
 الملك ، إن على الباب رجلا يقول قولاً عجيباً ، يزعم أن له إلهاً غيرك ، قال :
 أدخلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبسيده عصاه ، فلما وقف على
 فرعون قال له : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا
 وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ • وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « وأن » . (٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ فَعَلَّمَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ أى خطأ لا أريد
 ذلك . ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر من يده عنده ، فقال : ﴿وَتِلْكَ
 نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ! أى اتخذتهم عبداً تنزع (١) أبناءهم
 من أيديهم ، فنتسرق من شئت ، وتقتل من شئت . إني إنما صيرتني إلى
 بيتك وإليك ذلك . ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، أى يستوصفه إله الذى
 أرسله إليه ، أى ما إلهك هذا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴿مِنْ مَلَائِكَةٍ﴾ (٣) أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿أى إنكاراً
 لما قال : ليس له إله غيرى . ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الذى
 خلق آباءكم الأولين وخلفكم من آباءكم . قال فرعون : ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِى
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ، أى ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلهاً غيرى ،
 ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أى خالق المشرق
 والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون . ﴿قَالَ لَنْ أَخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي﴾
 لتعبد غيرى وتترك عبادتى ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ . قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ
 بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ، أى بما تعرف بها صدق وكذبك وحق وباطلك ! ﴿قَالَ
 فَآتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ ،
 ففألت ما بين ستماطى فرعون ، فأنحة فاها ، قد صار معجنتها عرفاً
 على ظهرها . فافرض عنها الناس : وحال فرعون عن سريره يُشده بربه .
 ثم أدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها كهيئتها ، وأدخل
 موسى يده فى جيبه فصارت عصا فى يده ، يده بين شعبتيها ، ومعجنتها فى أسفلها
 كما كانت ، وأخذ فرعون بطنه . وكان فيها يزعمون يمكث الخمس والسب
 ما يلتمس المذهب - يريد الحلاء - كما يلتمسه الناس ، وكان ذلك مما زين له أن

(١) ن : وتنزع .

(٢) سورة الشعراء ١٧ - ٣٢ .

يقول ما يقول (١) : إنه ليس من الناس بشبه (٢) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثت عن وهب بن منبه اليهاني ، قال : فشي بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت
نفسه أن تخرج ، ثم استسك (٣) فقال للمنه : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أى
ماسحر أسحر منه ، ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴾ (٤) أقتله ؟ فقال مؤمن من آل فرعون - العبد الصالح وكان
اسمه فيما يزعمون حبرك : ﴿ اتَّقِلُّونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم
قبلهم ، وقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا
مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
الرَّشَادِ ﴾ (٥) . وقال الملأ من قومه - وقد (٦) وهنهم من سلطان الله ما وهنهم :
﴿ أَرْضِهِ وَأَخَاهُ وَابْنَتِي فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ يأتوك بكل ساحر عليم (٧) ،
أى كائنه بالسحرة لهلك أن تجدى في السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد
كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه من سلطان الله ما أراه ،
وبعث فرعون مكانه في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به ؛ فذكر
لى - والله أعلم - أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه
أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه
أكرمتمكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتى ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك] (٨) إن

٤٧٢/١

(١) كذا في اس ، وفي ط : « ما قال » .

(٢) « بشبهه » .

(٣) س : « استبيل » .

(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبت من ا .

(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧ .

(٨) من ا

غَلَبْنَاها! قال: نعم، قالوا: فعدنا لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان (١) رموس
 السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور (٢)، وعادور (٣)، وحطحط (٤)،
 ومصن (٥)؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله،
 فأمنت السحرة جميعاً وقالوا لفرعون حين توعدهم القتل والصلب: ﴿لَنْ
 نُؤْمِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾. (٦) فبعث
 فرعون إلى موسى: ﴿أَنْ اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سُوًى ۚ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه (٧)،
 ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٨)، حتى يحضروا أمرى وأمرى، فجمع فرعون الناس
 لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿اِثْتَوَا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ (٩)،
 أى قد أفلح من استعلى اليوم على صاحبه. فصفا خمسة عشر ألف ساحر،
 مع كل ساحر جباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكىء على عصاه،
 حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه (١٠) أشرف أهل مملكته، وقد استكف
 له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (١١)، فتراد السحرة
 بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم
 إلى بعض] (١٢) بتناج: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أِنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
 بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقِكُمُ الْمَثَلَى﴾ (١٣). ثم قالوا: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى

١٧٣/١

(١) كذا في أ، وفي ط: «نكأنوا».

(٢) كذا في أ، وفي س: «شانور»، ن: «سالور»، وفي ط من غير نقط.

(٣) أ: «عانور»، س: «غانور».

(٤) س: «حططه». (٥) ن: «مصن».

(٦) سورة طه: ٧٢. (٧) س: «له».

(٨) سورة طه: ٥٨، ٥٩.

(٩) سورة طه: ٦٤.

(١٠) ط: «منه»، وما أثبتته من أ.

(١١) سورة طه: ٦١ (١٢) تكملة من أ.

(١٣) سورة طه: ٦٣.

وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَتَى . قَالَ بَلْ أَتَوْا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى ^(١) . فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصراً موسى
وبصراً فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم أتى كل رجل منهم ما في
يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادي
يركب بعضها بعضاً . ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ ^(٢) ، وقال : والله إن
كانت لعصياً في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاى هذه
— أو كما حدثت نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنْتَ ﴾ ^(٣) . وفُرج عن موسى فأتى
عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من جبالهم وعصيهم — وهي حيات في
عين فرعون وأعين الناس تسمى ففجملت تلتفها ^(٤) ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى
في الوادي ^(٥) قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في
يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ،
لو كان هذا سحراً ما غلبنا . قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البيئنة : ﴿ آمَنْتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ، [أى
لعظيم السحار الذى علمكم] ^(٥) ﴿ فَلَا تَطْمَئِنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ خَلْفِ ﴾
— إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن نؤثرك على الله وعلى ما جاء نامن
الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض] ^(٥) ، أى فاصنع ما ببدالك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضَى هَذِهِ

(١) سورة طه ٦٥ - ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « تلتفها » .

(٤) ن ، ا : « بالوادي » .

(٥) تكلمة من ا .

الحياة الدنيا التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَبْتَغِيَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١) أي خير منك ثواباً ، وأبقى عقاباً . فرجع عدو الله مغلوباً ملعوناً (٢) ثم أتى إلا الإقامة على الكفر، والتمادي في الشر، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذته بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدى . وأما السدى فإنه قال في خبره : ذُكر أن الآيات التي ابتلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال : لما رجع إليه السهم ملطخاً بالدم قال : قد قتلنا (٣) إله موسى . ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان - وهو المطر - فغرق كل شيء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك نبي إسرائيل . فكشفه الله عنهم ، ونبت زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أننا لم نُمطر . فبعث الله عليهم الجراد فأكل حرثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقي من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقي لنا من زرعنا بقية ، فبعث الله عليهم الدباب - وهو القمل - ، فلحس الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ دباباً حتى إن أحدهم لينسى الأسطوانة بالحصص والآجر ، فيزليقها (٤) حتى لا يرتقى فوقها شيء [من الذباب ، ثم] (٥) يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دباباً ، فلم يصبهم بلاء كان أشد عليهم من الدباب ، وهو الرجز الذي ذكره الله في القرآن (٦) أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به ، فلما كشف (٧) عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلي

٤٧٥/١

(١) سورة طه : ٧٠ - ٧٣

(٢) ١ ، س : « ملعوناً »

(٣) ١ : « قتلت » .

(٤) ط : « فيزلقه » ، ما أثبتته من ١ . (٥) تكله من ١

(٦) وهو قوله تعالى في سورة الأعراف ١٣٤ : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) .

(٧) ط : « كشفه » ، والأجود ما أثبتته من ١ .

يَأْتِي هُوَ وَالْقَبْطِيُّ فَيَسْتَقِيَانِ^(١١) مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ ، فَيُخْرِجُ مَاءَ هَذَا الْقَبْطِيُّ دَمًا ، وَيُخْرِجُ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ مَاءً . فَلَمَّا اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَكْشِفَهُ وَيُؤْمِنُوا بِهِ فَكَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾^(١٢) مَا أَعْطَوْا مِنَ الْعَهْدِ ، وَهُوَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْعَنِينِ ﴾ — وَهُوَ الْجُوعُ — ﴿ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾^(١٣) .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ^(١٤) أَنْ : ﴿ قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لِمَنْ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(١٥) ، فَأَتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ لَكَ يَا فِرْعَوْنَ فِي أَنْ أُعْطِيَكَ شِبَابِكَ وَلَا تَهْرَمَ^(١٦) ، وَمَلَكَكَ لَا يَتْرَعُ مِنْكَ ، وَيُرَدُّ^(١٧) إِلَيْكَ لَذَّةُ الْمُنَاقِحِ وَالْمَشَارِبِ وَالرُّكُوبِ ، فَإِذَا مَتَّ دَخَلْتَ الْبَحْنَةَ ؟ تَوْمِنُ فِي^(١٨) ! فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ، وَهِيَ اللَّيِّنَةُ^(١٩) ، فَقَالَ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ . فَلَمَّا جَاءَ هَامَانَ قَالَ لَهُ : [أَشَعْرَتْ]^(٢٠) أَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَتَانِي ؟ قَالَ : مِنْ هُوَ ؟ — وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْمِيهِ السَّاحِرَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ يَسْمِهِ السَّاحِرَ — قَالَ فِرْعَوْنَ : مُوسَى ، قَالَ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ هَامَانَ : وَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ فَاسْتَشِيرَهُ ، فَعَجَّزَهُ هَامَانَ وَقَالَ : قَدْ كَانَ ظَنِّي بِكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا ، تَصِيرُ عَبْدًا يُعْبَدُ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ رَبًّا يُعْبَدُ ! فَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ وَجَمَعَهُمْ فَقَالَ : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾^(٢١) . وَكَانَ بَيْنَ كَلِمَتِهِ ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرِي ﴾^(٢٢) وَبَيْنَ قَوْلِهِ :

(١) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « يَسْتَقِيَانِ » . (٢) سُورَةُ الزُّعْرُفِ ٥٠ .

(٣) سُورَةُ الْأَمْزَامِ ١٣٠ . (٤) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « إِلِيَّاهُ » .

(٥) سُورَةُ طه ٤٤ . (٦) ط : « وَلَا يَهْرَمُ » ، أ : « شَيْئًا لَا يَهْرَمُ » ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ

١ : ١٠٢ : « فَلَا يَهْرَمُ » . (٧) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَأُرْدُ » .

(٨) أ ، ن ، وَابْنُ الْأَثِيرِ : « وَيَتَوَقَّنُ فِي » . (٩) أ : « اللَّيِّنَاتِ » .

(١٠) تَكَلَّمَ مِنْ أ . (١١) سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٤ (١٢) سُورَةُ الْقَصَصِ ٣٨ .

(أَنَارُكُمْ الْأَعْلَى) أربعون سنة . وقال لقومه : (إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَيْهِ مِنَ الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُوكُ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ) (١) . قال فرعون : (أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى) — يقول : عدلا ، قال موسى : (مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ مَضْجَى) — وذلك يوم عيد لهم — (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) (٢) . وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، فحشروا عليه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول : (هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَمَلْنَا نَبِيِّعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) — إلى قوله : (أَنْزَلْنَا لَنَا جُرْءَانَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) — يقول : عطية تعطينا — (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (٣) . فقال لهم موسى : (وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) ، يقول : يهلككم بعذاب . (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى) من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم : (إِنَّ هَذَانِ سَاحِرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) (٤) ، يقول : يذهبها بأشراف قومكم .

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرايتك إن غلبتكَ أتؤمنُ بي وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يقبله سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ، ولأشهدن أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ) ،

(١) سورة الشعراء ٣٤ - ٣٧

(٢) سورة طه ٥٧ - ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٢٩ - ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ - ٦٣ .

إذ التقيتا لتظاهرا ﴿لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾^(١). فقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ
وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينَ﴾^(٢)، قال لهم موسى: ألقوا فألقوا حياهم ٤٧٨/١
وعصيتهم - وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل
وعصا - ﴿فَلَمَّا أَتَوْا سَعَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾^(٣) يقول: فرقوهم.
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾^(٤)، فأوحى الله إليه: ألا تخف، ﴿وَأَلْقِ
مَا فِي بَيْتِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾^(٥). فآلى موسى عصاه فأكلت كل حية
لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْمَالِكِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(٦).
قال فرعون: ﴿فَلَا تَطْمَئِنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي
جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(٧) فقتلهم وقطعهم - كما قال عبد الله بن عباس - حين قالوا:
﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾^(٨). قال^(٩): كانوا في أول النهار
سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

• • •

ثم أقبل على بني إسرائيل فقال له قومه: ﴿أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذْرُوكَ آلِهَتَكَ﴾^(١٠)، وآلهته - فيما زعم ابن عباس - كانت البقر،
كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلاً بقرة -
ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج بيني إسرائيل فقال: ﴿أَنْ أَسْرَ
بِصَادِي﴾ ليللاً ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾^(١١). فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا، وأمرهم

(٢) سورة الأعراف ١١٥، ١١٦.

(٤) سورة طه ٦٩.

(٦) سورة طه ٧١.

(٨) ط: «قالوا»، وصوابه من .

(١٠) سورة الشعراء ٥٢.

(١) سورة الأعراف ١٢٣.

(٣) سورة طه ٦٧.

(٥) سورة الشعراء ٤٧، ٤٨.

(٧) سورة الأعراف ١٢٦.

(٩) سورة الأعراف ١٢٧.

أن يستعيروا الخبز من القبط ، وأمر ألا ينادى إنسان صاحبه ، وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ، وأن من خرج إذا قال : موسى ، قال : «عمرو» . وأمر من خرج يلبطخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل ، وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط ، حتى أتوا آباءهم .

٤٧٩/١

ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون ، وقد دعوا قبل ذلك على القبط ، فقال موسى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(١) ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وأمن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾^(٣) فذكر أن طمس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا في قومهما ، وألقى على القبط الموت ، فمات كل بيكر رجل ، فأصبحوا يكدفونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ، فذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَنْبَبُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾^(٤) .

وكان موسى على ساقه^(٥) بني إسرائيل ، وكان هارون أمامهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبي الله ، أين أميرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يقتحم فثعه موسى . وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يعدون ابن العشرين لصفه ولا ابن السنين لكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ليس^(٦) فيها ماذياة ، وذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هُوَ لَأَشْرِكُمْ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِلُونَ ﴾ — يعني بني إسرائيل — ﴿ وَأَنَا الْجَمِيعُ حَازِرُونَ ﴾^(٥) ، يقول : قد حيرنا فأجمعنا أمرنا ،

٤٨٠/١

(٢) سورة الشعراء ٦٠ .

(٤) ن : وليس .

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ساقه الجيش : مؤخرهم .

(٥) سورة الشعراء ٥٢ - ٥٦ .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ ﴾ ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رددهم ، قالوا :
 ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ^(١) . قالوا : يا موسى ، أودينا من قبل أن تأتيَنَا ، كانوا
 يذبّحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون
 فيقتلنا ! إنا لمدركون ، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال
 موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ^(٢) ، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَسَى
 رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) . فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن يفتح ، وقال :
 من هذا الجبار الذي يضربني ! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه ،
 ﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٤) ، يقول : كالجبل العظيم ،
 فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقًا ، في كل طريق
 سبب ، وكان الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كل سبب : قد قتل أصحابنا ،
 فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر
 ٤٨١/١ آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعًا ؛ ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما
 نظر فرعون إلى البحر منفلقًا قال : ألا ترون البحر فرق مني ، وقد تفتح لي حتى
 أدرك أعدائي فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَزَّازْنَا مِمَّ الْآخِرِينَ ﴾ ^(٥) ،
 يقول : قربنا مِمَّ الْآخِرِينَ ؛ هم آل فرعون .

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله أن تقتحم ، فنزل جبرئيل
 على ماذيائة ، فشمّت ^(٥) الحصن ریح الماذيائة فاقتمحت في أثرها حتى إذا هم
 أولتهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ،

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا في ح وابن الأثير ، وفي ا ، ط : « شامت » .

وتفرد جبرئيل بفرعون بمقلّة من مقل (١) البحر ، فجعل يَدُسُّهَا فِيهِ ، فقال حين أدركه الغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بِقَوْمِ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيِّره ، قال : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) . فقال جبرئيل : يا محمد ، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضت رجلين : أما أحدهما فن الجين وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم ، وأما الآخر فهو فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ، ولورأيتني يا محمد ، وأنا أخذ مقل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ! وقالت بنو إسرائيل : لم يفرق فرعون ، الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله موسى : فأخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً ، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به ، وذلك قول الله لفرعون : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِيَتَّكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾ (٣) ؛ يقول : لبي إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضرب عليهم تيه ، فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل فسألهم : ما بالنا ؟ فقالوا له : إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألا تخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم : أين موضع قبره ؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادي : أنشيد الله كل من كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ، ومن لم يعلم قصصت أذناه عن قولي ! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت : أرايتك إن دلتك على قبره أعطيتني كل ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربي ، فأمره الله عز وجل أن يعطيها ، فأناها فأعطاها ، فقالت : إني أريد ألا تنزل غرقة من الجنة إلا نزلتها معك ، قال : نعم ، قالت : إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحملني ، فحملها ، فلما دنا من النيل ، قالت : إنه في جوف الماء ، فادع الله أن يحسره عنه الماء ، فدعا الله فحسر الماء عن القبر ، فقالت : احفره ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح

٤٨٢/١

٤٨٣/١

(١) في اللسان ؛ مقل البحر ، موضع المذاص منه .

(٢) سورة يونس : ٩٠ ، ٩٢ .

لم الطريق، فساروا، ﴿فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَسْكُنُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا هُوَ مُتَّبِعٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ - يقول: مهلك ما هم فيه - ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه - فتابع الله عليه بالآيات - يعنى على فرعون - وأخذته بالسنين إذ أتى أن يؤمن بعد (٢) ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مفصلات، أى آية بعد آية، يتبع بعضها بعضاً، فأرسل الطوفان وهو الماء، ففاض على وجه الأرض ثم ركد، لا يقدرّون على أن يحرثوا، ولا يعملوا شيئاً، حتى جهدوا جوعاً. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿لَنْ نَكْشِفَ عَنْكَ الرَّجْزَ لَنْتُومِنَ الْكَوْكَبِ وَالنُّجُومِ لَنْتُومِنَ الْكَوْكَبِ وَالنُّجُومِ لَنْتُومِنَ الْكَوْكَبِ وَالنُّجُومِ لَنْتُومِنَ الْكَوْكَبِ وَالنُّجُومِ﴾ (٣). فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغنى حتى إنه كان لياكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل. فذكر لى أن موسى أمر أن يمشى إلى كتيب فيضربه (٤) بعصاه فمشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ففلات البيوت والأطعمة والآتية فلا يكشف أحد منهم (٥) ثوباً ولا طعاماً ولا إزاء إلا وجد في الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله

٤٨٤/١

(١) سورة الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩

(٢) ح : « من بعد » .

(٣) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٤) ن : « حتى يضره » .

(٥) ح ، ن : « أحدهم » .

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جررتها أو تصب لها من قربتها ، فيعود في الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه في فيك ثم حجي به في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا تجته في فيها صار دمًا ، فكثروا في ذلك سبعة أيام ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(١) . فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ولم يفؤا بشيء مما قالوا ، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجيه ومن معه ، ومهلك فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطمسة ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ - إلى - ﴿ وَلَا تَذْبَحَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَبْعَمُونَ ﴾ ^(٢) . فسوخ الله أموالهم حجارة : النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التي أراها ^(٣) الله فرعون .

٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريرة ابن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراها الله فرعون ، فقلت : الطوفان ، والبحر ، والقمم ، والصفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر . فقال عمر : فأننى عرفت أن الطمسة إحداهن ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمن هارون ، فسوخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

(١) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٢) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ط : « أراها » ، وما أثبتته من أ .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لبعده العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون ، فأخرج البيضة مقشورة نصفين ؛ وإنما لحجر ، والجوزة مقشورة وإنما لحجر ، والحمصّة ، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشام كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وأنها لحجر ، وقد رأيت إنساناً ما شككت أنه إنسان وإنه لحجر ، من رقيقهم ، فيقول الله عز وجل : ﴿ وَالْقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مَشْجُورًا ﴾ ^(١) بقول : شقيّاً . ٤٨٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، أن الله حين أمر موسى بالمسير بيني إسرائيل أمره أن يحمل يوسف معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عن موضع قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بني إسرائيل ، فقالت : يا نبي الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتني معك ^(٢) ، ولم تخلّفني بأرض مصر دللتك عليه . قال : أفعل ، وقد كان موسى وعدّ بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربه أن يؤخّر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ، ففعل ، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل في الماء ، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر ، فاحتلمه معه . قال عروة : فن ذلك تحمّل اليهود موتها من كل أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان فيها ذكيري — أن موسى قال لبني إسرائيل فيما أمره الله به : استعبروا منهم الأمتعة والحليل والثياب فإنّي منفلكم أموالكم مع هلاكهم ؛ فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرّض به على بني إسرائيل أن قال حين ساروا : لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ن : « خرجت بي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل سوى ما في جنده من شيات^(١) الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾^(٢) ، أي للنجاة ، وقد وعدني ذلك ولا خلف لموعوده^(٣) .

٤٨٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : فأوحى الله تبارك وتعالى - فيما ذكر لي - إلى البحر : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله وانتظاراً لأمره ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، ﴿ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ، أي كالجبل على نشتر من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى ﴾^(٥) . فلما استمتر له البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى بنو إسرائيل ، واتبعه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد اللثبي ، قال : حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحد أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن يتقدم^(٦) ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق^(٧) ، فصرها منه

٤٨٨/١

(١) كذا في ١ ، وفي التفسير : « شية » ، وفي ط : « شهب » من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣ (٥) سورة طه ٧٧

(٦) ح ، ١ : « أن يتقدم » . (٧) الفرس الوديق : التي تريد الفعل .

فشمها الفحل ، ولما شمتها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون أن فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون ، ويكاثيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : الحقوا بصاحبكم ، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحد ، ووقف ميكائيل على الناحية^(١) الأخرى ليس خلفه أحد ، طبع عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلّه وخذلته نفسه ، نادى : أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا أبو داود البصرى ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد ، لقد رأيتنى وأنا أؤس من حمل البحر في فم^(٢) فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله : ﴿ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ، أى سواء لم يذهب منك شيء ، ﴿ لَتَكُونَنَّ لِنَ خَلْقِكَ آيَةً ﴾^(٣) أى عبرة وبينه . فكان يقال : لو لم يخرج الله بيده حتى عرفوه لتشك في بعض الناس .

٤٨٩/١ ولا جاوز بنى إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا مُتَّبِعٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) . ووعده الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السدى . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

(١) ١ : « ناحيته الأخرى » ، ح ، س : « ناحية أخرى » .

(٢) ١ : « في فرعون » .

(٣) سورة يونس ٩٢ ، ٩١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠ .

الله عز وجل ، فأقبل على فرس فرآه السامري فأنكره ، ويقال : إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه : إن لهذا شأنًا ، فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلتي القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعًا فاحضروا لها حفرة فادفنها فيها ، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها ، وإلا كان شيئًا لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحل في تلك الحفرة ، وجاء السامري بتلك القبضة فقفها ، فأخرج الله من الحل عجلًا جسدًا له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يومًا واليوم يومًا ، فلما كان العشر^(١) خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامري : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَدِيسٌ ﴾^(٢) . يقول : ترك موسى إله هاهنا ، وذهب يطلبه

٤٩٠/١

فكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ ﴾ يقول : إنما ابتليتكم به ، يقول : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٣) ، فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل ليقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه بكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٤) . فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نصخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب أنت إذا أضلتهم .

ثم إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

(١) كذا في ١ ، ن : وفي ط : « العشرين » .

(٢) سورة طه ٨٨ .

(٣) سورة طه ٩٠ .

(٤) سورة طه ٨٣ - ٨٥ .

فَسَوْفَ تَرَانِي^(١) ، فَحَفَّ حَوْلَ الْجَبَلِ الْمَلَائِكَةُ ، وَحَفَّ حَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، وَحَفَّ حَوْلَ النَّارِ بَمَلَائِكَةٍ ، وَحَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، ثُمَّ تَجَلَّى رَبِّهِ لِلْجَبَلِ .

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، قال : حدثني السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : تجلَّى منه مثل طرف الحنصر ، فجعل الجبل دكاً وخر موسى صعقاً ، فلم يزل صعقاً ما شاء الله ، ثم انه أفاق فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) ، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل ، فقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ ، يعني بجِدِّ واجتهاد ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾^(٣) أي بأحسن ما يجدون فيها . فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه^(٤) ، وكان يُلْبِسُ وجهه بجريرة ، فأخذ الألواح ثم رجع إلى قومه ﴿ غَضَبَانَ أَصْفَاءَ ﴾ يقول : حزينا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَنِينًا ﴾ - إلى - ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ﴾ يقولون : بطاقتنا ، ﴿ وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يقول : من حلَى القبط ﴿ قَدَفْنَا هَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾^(٥) ، ذلك حين قال لهم هارون : احضروا لهذا الحلَى حفرة ، واطرحوه فيها ، فطرحوه فقتل السامري تربيته ، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ﴿ قَالَ يَا بَنِي أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾^(٥) . فترك موسى هارون ، ومال إلى السامري ، فقال :

٤٩١/١

(١) سورة الأعراف ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) ١ : « الوجه » .

(٤) سورة طه ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) سورة طه ٩٤ .

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾^(١)، قال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾
 إلى : ﴿فِي آيَةٍ نَسْفًا﴾^(٢). ثم أخذه فذبحه ، ثم حرقه بالبرد ثم ذراه في
 البحر ، فلم يبق بحر يجرى إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال لهم موسى :
 اشربوا منه فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربته الذهب ، فذلك حين
 يقول: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣). فلما سقِط في أيدي بني
 إسرائيل حين جاء موسى ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
 وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤). فأبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل
 إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبسوا العجل ، فقال لهم موسى :
 ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ
 فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ،
 فكان من قُتِل من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ،
 حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهارون : رَبَّنَا هَلَكْتَ بِنُو إِسْرَائِيلَ !
 رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان من قُتِل
 كان شهيداً ، ومن بقى كان مكفراً عنه ، فذلك قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ
 هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٦) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،

عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان السامري
 رجلاً من أهل باجرما^(٥) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حُبَّ عبادة

(٢) سورة البقرة ٩٣ .

(١) سورة طه ٩٥ - ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٩ .

(٥) باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ويم وألف مقصورة : قرية ، قرب الرقة من أعمال

الجزيرة . ياقوت .

البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل هارون في بني إسرائيل ، وفصل موسى معهم ^(١) إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتم ^(٢) أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحلياً ، فتطهروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال : اقدفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي وتلك الأمتعة فيقدفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحلي فيها ، رأى ^(٣) السامري أثر فرس جبرئيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أبل إلى الحفرة فقال لهارون : يا نبي الله ، ألقى ما في يدي ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلي ، فقدفه فيها ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاد والفتنة ، فقال : هذا الحكم وإله موسى ، فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط ، فقال الله عز وجل : ﴿ فَذَيِّبْ ﴾ ^(٤) ، أي ترك ما كان عليه من الإسلام ، - يعني السامري - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ^(٥) .

قال : وكان اسم السامري موسى بن ظفر ^(٥) ، وقع في أرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ ^(٦) . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ﴾ ^(٧) ، وكان له هائباً مطيعاً ، ومضى موسى ببني إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عز وجل وعد بني إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببني إسرائيل

(١) كذا في ا ، ح ، ن ؛ وفي ط : « عنهم » . (٢) س : « حملتم »

(٣) في الأصول : « ورأى » . (٤) سورة طه ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) ح : « الظفر » . (٦) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .

(٧) طه : ٩٤

من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين يشربون منها قد عرفوها، فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال له: **إِنَّكَ لَنْ تَرَآنِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ** (إلى قوله: **وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**)^(١).

ثم قال الله لموسى: **(إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ)** إلى قوله: **(سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)**^(٢). وقال له: **(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى)** إلى قوله: **(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا)**^(٣)، ومعه عهد الله في الواحه.

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألنى الألواح من يده، وكانت فيما يذكرون—من زبرجد أخضر، ثم أخذ برأس أخيه وحيته ويقول: **(مَا مَمَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَدْبَعِنِي)** إلى قوله: **(وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)**^(٤). فقال: **(يَا بَنِي أُمَّةٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**^(٥)، فارعى موسى وقال: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**^(٦).

وأقبل على قومه فقال: **(يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا)** إلى قوله: **(عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ)**^(٧). وأقبل على السامري فقال: **(فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ)** قال: **بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ** إلى قوله: **(وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا)**^(٨). ثم

(١) سورة الأعراف ١٤٣-١٤٥

(٢) سورة طه ٨٣-٨٦

(٣) سورة طه ٩٢-٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٠، ١٥١

(٥) سورة طه ٨٦-٨٨

(٦) سورة طه ٩٥-٩٨

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ، يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١) .

٤٩٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رفع الله ستة أسباعها وأبقى سبعة ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرق ، حتى رجع رمادا ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه (٢) ثم سحله ثم نراه في البحر . والله أعلم .

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلا : الخيبر فالخيبر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسأوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وبيناه : افعلا ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام (٣) ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٤) ، ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ (٥) ، وهى الصاعقة ، فالفلتت أرواحهم فأتوا جميعا ،

٤٩٦/١

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٢) ن : « الحجاب » .

(٣) سورة الأعراف : ٧٨

(٤) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « إحقاقه سحله » .

(٥) سورة البقرة : ٥٥ .

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ ﴾^(١) قد سفهوا ، أفتهلك^(٢) مَنْ ورائي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا ! إن هذا هلاك لهم . اخترت منهم سبعين رجلاً الخيّر فالتخير ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقونني به ! فلم يزل موسى يناشد ربه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم . وقال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلت عليهم القوم السيوف ، فجمعوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش^(٣) إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف .

وأما السدى فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبل أن مصير موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) . قال : ثم إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ أَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾^(٥) ، فإنك قد كلمته فأرناه ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ! رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيأي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عز وجل إلى موسى : إن هؤلاء السبعين مِمَّن اتَّخَذَ الْعِجْلَ ، فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ ﴾^(٥) ، يقول :

٤٩٧/١

(٢) ط : « فهلك » ؛ وما أثبتته عن ا .

(٣) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .

(٤) سورة البقرة ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦ .

تبتا إليك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(١)، والصاعقة نار . ثم إن الله أحياهم، فقاموا وعاشوا^(٢) رجلا رجلا ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ فقالوا : يا موسى ، أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء، فذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(٣)،
ولكنه قدّم حرفاً وأخر حرفاً .

٤٩٨/١

ثم أمرهم بالسير إلى أريحا^(٤)، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريباً منها^(٥) بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين، فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حُجْرته وعلى رأسه حملة حطب، فانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون^(٥) أنهم يريدون أن يقاتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنهم برجلي ! فقالت امرأته : لا ، بل نخلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتبوهم وأخبروا نبي الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتبوه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج، وكتب رجلان منهم ، فاتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٦) .

فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ إِذْ ذُكِّرُوا نِعْمَةً أَنَّهُ عَلَىٰكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا﴾^(٧) ، يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله . ﴿يَا قَوْمِ إِذْ خَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول : التي أمركم الله بها
٤٩٩/١

(٢) كذا في ١ ، وفي أصول ط : « فماتوا »

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦

(٤) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « منهم » .

(٣) أريحا، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة .

(٦) سورة المائدة ١٢

(٥) ح ، س : « زعموا » .

(٧) سورة المائدة ٢٠

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ • قَالُوا﴾ مما سمعوا من
 العشرة : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جِبَارِينَ وَإِنَّا لَنَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن
 يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
 أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا﴾ ، وهما اللذان كُتِبَ ، وهما يوشع بن نون فَي موسى
 وكالوب بن يوفنَّة - وقيل : كلاب بن يوفنَّة ختن موسى - فقالا (١) :
 يا قوم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ . ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا
 مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ . فغضب
 موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله :
 ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) . فلما ضُرب عليهم
 التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت
 بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : ألا تأس ، أى لا تحزن
 على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى ،
 فكيف لنا بما ههنا ؟ أين الطعام ؟ فأُنزل الله عليهم المن والسلى ، فكان
 يسقط على الشجر الترنجيبين (٤) والسلى - وهو طير يشبه السماتى - فكان
 يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ،
 فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب (٥) بعضه الحجر فأنفجرت
 منه اثنتا عشرة عيناً ، يشرب كل سبب من عين . فقالوا : هذا الطعام
 والشراب ، فأين الظل ؟ فظل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظل ، فأين

٥٠٠/١

(١) ط : « فقال » ! رواه أثبه من ا .

(٢) سورة المائدة ٢١ ، ٢٦

(٣) سورة المائدة ٢٢ - ٢٦

(٤) الترنجيبين : طل يقع من السماء ؛ وهو ندى شبيه بالصل جامد متجيب ، تأويله صل

الندى ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحجاج . المتصدى الأودية المفردة ٣٥

(٥) س : « أن يضرب » .

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ^(١) كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ النَّمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ ^(٢) .
 وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا :
 ﴿ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
 الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا - وَهِيَ الْخِنْطَلُ - وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ .
 قال : ﴿ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ من
 الأمصار ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ ^(٤) . فلما خرجوا من التيه رفع المن
 والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فترا موسى في السماء عشرة
 أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب ^(٥)
 كعب عاج فقتله .

٥٠١/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن
 أبي إسحاق ، عن نوف ، قال : كان طول ^(٥) عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول
 موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب في السماء عشرة أذرع ،
 فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً ، فكان جيسراً للناس يمرّون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن
 أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى
 عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب
 عوج فقتله ، فكان جيسراً لأهل النيل . وقيل إن عوج ثلاثة آلاف سنة .

(١) ن : « عليهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « وأصاب » .

(٥) في ط : « سرير » ؛ والأصواب ما أثبتته عن ١ .

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ، أني متوف هارون ، فأت به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم ير مثلها ، وإذا هما بيت مبني ، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ریح طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، فقال : يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : فم عليه ، قال : إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي ، قال له موسى : لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فم ، قال : يا موسى بل نم معي ، فإن جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعاً ، فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى خدعتني ، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له ، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى ، وكان في موسى بعض الغلظة^(١) عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم ! كان أخي ، أفترؤني^(٢) أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلتي ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّوه . ثم إن موسى بينا هو يمشي ويوشع فناه إذا أقبلت ریح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى ، وقال : تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله ، فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ، وقالوا : قتل نبي الله ! قال : لا والله ما قتلته ، ولكنه استل مني ، فلم يصدّ قوه وأرادوا قتله . قال : فإذا لم تصدقوني فأحرقوني ثلاثة أيام ، فدعا الله فأتى كل

٥٠٢/١

٥٠٣/١

(٢) ط : « أفترؤني » .

(١) ن ، ا ، ن : « الغلظة » .

رجل ممن كان يحرمه في المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأننا قد رفعناه
إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبي أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا
مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان
صنىُّ الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يحبب إليه الموت
ويكره إليه الحياة ، فحوّلت^(١) النبوة إلى يوشع بن نون ، فكان يعدُّو عليه
ويروح ، فيقول له موسى : يا نبيَّ الله ، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن
نون : يا نبيَّ الله ، ألم أضحيك كذا وكذا سنة ، فهل كنتُ أسألك عن شيء
مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ؟ فلا يذكر له
شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحبَّ الموت .

٥٠٤/١

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صنىُّ الله - فيما
ذكر لي وهب بن منبه - إنما يستظلُّ في عريش^(٢) ، ويأكل ويشرب في تقير
من حجّره ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرر الدابة في ذلك
التقير ، تواضعاً لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لي أنه كان من أمر وفاته أن صنىُّ الله خرج يوماً من
عريشه ذلك لبعض حاجته^(٣) لا يعلم به أحدٌ من خلق الله ، فمرَّ برهط من الملائكة
يحضرون قبراً^(٤) فعرفهم وأقبل إليهم ، حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً
لم ير شيئاً قطُّ أحسن منه ، ولم يرمثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة ،
فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم
على ربه ، قال : إن هذا العبد من الله ليمتزل ! ما رأيت كالיום مضجعاً^(٥)
ولا ملخلاً ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له
الملائكة : يا صنىُّ الله ، أنتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت^(٦) . قالوا :
فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل تنفس تنفسته قطُّ .

(١) ح : « فتحوّلت » . (٢) ح : « ظل عريش » .

(٣) كذا في جميع الأصول ؛ وفي ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .

(٤) ح : « حفراً » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فتزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم سوت عليه الملائكة ، وكان صني الله زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله . ٥٠٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، مولى بني هاشم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقا عينه ، قال : فرجع فقال : يا رب ، إن عبدك موسى فقا عيني ، ولولا كرامته عليك لشقت عليه ، فقال : ات عبدى موسى ، فقل له : فليضع كفه على من ثور ، فله بكل شعرة وارت يده سنة ، وخبره بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فخيرته ، فقال له موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذا ، قال : فشمته شمة قبض روحه . قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خفية (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن أبي سنان الشيباني ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مات موسى وهارون جميعاً في التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعاً في التيه إلى بعض الكهوف ، فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بني إسرائيل ، فقالوا : ما فعل هارون ؟ قال : مات ، قالوا : كذبت ولكنك قتلته لحبنا إياه ، وكان محبباً في بني إسرائيل ، فتضرع موسى إلى ربه ، وشكا ما لقي من بني إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإني باعته حتى يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله . قال : فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى : يا هارون ، فخرج من قبره بنفض رأسه ، فقال : أنا قتلتك ؟ قال : لا والله ، ولكني مت ، قال : فعد إلى مضجعتك ، وانصرفوا . ٥٠٦/١

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك في ملك أفريديون ؟ ومائة منها في ملك مينو شهر ، وكان ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبياً إلى أن قبضه إليه في ملك مينو شهر .

(١) ط : « خفياً » ، وما أثبت من أ .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام*

ثم ابتعث الله عز وجل بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيًا ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلف من أهل العلم في ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك (١) ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ في حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

• • •

فقال بعضهم : لم يسِرْ يوشع إلى أريحا ، ولا أمير بالمسير إليها إلا بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبي المسير إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعًا في التيه قبل خروجهما منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفیان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى - يعني بدعائه قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) . قال : فدخلوا التيه ، فكل (٣) من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه ، قال : فمات موسى في التيه ، ومات هارون قبله . قال : ٥٠٧/١ فلبثوا في تيههم أربعين سنة ، وناهض يوشع بمن بقى معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة (٤) .

(٥) هذا العنوان لم يذكر إلا في ١ .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ١٩٣ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة . قال : قال الله تعالى : ﴿ إِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية ، حرمت عليهم القرى ، فكانوا لا يهبطون قرية ، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة . وذكر لنا أن موسى مات في الأربعين سنة ، ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالوا ما قالوا .

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في الخبر الذي ذكرت إسناده فيما مضى : لم يبق أحد من أبي أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى الامات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه^(١) وصدقوه ، فهزم الجبارين ، واقتحموا عليهم ، فقتلهم^(٢) ، فكانت العصاة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضر يونها لا يقطعونها^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، عن هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثني المثنى قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هارون النحوي ، عن الزبير بن الحرث ، عن عكرمة في قوله : ﴿ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكْفِيُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : التحريم التيسه .

• • •

وقال آخرون : إنما فتح أريحا موسى ؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

• ذكر من قال ذلك :

(١) ح : « فتبايعوه » .

(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشى من ذراريهم - يعنى مين ذرارى الدين أبوا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تتيها فيها؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون، وكلاب بن يوفنة ، وكان فيها يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف^(١) ، وكان رجلاً قد آتاه الله علماً ، وكان فيها أوتى من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذى إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبى النَّضْر ، أنه حدث أن موسى لما نزل أرض بني كنعان من أرض الشام ، وكان بلعم بيالعة - قرية من قرى البلقاء - فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قوم بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران فى بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويحطها بني إسرائيل ، ويسكنها ، وإننا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم ، فقال : ويلكم ! نبي الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرققونه^(٢) ، ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتن فركب حمارة^(٣) له متوجهاً إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتى ربضت^(٤) به ، فنزل عنها فضربها حتى أذلقتها فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقتها أذن الله لها فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويمحك يا بلعم ! أين تذهب ! ألا ترى الملائكة أمامى تردى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو

(١) كذا فى ا ، ر ، ط : « المعروف » ، وفى ن : « العروف » .

(٢) ط : « يرققونه » ، وما ألبه من ا ، ح .

(٣) ا ، ح : « حمارة » . (٤) الربوض للداية ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم يتزع عنها يضربها ، فخطى الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسيان^(١) ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدرى يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمر لكم وأحتال ، جمّلوا النساء وأعظوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسى^(٢) ابنة صور - رأس أمته وبني أبيه من كان منهم في مدينتي ، هو كان كبيرهم - برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول : هذه حرام عليك ! قال : أجل هي حرام عليك لا تقربنها ، قال : فوالله لا نطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبتة فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلاً قد أعطى بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحومس في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته - وكانت من حديد كلتها - ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانظهما بمربته ، ثم خرج بهما رافعهما^(٣) إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته - وكان بكر العيزار - فجعل يقول : اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ! ورفّع الطاعون فحسب من يهلك من بني إسرائيل في الطاعون - فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

٥١٠/١

٥١١/١

(١) ن : « على الجبل جبل حسيان » .

(٢) كذا في ا ، س ، ن ، و ، ط : « كسى » ، ح : « كسى » .

(٣) كذا في ا ، ح ، ن ، و ، ط : « رافعاً » .

فنحاص — فوجدوا قدهلك منهم سبعون ألفاً ، والمقتل لهم يقول : عشرون ألفاً ، في ساعة من النهار ، فن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها القبّة والذراع واللّحى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذة إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبيكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففي بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ — يعنى بلعم بن باعور ، ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَرُونَ ﴾ ^(١) يعنى بنى إسرائيل ؛ أتى قد جنتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت ^(٢) بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبى يأتيه خير من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبارة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيت منهم بقية في اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخشى إن لبسهم ^(٣) الليل أن يعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عز وجل حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى بنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبوره أحد من الخلائق .

فأما السدى في الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر في خبرة ذلك أن الذى قاتل ^(٤) الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقص من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبى ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه ^(٥) وصدّقه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم — وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم ^(٦) المكتوم — فكفر

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦

(٢) ن : « يأتهم » .

(٣) ن : « لبسه » .

(٤) ن : « قتل » .

(٥) ن : « فبايعوه » .

(٦) ن : « اسم الله الأعظم » .

وأق الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بني إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أذعوا عليهم دعوة فيهلكون ؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء من عظمهن ، فكان ينكح أُنثاهُ له ، وهو الذى يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان يلعم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلم مع الجبارين على أُنثاه ، وهو يريد أن يلعم بني إسرائيل ، فكلما أراد أن يدعوا على بني إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول (١) : إنما أردت بني إسرائيل ، فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذب الأتان فأمسكها ، وجعل يجرها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضررها تكلمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! وويل منك ! ولو أننى أطق الخروج لخرجت بك ؛ ولكن هذا الملك يجيئنى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسا (٢) وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهم اردد على الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزيد له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عتق الرجل (٣) يضرهونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها ، فلم تزل النار (٤) تأكلها ، فقال يوشع : يا بني إسرائيل إن الله عز وجل عندكم طائفة ، هلموا فبايعونى ، فبايعوه فلصقت (٥) يد رجل منهم بيده ، فقال : هلم ما عندك ! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلته ، ففعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

(١) عن ا ، ح ، س : « فتقول » .

(٢) ح : « حتى إذا أمسا » .

(٣) ا ، ن : « رجل » .

(٤) ط : « تزل » ، والصواب ما أثبتته س ا .

(٥) ن : « فالصقت » .

وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى في التيه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردن إلى الأرض التي أعطاه بني إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جدّ في ذلك وجهه إلى أريحا من تعرف^(١) خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبر الأردن ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا في القرون ، وضجّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بني إسرائيل غلّ شيئاً ، فغضب الله عليهم وانهمزوا ، فجزع يوشع جزعاً شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقرع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القرعة إلى الرجل الذي غلّ ، فاستخرج غلّوله من بيته ، فرجمه يوشع وأحرق كلّ ما كان له بالنار ، وسقوا الموضع باسم صاحب الغلول ، وهو عاجر^(٢) فالوضع إلى هذا اليوم غور عاجر^(٣) . ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاي وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل ، وغلب على عاي وصاب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل من أهلها اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، واحتال أهل عماق وجيعون^(٤) ليوشع حتى جعل لهم أماناً ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حطّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق^(٥) ملك أورشليم يتصدق ، ثم أرسل ملوك الأرمانيين ، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم^(٦) على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حذروهم إلى هبّطة حوران ، ورامهم الله بأحجار البرد ، فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمس أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعل ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوا في غار ، فأمر يوشع فسُدّ^(٧) باب الغار حتى فرغ من الانتقام

(٢) كذا في أ ، ح ، د ، ط من غير نقط .

(٤) ح ، س : « ياله » ، ن : « ياله » .

(٦) ط : « بسد » ، وما أثبتته عن أ .

(١) أ ، ن : « يعرف » .

(٣) كذا في أ ، د ، ط ، « عمال جيعون » .

(٥) كذا في أ ، د ، ط ، « كلمهم » .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ثم أنزهم من الخشب ، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيه ، وتتبع سائر الملوك بالشام ، فاستباح منهم أجداً وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها . ثم مات يوشع ، فلما مات دفن في جبل أفرائيم ، وقام بعده سببطُ يهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف بيازق ، وأخذوا ملك بيازق فقطعوا إبهامتي يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بيازق : قد كان يلقط ^(١) الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكاً مقطّعي الأباهيم ، فقد جزاني الله بصنيعي ^(٢) ، وأدخلوا ملك بيازق أورشليم ، فأت بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عمرُ يوشع مائة سنة وستاً وعشرين سنة . وتديده أمر بني إسرائيل منذ توفى موسى إلى أن توفى يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة .

٥١٦/١

* * *

وقد قيل إن أول من ملك من ملوك اليمن ، ملك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن ، وأخرج من كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميري هذا كان من عمّال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد ما قتل يوشع من قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيق بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مرّ بهم متوجهاً إلى إفريقيّة ، فاحتلمهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقيّة ، فاقتحمها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتلمهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سموا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم : ما أكثر بربرتكم ! فسماوا لذلك بربراً ، وذكر أن إفريقيس قال في ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بَرَبَرَتْ كَنَعَانُ لَمَّا سُوِّقَتْهَا
مِنْ أَرْضِ الْهَلْكِ لِلْمَيْشِ الْعَجَبِ

قال : وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكثامة ، فهم فيهم إلى اليوم .

(١) ن : « يلتقط » . (٢) ن : « بصنيعي » .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾^(١) ، قال : ابن عمه ، أخي أبيه . فإن^(٢) : قارون ابن يصهر^(٣) — هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر]^(٤) — بن قاهث ، وموسى بن عمر بن قاهث ، وعمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : تزوج يصهر بن قاهث سميت^(٥) ابنة تباويت^(٥) بن بركياء^(٦) ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون — على ما قال ابن إسحاق — عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .
وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج^(٧) .

* ذكر من حضرنا ذكره من قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كان قارون ابن عم موسى .

(١) سورة القصص ٧٦ في الأصول : « قال » ، والأوجه ما أثبت من التفسير .

(٢) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح والتفسير ، « سميت » .

(٥) التفسير « بتأديث » . (٦) التفسير : « بركياء » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فيني عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صورته (١) في التوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيرا ، كما وصفه الله عز وجل ، فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ، يعني بقوله : ﴿ تَنُوءُ ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن خيشمة في قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ قال : نجد مكتوبا في الإنجيل : مفاتيح قارون وقمرستين بفلاغرا عجلة ، ما يزيد مفتاح منها على إصبع ؛ لكل مفتاح منها كتر .

حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا هشيم (٢) ، قال : أخبرنا إسماعيل بن

(١) « ن » « صورته » . (٢) في ط : « هشام » ؛ والصواب من التفسير ، وهو هشيم بن بشير بن الغاسم ؛ ذكره ابن حجر فيمن أخط عن إسماعيل بن سالم . والله تهادب التهادب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتَهُ بِالْعُصْبَةِ﴾، قال: كانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين بغلا^(١).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش عن خيشمة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا، كل مفتاح منها لباب كتر معلوم، مثل الإصبع، من جلود.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن خيشمة، قال: كانت مفاتيح قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على ستين بغلا أغرَّ محجل. فبغى عدو الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة^(٢) ماله.

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم في الثياب شبراً. كذلك^(٣) حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: حدثنا حفص ابن غياث، عن ليث، عن شهر بن حوشب.

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوه عنه، وأمروه بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤). وعنى بقوله: ﴿وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: لا تنس في دنياك أن تأخذ نصيبك^(٥) فيها لآخرتك، فكان جوابه إياهم جهلا منه، واغتراراً بجم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قال لهم: إنما أوتيت ما أوتيت من هذه الدنيا على علم عندي فقيل: معنى ذلك: على خير عندي، كذلك روى ذلك عن قتادة.

وقال غيره: عني بذلك: لولا رضاء الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاق).

(٢) س : « لكثرة ».

(٣) ا : « كالتى » . (٤) سورة القصص ٧٦ ، ٧٧ . (٥) ح : « بنصيبك » .

هذا ، قال الله عز وجل مكذباً قبله : ﴿ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾^(١) للأموال. وارو كان الله إنما يعطى الأموال والدنيا من يعطيها لها لرضاه عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك من أهلكت من أرباب الأموال الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعه عن جهله ، وبغية على قومه بكثرة ماله عظة من وعظه ، وتذكير من ذكره بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تمادى في غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه في زبنته راكباً برذوناً أبيض مسرجاً بسرجه الأرجوان ، قد لبس ثياباً معصفرة ، قد حمل معه من الخواري بمثل هيئته وزبنته على مثل برذونه ثلثمائة جارية وأربعة آلاف من أصحابه .

وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزبنته من أصحابه سبعين ألفاً . ٥٢١/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، قال : على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم^(٢) المعصفرة^(٣) . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زبنته مثل الذى أوتيته ، فقالوا : ﴿ يَا آيَاتُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(٤) ، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهل العلم بالله فقالوا لهم : ويلكم أيها المتمنون مثل ما أوتي قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثواب الله وجزاءه أهل طاعته خير لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال ، يقول الله : ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾^(٥) ، يقول : لا يلقى مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيل ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

• • •

(٢) ن : « وعليهم » .

(١) سورة القصص ٧٨

(٣) في التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق) : « المعصفرات » . (٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

فلما عتا الخبيث وتمادى في غيِّه، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عزَّ وجلَّ من الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساق إليه شحَّه به أليم عقابه، وصار به عبرة للغابرين^(١) وعظة للباقيين .

فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارونُ موسى فصالحه عن كلِّ ألف دينار ديناراً ، ٥٢٢/١ وعلى كلِّ ألف درهم درهماً ، وعلى كلِّ ألف شيء شيئاً ، أو قال : وكلِّ ألف شاه شاةً — قال أبو جعفر الطبري : أنا أشدُّ — قال : ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بنى إسرائيل ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إن موسى قد أمركم بكلِّ شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا ، فرنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تَجِثُوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جُعلاً فتصدق به بنفسها . فدعوها فجعلوا لها جُعلاً على أن تصدقه بنفسها ، ثم أتى موسى فقال^(٢) : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم^(٣) ، فخرج إليهم وهم في بَرَّاح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل ، مَنْ سرق قطعنا يده ، ومن افترى جلدناه ثمانين ، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت — أو قال : رجمناه^(٤) حتى يموت — قال أبو جعفر أنا أشك — فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال : وإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال : ادعوها ، فإن قالت فهو كما قالت ، فلما أن جاءت قال لها موسى : يا فلانة ، قالت : لبيك ! قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا^(٥) ، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك بنفسى ، فوثب فسجد وهو بينهم ، فأوحى إليه : مرُّ الأرض بما شئت ، ٥٢٣/١ قال : يا أرض خذيني ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذيني فأخذتهم إلى أعناقهم ، ثم قال : يا أرض خذيني ، فأخذتهم إلى أعناقهم ،

(١) س : « الغابرين » . ن : « للمعتبرين » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط والتفسير : « فقال لموسى » .

(٣) ١ ، ح ، ن ، والتفسير : « وتنهاهم » . (٤) وكذا في ١ ، وفي ط « أو رجمناه » .

(٥) كذا في ١ والتفسير ؛ وفي ط : « لا ، كذبوا » .

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خليمهم ، فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : [يا موسى] ^(١) يقول لك عبادي : يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً جيبياً ، قال : فذلك قوله : ﴿ فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينتته أنه خرج على دواب شقمر عليها ^(٢) سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبغة بالبهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادني فيه : قال : فأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعاهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ^(٤) أما لو إياي دعوا لأجبتهم ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى في ناحية بني إسرائيل وقارون في ناحية ، قال : فدعا بغية كانت في بني إسرائيل ، فجعل لها جعلا على أن ترمي موسى بنفسها ، فدركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدث من سرق ؟ قال : أن تقطع يده ، قال : فإن كنت أنت ؟ قال نعم ، قال : فما حدث من زنا ؟ قال : أن يربم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ،

٥٢٤/١

(١) تكملة من اوالنضير . (٢) ن : « عليين » .

(٣) سورة القصص : ٧٩-٨٢ ، والخبر في النضير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .

(٤) ح : « وقد دعوا غيري ولم يجهم » . (٥) الخبر في النضير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويلك ! بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى فقال :
 أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدق قارون ؟ قالت : اللهم إذ نشدتنى ،
 فأني أشهد أنك برىء ، وأنتك رسول الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي
 جعلاً على أن أرميك بنفسى ، قال : فتوب موسى فخرّاً ساجداً ، فأوحى
 الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : خليم ،
 فأخذتهم حتى بلغوا الحقو ، قال ﴿ يا موسى ، قال : خليم فأخذتهم حتى
 بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خليم ، قال : فذهبوا ، قال :
 فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه ، أما لو استغاث بي ، لأجبتُه
 ولأغثته (١) .

حدثنا بشر بن هلال الصراف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ،
 قال : حدثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من
 الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها (٢) وجلسنا إليه ، فذكر
 سليمان بن داود و ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
 مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٣) . قال : ثم سكت عن حديث
 سليمان ، فقال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان قد
 أوتي من الكنوز ما ذكره الله في كتابه : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُ أَرْتَمُوا بِالْمُغْضَبَةِ أَوْ لِي
 الْقُوَّةُ ﴾ (٤) . فقال : إنما أوتيته على علم عندي . قال : وعاد موسى وكان مؤذياً
 له ، فكان موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل باب
 داره من ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان الملاء من
 بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ،
 فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالخنا
 مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ١ : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ - ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسأى ، على أن تأتيني والملا من بنى إسرائيل عندى فتقولى : يا قارون ألا تنهى
عنى موسى ! قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاءه الملا من بنى إسرائيل
أرسل إليها فجاءت ، فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ،
فقال فى نفسها : لا أجد اليوم توبة أفضل من ألا أؤذى رسول الله وأعذب
عدو الله ، فقالت : إن قارون قال لى : هل لك أن ^(١) أمولك وأعطيك وأخلطك
بنسأى على أن تأتيني والملا من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى
عنى موسى ! فلم أجد توبة أفضل من ألا أؤذى رسول الله ، وأعذب عدو
الله . فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يدى قارون ، ونكس رأسه ، وسكت
عن الملا ، وعرف أنه قد وقع فى هلكة ، فشاع كلامها فى الناس ، حتى بلغ
موسى ، فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى ، وقال :
يا رب عدوك لى مؤذ ، أراد فضيحتى وشيئى ، يا رب سلطنى عليه . فأوحى
الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل
عليه عرف الشر فى وجه موسى له ، فقال له : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض
خذيهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعيبين ،
وجعل يقول : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت داره ^(٢)
وساخت ، وخسف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى :
يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت داره ، وساخت
وخسف بقارون وأصحابه ^(٣) إلى سرهم ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ،
ارحمنى ! قال : يا أرض خذيهم ، فخسف به وبيداره وأصحابه ، قال :
وقيل لموسى : يا موسى ، ما أفظك ، أما وعزتى لو إياى نادى لأجبتة ^(٤) !

٥٢٦/١

٥٢٧/١

حدثنا بشر بن هلال ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران
الجوفى ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لا أعبدُ الأرض لأحد بعدك أبداً .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، ﴿ فحَسَفْنَا

(١) ح : والتفسير « هل لك فى » . (٢) ن : « أرضه » .

(٣) ح : « وساخت بقارون وخسف به وأصحابه » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) :

بِهِ وَيَذَرُهُ الْأَرْضَ ۖ ، ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

• • •

قال أبو جعفر: فلما نزلت نعمة الله بقارون حميد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقه والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنون ما هو فيه من كثرة المال ، والسعة في العيش على أمنيته ، وعرفوا خطأ أنفسهم في أمنيته ، فقالوا ما أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ ﴾ (١) ، فصرّف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس نحسف بنا كما خسف به وبهم . فنجى الله تعالى من كل هول وبلاء نبيه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهد من بنى إسرائيل ، وقتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالفرق بعضاً ، وبالخسف بعضاً ، وبالسيف بعضاً ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم ، وعظم (٢) خلقهم وأجسامهم ، فلم تغن [عنهم] (٣) أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئاً ؛ إذ كانوا يمجّدون بآيات الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، ويتخذون عباد الله لأنفسهم حولاً ، وحقاق بهم ما كانوا منه آمنين ؛ فعوذ بالله من عمل يقرب من سخفنه ، وترغب إليه في التوفيق لما يلين من محبته ، ويزلف إلى رحمته !

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ١ .

قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان في صحف موسى ؟ قال : كانت عيراً
كلتها ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم
يفرح ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لم يعمل !

وكان تدبير يوشع أمر بني إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفي
يوشع ، كله في زمان منوشهر عشرين سنة ، وفي زمان فراسياب سبع سنين .

• • •

ونرجع الآن إلى :

ذكر القائم بالملك ببابل من الفرس بعد منوشهر

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة^(١) أعمار ملوكهم .
ولما هلك مَنُوشِهْرُ الملك بن منشخورنر^(٢) ، قَهَرَّ فراسياب^(٣) ابن فشنج
ابن رستم بن ترك على خنيارث^(٤) ومملكة أهل فارس ، وصار - فيما قيل -
إلى أرض بابل ، فكان يُكَيِّرُ المقام ببابل وبمِهْرَبْجان قَدَاقَ ، فأكثر الفساد
في مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون في إهلاك البرية ،
وإنه عظمُ جورهِ وظلمهِ ، وخرَّبَ ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار
والقنْيَ ، وقَحَطَ الناس في ستة خمس من ملكهِ ، إلى أن خرج عن مملكة أهل
فارس ، ورُدَّ إلى بلاد التُّرك ، فقارت المياه في تلك السنين ، وحالت الأشجار
المشرفة .

ولم يزل الناس منه في أعظم البلية ، إلى أن ظهر زو بن طهما سب
وقد يلفظ باسم « زو » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سفان ،
ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول^(٥) بعضهم : راسب بن طهما سب بن كانجو بن
زاب^(٦) بن أرفس^(٧) بن هراسف بن ونديج^(٨) بن أريج^(٨) بن نوذ وجوش^(٨) ٥٣٠/١
ابن منسوا^(٨) - بن نوذر بن منوشهر .

وأم زو مادول ابنة وامن بن واخرجا بن قود^(٩) بن سلّم بن أفريدون .
وقيل : إن منوشهْر كان وجد في أيام ملكه على طهما سب بسبب جناية
جناها ، وهو مقيم في حدود التُّرك لحرب فراسياب ، فأراد منوشهْر قتله
بسبب ذلك ، فكلَّمه في الصّبح عنه عظماءُ أهل مملكته . وكان من عدل

(١) س : « مدد » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « فراسيات » . (٤) ا ، ن : « خنيارث » .

(٥) ط : « ويقال » ، وما أتتته من ا .

(٦) ا : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .

(٧) ا : « أرفس » . (٨) كذا في ا . (٩) ا : « نوذ » ، ن : « نوذ » .

مُنُوْشَهْر - فِيمَا ذَكَر - أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَسُوِّي بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالْقَرِيبِ
وَالْبَعِيدِ فِي الْعُقُوبَةِ ، إِذَا اسْتَوْجِبَهَا بَعْضُ رَعِيَّتِهِ عَلَى ذَنْبِ أَتَاهُ - فَأَبَى إِجَابَتِهِمْ
إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا فِي الدِّينِ وَهَنٌْ ، وَلَكِنْكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ
عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْكُنُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَمْلَكَتِي ، وَلَا يُقِيمُ بِهِ ، فَتَفَاهَ عَنْ مَمْلَكَتِهِ
٥٣١/١ فَشَخَّصَ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، فَوَقَعَ إِلَى نَاحِيَةِ وَامِنْ ، فَاحْتَالَ لِابْنَتِهِ وَهِيَ مَحْبُوسَةٌ
فِي قَصْرِ مَنْ أَجَلَ أَنْ الْمُنْجَمِينَ كَانُوا ذَكَرُوا لِوَامِنْ أَبِيهَا أَنَّهَا تَلِدُ وَلَدًا يَقْتُلُهُ ،
حَتَّى أَخْرَجَهَا مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي كَانَتْ مَحْبُوسَةً فِيهِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلَتْ مِنْهُ بَرَّوً .

ثُمَّ إِنْ مِئُوْشِهْرٌ أَذِنَ لَطَهْمَاسَبَ بَعْدَ أَنْ انْقَضَتْ أَيَّامُ عُقُوبَتِهِ فِي
الْعُودِ إِلَى خَيْنَارْتِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ ، فَأَخْرَجَ مَادُولَ ابْنَتِهِ وَامِنْ بِالْحِيلَةِ مِنْهَا وَمِنْهُ فِي
إِخْرَاجِهَا مِنْ قَصْرِهَا مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى مَمْلَكَةِ أَهْلِ فَارِسَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زَوْجًا بَعْدَ
الْعُودِ إِلَى بِلَادِ إِيرَانَكْرَدِ (١) ،

ثُمَّ إِنْ زَوْجًا - فِيمَا ذَكَر - قَتَلَ جَدَّهُ ، وَأَمَّنَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ التُّرْكِ ،
وَطَرَدَ فَرَأْسِيَابَ عَنْ مَمْلَكَةِ أَهْلِ فَارِسَ ، حَتَّى رَدَّهَ إِلَى التُّرْكِ بَعْدَ حُرُوبٍ جَرَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَقَتَالَ ، فَكَانَتْ غَلَبَةَ فَرَأْسِيَابَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى إِقْلِيمِ بَابِلِ انْتَهَى
عَشْرَةَ سَنَةٍ ، مِنْ لَدُنْ تَوَفَى مِئُوْشِهْرٌ إِلَى أَنْ طَرَدَهُ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ زَوْجُ بِنِ
طَهْمَاسَبَ إِلَى تَرْكِسْتَانَ .

وَذَكَرَ أَنَّ طَرْدَ زَوْجِ فَرَأْسِيَابَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَمْلَكَةِ أَهْلِ فَارِسَ
فِي رَوْزَابَانَ مِنْ شَهْرِ آبَانَامَاهُ ، فَاتَّخَذَ الْعَجِيمَ هَذَا الْيَوْمَ عِيدًا لَمَّا رَفَعَ عَنْهُمْ فِيهِ
مِنْ شَرِّ فَرَأْسِيَابَ وَعَسَفَهُ وَجَعَلُوهُ الثَّلَاثَ مِنْ أَعْيَادِهِمُ النَّوْرُوزَ وَالْمِهْرَجَانَ .

وَكَانَ زَوْجُ مُحَمَّدٍ فِي مَمْلَكِهِ ، مُحَسَّنًا إِلَى رَعِيَّتِهِ ، فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ مَا كَانَ فَرَأْسِيَابَ
٥٣٢/١ أَفْسَدَ مِنْ بِلَادِ خَيْنَارْتِ ، وَمَمْلَكَةِ بَابِلِ وَبَنَاءِ مَا كَانَ هُدْمَ مِنْ حِصُونِ ذَلِكَ ،
وَنَشَلَ (٢) مَا كَانَ طَمَّ (٣) وَغَوَّرَ مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْقَنْيِ ، وَكَرَى مَا كَانَ انْدَفَنَ مِنْ
الْمِيَاهِ حَتَّى أَعَادَ كُلَّ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَر - إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَ [عَلَيْهِ] (٤) ، وَوَضَعَ

(١) كَذَا فِي ط ، وَفِي : « إِيكْرَانَكْرَدِ » . (٢) أَيْ أَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنْ تَرَابٍ .

(٣) طَمَّ : دَفَنٌ ، وَفِي : « طَمَّرَ » ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا . (٤) مِنْ أ .

عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه ^(١) عنهم ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرت معاش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب ، وأمر فبنيت على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة ، وكورها كورة ، وسماها الزوابي ، وجعل لها ثلاثة طَسَاسِيج : منها طَسَاسِيج ^(٢) الزاب الأعلى ، ومنها طَسَاسِيج الزاب الأوسط ، ومنها طَسَاسِيج الزاب الأسفل ، وأمر بحمل بزور ^(٣) الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذر ما يبذر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أول من اتخذ له ألوان الطيبخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب ، مما أوجف عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون في عمارة ما أخطر به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أثرط ^(٤) بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب ^(٥) بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبة بعض نسابي الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسب ٥٣٣/١ بن أشناس ^(٦) بن طهموس بن أشك بن ترس ^(٧) بن زحر ^(٨) بن دودسرو ^(٩) بن مَنوشِهَرُ الملك - مؤزراً له على ملكه .

ويقول بعضهم : كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤزراً [له] ^(١٠) معيناً .

(١) كذا في أ ، و ق ط : « ودفعه » .

(٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارس مغرب .

(٣) البزور : كل حب يبذر للنبات ؛ ويجمعه بزور .

(٤) أ : « أثرط » ، ح ، ن : « أنوط » .

(٥) أ ، س : « سراسب » .

(٦) كذا في أ ، ح ، و ق س : « أشناس » .

(٧) كذا في أ ، ن ، و ق ح : « فوس » ، و ق ط مهمل .

(٨) كذا في ط ، و ق ح ، س : زحر ، ، و ق ن : « زجر » ،

(٩) في أ ، ح ، ن ، و ق س : « دودسرو » و ق ط : « دودسرو » .

(١٠) تكلمة من أ .

وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس ، غير أنه لم يملك ، فكان جميع ملك زو إلى أن انقضى ومات — فيما قيل — ثلاث سنين .

• • •

ثم ملك بعد زو كيقباز ، وهو كيقباز بن زاغ بن نوحياه^(١) بن منشو^(٢) بن نوذر بن ميتوشهر . وكان متزوجاً بفرتك^(٣) ابنة تدرسا^(٤) التركي ، وكان تدرسا من رموس الأتراك وعظماهم ، فولدت له كى إفته ، وكى كاوس ، وكى أرش^(٥) ، وكىه أرش ، وكيفاشين وكيبية ، وهؤلاء الملوك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة .

٥٣٤/١

وقيل إن كيقباز قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدونخون بلاد الترك ومجتهدون في إصلاح بلادنا ، حذبون عليها ، وأنه قد رمياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلاد بأسمائها ، وحدها بحدودها ، وكور الكور ، وبين حير كل كورة منها وحریمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجنود ، وكان — فيما ذكر — كيقباز يشبه في حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبره في نفسه بفرعون .

٥٣٥/١

وقيل إن الملوك الكبية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقبياً في حد ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بلخ ، لمنع الترك من تطرق شيء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

• • •

ونرجع الآن إلى :

(١) كذا في أ ، ن . (٢) كذا في أ ، وفي س : « مشر »

(٣) كذا في أ ، وفي ح ، س : « بقرتك » ، وفي ن : « بقرتك » ، وفي ط مهمله .

(٤) كذا في أ ، ن . وفي س : « تدرشيل » ، وفي ط مهمله .

(٥) س ، ن : « كى لفس » .

ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع
ابن نون والأحداث التي كانت في عهد زو وكيسقباد

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفة من أمتنا
وغيرهم أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا ، ثم
حزقيل بن بوذي^(١) من بعده ، وهو الذي يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما
سمى حزقيل^(٢) بن بوزي ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد ، وقد كبرت وعقيمت ،
فوجه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر
الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٣) .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم
قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب
ناساً من بني إسرائيل بلاءٌ شدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا
قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقيل : إن قومك صاحبوا
من البلاء ، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأى راحة لهم في الموت !
أيظنون أنى لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلق إلى جبانة كذا كذا
فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ —
فقم فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرقت ؛ فرقتها الطير والسباع ،
فناداها حزقيل ، فقال : يا أيها العظام النخيرة ، إن الله عز وجل

(١) ، والتفسير : « بوزي » ، وكذلك حيث ورد فيما يل .

(٢) حزقيل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .

(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

يأمرُك أن تجتمعى . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً ، ثم نادى ثانية (١) حزقيل فقال : أيتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تكسى اللحم ، فاكست اللحم ، وبعد اللحم جلدا ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقيل الثالثة فقال : أيتها الأرواح ، إن الله يأمرُك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبروا تكبيرة واحدة (٢) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوردان (٣) قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفصح ، فناداهم ملك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فأتوا حتى هلكوا ، ولبت أجسادهم ، فرَّبهم نبيٌّ يقال له هزقيل (٤) ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يلكوى شِدْقَه وأصابعه ، فأوحى الله إليه : يا هزقيل ، أتريد أن أريك كيف أحبيهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكُّره أنه تعجَّب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى بأيتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تجتمعى ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : بأيتها العظام ؛ إن الله يأمرُك أن تكسى لحماً فاكست لحماً ودمماً وثيابها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

(١) فى ١ : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨

(٣) ضبطها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقيل بها .

(٤) التفسير : « حزقيل » .

فنادى : يَا أَيُّهَا الْأَجْسَاد ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومِي ، فقاموا^(١)

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فرعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا : سبحانك ربنا وبمحمدك ٥٣٨/١ لا إله إلا أنت ، فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عنبسة ، عن أشعث^(٢) ، عن سالم التّصريّ ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوّى^(٣) ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : فلما انقضى عمر قال : رأيت قول أحدكما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذي أحيى الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد في كتابنا^(٤) حزقيل ، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم ، فقالا : أما تجد في كتاب الله ﴿ وَرَسُولًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥) ، فقال عمر : بلى ، قالوا وأما إحياء الموتى فسنحدثك أن نبى إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوا عليهم حائطاً ، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم ، فقال : ما شاء الله ! فبعثهم الله له ، فانزل الله في ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، ٥٣٩/١

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٢٧٠

(٢) ١ ، ن والتفسير : « أشعث بن أسلم البصرى » وانظر حواشى التفسير .

(٣) خوّى الرجل في سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبه .

(٤) ١ ، والتفسير : « كتاب الله » .

(٥) سورة النساء : ١٦٤ .

(٦) الخبر في التفسير ٥ : ٢٦٨ - ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم
— يعنى فى بنى إسرائيل — حزقييل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذى
دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ . . . الآية (١) .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من
حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سقم
كان يصيب الناس حذراً من الموت (٢) وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من
البلاد قال الله لهم : موتوا ، فاتوا جميعاً ، فعمد أهل تلك البلاد فحفظوا (٣)
عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن
يغيّبوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فرتبهم
حزقييل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقيل
له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقيل له : قفل : أيتها العظام
الرميم ، التى قد رمت وبلت ، ليرجع كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ،
فنظر إلى العظام تتوالب يأخذ بعضها بعضاً ، ثم قيل له : قل أيها اللحم
والمصّب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك (٤) ، قال فنظر إليها والعصب
يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استوا خلقاً ليست فيهم
الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتنشأه من السماء شئ كربه ، حتى
غشي عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم
الله (٥) !

٥٤٠/١

فلم يذكر لنا مدة مكث حزقييل فى بنى إسرائيل .

• • •

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٤٣

(٢) ن : « حذر الموت » .

(٣) م : « فحفظوا . . . حفيرة » ، ن : « فحفظوا » .

(٤) ا : « بأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إيلياس واليسع عليهما السلام]

ولما قبض الله حزقييل كثرت الأحداث - فيها ذكر - في بني إسرائيل ،
وتركوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إليهم
فيها قيل : إيلياس بن ياسين بن فنحاص ^(١) بن العيزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق :
ثم إن الله عز وجل قبض حزقييل ، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ،
ونسوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ،
فبعث الله إليهم إيلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران
نبياً ، وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد
ما نسوا من التوراة . فكان إيلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له
أحاب ، وكان اسم امرأته أزل ^(٢) ، وكان يسمع منه ويصدقه ، وكان
إيلياس يقيم له امرأة ، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه
من دون الله ، يقال له : بعل . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض
أهل العلم يقول : ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد
﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِأَقْوَمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ - إلى قوله :
﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ ^(٣) - فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ،
وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة
بالشأم ، كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك ، الذي كان إيلياس
معه ، يقوم له بأمره ^(٤) ، ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً يا إيلياس ، والله

(١) في أبي الفدا : « فينحاس » ، وضبطه « بقاء مشربة بياء موحدة » ، ثم ياء مشتاة من تحتها مائة ، ثم نون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف مائة وسين مهملة .

(٢) ح : « أريك » ، س : « أريك » ، ن : « أزل » . وفي التفسير : « إزبل » .

(٣) سورة الصفات : ١٢٣ - ١٢٦ .

(٤) ا والتفسير : « يقوم له أمره » .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلاناً وفلاناً فعد^(١) ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون^(٢) ، مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عبّد الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك ، فغيّر ما بهم من نعمتك . أو كما قال^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لي أنه أوحى إليه : إننا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك . فقال إلياس : اللهم فأمسك عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والذئب والذئب والشجر ، وجهد الناس جهداً شديداً .

٥٤٢/١

وكان إلياس — فيما يذكرون — حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان ، فطلبوه^(٤) ، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضرٌّ ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضر الذي كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيناً ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبير ، وكان اليسع غلاماً شاباً . فيزعمون — والله أعلم — أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلك كثيراً من الخلق^(٥) ممن لم يعص ، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « يعد » ، وفي التفسير : « يعدد » .

(٢) ١ : « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .

(٥) ١ : « الناس » .

بنى إسرائيل من البهائم واللدواب والطيور والموام والشجر ، بحبس المطر عن
 بنى إسرائيل . فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال : أى ربّ ، دعنى أكن
 أنا الذى أدعوكم به ، وأكن أنا الذى آتيتهم بالفرج مما هم فيه من البلاء
 الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا ويتزعموا^(١) عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل
 له نعم ، فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ،
 وهلكت البهائم واللدواب والطيور والموام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل
 وغرور - أو كما قال لهم - فإن كنتم تحبسون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله
 عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم
 هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ؛ فإن استجابت لكم فذلك
 كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرج
 عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به
 إلى الله من أحداثهم التى لا يرضى ، فدعوها فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم
 ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه^(٢) من الضلالة والباطل ، ثم
 قالوا لإلياس : يا إلياس ؛ إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس
 بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله
 على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترمى إليه السحاب ، ثم أدرجت ، ثم أرسل
 الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ،
 فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أحب ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس
 من كفرهم دعا ربّه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له - فيما يزعمون : انظر
 يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فاجاعك من شئء فاركبه
 ولا تبه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد
 الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرس من نار ، حتى وقف بين
 يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ، يا إلياس ، ما تأمرنى ؟
 فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

٥٤٣/١

٥٤٤/١

(١) ن : «ويقلوا» .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : «عليه» .

المطعم ، والمشرّب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً^(١) .

* * *

ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل - فما حدثنا ابن خُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لي عن وهب بن منبه قال : ثم نبئ فيهم - يعني في بني إسرائيل - بعده يعني [بعد]^(٢) إلياس - اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوٌّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأسُ هرة ميته ، فإذا صرّخت في التابوت بصُراخ هرة أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملكٌ يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم - فيما يذكرون - يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحب ، فيخرج الله له ما يأكل [منه]^(٣) سنة^(٤) وهو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل ؛ هو وعياله سنة^(٥) ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم ، نزل^(٦) بهم عدوٌّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحوا به فقتلوا حتى استلب^(٧) من أيديهم ، فأق ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فالت عنقه فأت كدأ عليه ، فرج أمرهم بينهم^(٨) واختلف ووطنهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم ، واختلف من أحوالهم يتأدون أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسلط^(٩) الله عليهم مَنْ يتنم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله [عند

٥٤/١

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .

(٣) ا ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : « نهض » . (٥) ا ، ن : « استبى » .

(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختلف » .

(٧) ا : « فيسلط » .

ذلك [(١) شر من بَعَّاهم سوءاً ؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، ورد عليهم تابوت الميثاق (٢) .

• • •

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون - التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالي - أربعمائة سنة وستين سنة . فكان أول من سلط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له : كوشان ، فقتهرهم وأذلهم ثمانئى سنين ، ثم تنقدهم (٣) من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل (٤) بن قيس - فقام بأمرهم فيما قيل - أربعين سنة ، سلط عليهم ملك يقال له جعلون (٥) فللكم ثمانئى عشرة سنة ، ثم تنقدهم منه - فيما قيل - رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا (٦) الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين (٧) ، فللكم عشرين سنة ، ثم تنقدهم - فيما قيل - امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبورا (٨) فدبر أمرهم - فيما قيل - رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سلط عليهم قوم (٩) من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فللكم سبع سنين ، ثم تنقدهم منهم رجل من ولد نفتالى بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش (١٠) ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك (١١) بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولع بن فوا بن خال أبيملك . وقيل إنه ابن عمه - ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

(١) من أ

(٢) ١ : « انتقدهم » .

(٤) ١ : « عتيل » .

(٥) ط : « جعلون » ، وما أثبت من أ

(٦) ١ : « أعور بن حنا » .

(٧) ١ ، ن : « ياقيس » .

(٨) ١ ، س ، و ف ح : « ديوار » .

(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .

(١٠) ١ ، ن : « يرانس » .

(١١) ١ ، ن : « أيتك » .

أمهم بعد تولع رجل من بني إسرائيل يقال له: يائير^(١) اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانى عشرة سنة ، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يمشون^(٢) ، وهو رجل من بني إسرائيل سبع سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم من بعده كيرون^(٣) — ويسميه بعضهم عكرون — ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بني إسرائيل عشرين سنة ، ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبر لأمرهم بعد شمسون — فيما قيل — عشر سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالى الكاهن ، وفى أيامه غلب أهل غزة وعسقلان على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث سمويل نبيا فدبر سمويل^(٤) أمرهم — فيما ذكر — عشر سنين . ثم سألوا سمويل حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه فى سبيل الله ، فقال لهم سمويل ما قد قص الله فى كتابه العزيز .

(١) : « يائير » ، ن : « يائير » .

(٢) : « يمشون » .

(٣) : « كيرون » .

(٤) : « سمويل » . ، وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبير شمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو
ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خير شمويل بن بالي أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ،
وأذلتهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالهم ، وسبوا أذراريتهم ،
وعلبوهم ^(١) على التابوت الذي فيه السكينة والبقية ^(٢) مما ترك آل موسى وآل
هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا ^(٣) إلى الله عز وجل في أن
يبعث لهم نبياً يقيم أمرهم .

فحدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة
جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ،
فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبط
النبوة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها فحبسوها في بيت ،
رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل في ولدها ،
فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً ، فولدت غلاماً فسمته سمعون ^(٤) ،
تقول : الله سمع دعائي . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس ،
وكفله شيخ من علمائهم ، وتبناه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً ، أتاه
جبريل والغلام نأى إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن ^(٥) عليه أحداً غيره فدعاه
بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فزعم إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وعلبوا » .

(٢) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « بقية » .

(٣) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « رغبوا » .

(٤) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « سمعون » .

(٥) كذا في ا ، وفي ط : « لا ياتمن » .

دعوتى! فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام، فقال: يا بنى، ارجع فم، فرجع الغلام فنام. ثم دعاه الثانية فلباه^(١) الغلام أيضاً، فقال: دعوتى! فقال ارجع فم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجيبى، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً. فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم يَألك^(٢) وقالوا: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، قال لهم سمعون: عسى إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا^(٣).

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية، فدعا الله فأتى بعضاً، تكون مقداراً على طول الرجل الذى يبعث فيهم ملكاً، فقال: إن صاحبكم يكون طوله هذه العصا، ففاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها، وكان طالوت رجلاً سقاءً يستقى على حمار له، فضل جماره، فانطلق يطلبه في الطريق، فلما رأوه دعوه ففاسوه بها فكان مثلها، وقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(٤) قال القوم: ما كنت قط أكذب منك الساعة، ونحن من سببنا المملكة، وليس هو من سببنا المملكة، ولم يؤت أيضاً سعة من المال فنتبعه لذلك، فقال النبي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٥)، فقالوا: فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أن هذا ملك، قال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾^(٥). والسكينة طيست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاه الله موسى، وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح—فيما بلغنا—من در وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورؤضة الألواح، فأصبح التابوت وما فيه في دار

(١) ط: «فأناه»، وما أثبت من أ.

(٢) كذا في التفسير، وفي ط: «ولم يبالك».

(٣) إلى هنا ينتهى الخبر في التفسير ٥: ٢٩٨، ٢٩٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧، والخبر في التفسير ٥: ٣١٩. (٥) سورة البقرة: ٢٤٨.

طالوت ، فأمنوا بنبوّة سمعون ، وسلّموا الملك لطلوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعتّه عند طالوت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقروا غير راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، يخرج (١) يسير بين يدي الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو منّ لقي ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْمَئُءْ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ (٢) وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هبةً من جالوت ، فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفاً ، فمن شرب منه عطش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ ، الذين يستيقنون ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) . فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وسبعمائة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلثمائة وتسعة (٣) عشر عدة أهل بدر .

حدثني المثني ، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلي الذي ربي شمویل ابنان شابان ، أحدثا في القرّبان

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) في ١ ، : « بضعة » .

شيئاً لم يكن فيه كان مسوِّط القربان الذى كانوا يسوطونه به كلابسين ، فما أخرجوا كان للكاهن الذى يسوطه ، فجعله ابناه كلابيب ، وكانا إذا جاءت النساء يصلين فى القدس يتشبان بهن . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذى كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتاً يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ، فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فم . فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضاً ، فقال : لبيك ؛ مالك دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فم ، فإن سمعت شيئاً فقل : « لبيك » مكانك ، « مررتى فافعل » ، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فرنى أفعل ، قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حبّ الولد من أن يزجر ابنيه أن يحدثا فى قدسى وقربانى ، وأن يعصيانى ، فلا يزعن منه الكهانة ومن ولده ، ولاهلكته وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزع لذلك فزعاً شديداً ، فسار إليهم عدوٌّ من حوله فأمر ابنيه أن يخرجوا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى لينصروا به (١) . فلما همسوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره (٢) وهو قاعد على كرسية : أن ابنك قد قتل ، وأن الناس قد انهزموا ، قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشبهت وقع على قفاه من كرسية فات ، وذهب الذين سبوا التابوت حتى وضعوه فى بيت آهنتهم ، ولم صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم تحته ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسمروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقى تحت التابوت ، فقال بعضهم لبعض : أليس (٣) قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شيء ! فأخرجوه من بيت آهنتكم . فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجع فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سنى بنى إسرائيل : لا تزالون

(١) س : « هما » ، التفسير : « لينصروا به » .

(٢) ان : « خبره » .

(٣) ن : « الصنم » .

تروُن ما تكرهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه من قريبتكم . قالوا : ٥٥٣/١
كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين ، لهما أولاد لم يوضع عليهما
نيرٌ قط ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما
وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مذعنتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم
ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرنا نيريهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ،
ف فعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا^(١) في أدنى أرض بني إسرائيل ،
كسرنا نيريهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعناه في خربة فيها حصاد من
بني إسرائيل ، ففرع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه^(٢)
أحد إلا مات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا^(٣) ، فن أنس من نفسه قوة
فليدُن منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقيدُر أحد على أن يدنو منه ؛ إلا
رجلان من بني إسرائيل ، أذن لهما بأن يحملاه إلى بيت أمهما ، وهي أرملة ،
فكان في بيت أمهما ، حتى ملك طالوت ، فصلح أمر بني إسرائيل مع
أشمويل^(٤) . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل
الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوف من حوانا ، فيكون لنا
ملك نفرع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعث لهم طالوت ملكا وادهنه
بدهن القدس ، فضلت حمر لأني طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاءا
إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إن الله قد بعثك ملكا على بني إسرائيل ،
٥٥٤/١ قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أن سيطي أدنى أسباط
بني إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سيطي !
قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي ؟ قال : بلى ، قال : فبأية آية ؟
قال : بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره ، وإذا كنت في مكان كذا وكذا
نزل عليك الوحي . فدهنه بدهن القدس ، وقال لبني إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

(١) ن : « ووضعناه » .

(٢) ن : « إليه » .

(٣) كذا في ا ، ن والتفسير ، وفي ط : « عرضوا » .

(٤) إل هنا ، الخبر في التفسير ٥ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ سُلْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (١).

رجع الحديث إلى حديث السدي. ﴿وَأَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً﴾ (٢) فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر
ابناً له ، وكان داود أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرى
بقد آفتى شيئاً إلا صرعته ، قال : أبشر يا بني ، إن الله قد جعل رزقك في
قد آفتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشر يا بني ،
فإن هذا خير يعطيكه الله ، ثم أتاه يوماً آخر ، فقال : يا أبتاه إنى لأمشي
بين الجبال فأصبح فلا يبقى جبل إلا سبّح معي ، فقال : أبشر يا بني ، فإن
هذا خير أعطاكه الله— وكان داود راعياً ، وكان أبوه خلفه يأتي إلى أبيه وإلى
إخوته بالطعام — فأتى النبي عليه السلام بقرن فيه دهن وتنور من حديد ،
فبعث به إلى طالوت ، قال : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن
على رأسه ، فيغلى حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه
كهية الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملأه . فدعا طالوت بني إسرائيل ،
فجرّبهم به فلم يوافقهم منهم أحد ، فلما قرءوا قال طالوت لأبي داود : هل
بقي لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بقي ابني داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما
أتاه داود مرّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلّمه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا
جالوت ، قال : فأخذهنّ وجعلهن في مغلّته ، وكان طالوت قد قال : من
قتل جالوت زوجته ابنتي ، وأجريت خاتمه في ملكي ، فلما جاء داود وضعوا
القرن على رأسه ، فغلى حتى ادّهن منه ولبس التنور فلأه ، وكان رجلاً مسقماً
مصفراً ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبسه داود تضايقت التنور عليه
حتى تنقّض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجسّم الناس وأشدّهم ،

٥٥٥/١

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر في التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلما نظر إلى داود قُدِّفَ في قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فلم يأت
 أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها
 في القَدَافَةِ ، كلما رفع منها حجراً سمّاه ، فقال : هذا باسم أبي إبراهيم ،
 والثاني باسم أبي إسحاق ، والثالث باسم أبي إسرائيل ، ثم أدار القَدَافَةَ فعادت
 الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسلته فصكَّ به بين عيني جالوت فنسقت رأسه ،
 ثم قتله ، فلم تزل تقتل كلَّ إنسان تصييه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بجياله أحد ،
 ٥٥٦/١ فهزمهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى
 نجاته في ملكه ، قال الناس إلى داود وأحبُّوه .

فلما رأى ذلك طالوت وجدَّ في نفسه وحسده ، وأراد قتله ، فعلم داود أنه
 يريد به بذلك^(١) ، فسجى^(٢) له زقَّ خمر في مضعه ، فدخل طالوت إلى منام
 داود وقدهرب داود ، فضرب الرقَّ ضربة فخرقه ، فسالت^(٣) الخمر منه ، ف وقعت قطرة
 من خمر^(٤) في فيه . فقال : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر !
 ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند
 رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ، ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصُرَّ
 بالسهم فعرَّفها فقال : يرحم الله داود ، هو خير مني ، ظفرت به فقتله^(٥) وظفرت بي
 فكفَّ عني ! ثم إنه ركب يوماً فوجده يمشى في البرية ، وطالوت على فرس ،
 فقال طالوت : اليوم أقتل داود — وكان داود إذا فرغ لم يدرك — فركض
 على أثره طالوت ، ففرغ داود ، فاشتدَّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت
 فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ،
 فقال : لو كان دخلها هنا لخرق بيت العنكبوت ، فخيَّل إليه فتركه .

٥٥٧/١ وطعن العلماء على طالوت في شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود
 إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يطبق
 قتله إلا قتله ، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الحبار^(٦) أن يقتلها ،

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجي الشيء : غطاه .

(٣) في أ ، ح : « فسالت » والخمر تذكر وتؤنث .

(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبتته عن أ ، ح ، س .

(٥) كذا في الأصول ، وفي ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا في أ ، وفي ط : « الحبار » .

فرحمها الخباز، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم. فتركها، فوقع في قلب طالوت التوبة وتدم، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي، وينادي: أنشد الله عبداً علم أن لي توبةً إلا أخبرني بها! فلما أكثر^(١) عليهم [ليالي^(٢)] ناداه مناد من القبور: أن يا طالوت، أما ترضى أن قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكاءً وحزناً، فرحمه الخباز فكلمه فقال: مالك؟ فقال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله: هل لي من توبة؟ فقال له الخباز: هل تدري ما مثلك؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك، فتطير منه، فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدْرَج^(٣)، فقالوا له: وهل تركت ديكاً يُسمع صوته! ولكن هل تركت عالماً في الأرض! فازداد حزناً وبكاءً، فلما رأى الخباز منه الحد، قال: أرأيتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله! قال: لا، فتوثق عليه الخباز، فأخبره أن المرأة العاملة عنده، قال: انطلق بي إليها أسألها هل لي من توبة؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت؛ إذا فنيت رجالهم علمت النساء، فقال: إنها إن رأتك غشبي عليها، وفزعت منك، فلما بلغ الباب خلّفه خلفه، ثم دخل عليها الخباز، فقال لها: أأنت أعظم الناس منة عليك؟ أنجيتك من القتل، وآويتك عندي. قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة، هذا طالوت يسألك: هل له من توبة؟ فغشبي عليها من الضرق، فقال لها: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسألك: هل له من توبة؟ قالت: لا، والله ما أعلم لطالوت توبةً، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ قالوا: نعم، هذا قبر يوشع بن نون، فانطلقت وهما معها إليه، فدعت، فخرج يوشع بن نون ينفض رأسه من التراب، فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا، ولكن طالوت يسألك: هل له من توبة؟ قال يوشع: ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلّى من ملكه، ويخرج هو وولده فيقاتلون^(٤) بين يديه في سبيل الله، حتى إذا قتلوا شداً هو فقتل؛ فعسى أن يكون

٥٥٨/١

(١) ح، س: «كثر» . (٢) تكله من أ، ح، س .

(٣) الإدلاج هنا: السير آخر الليل .

(٤) ن: «يقاتلون» .

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتاً في القبر .

ورجع طالوت أحزن ما كان ؛ رهبة^(١) ألا يتابعه ولده ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، ونحل جسمه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلاً فكلتموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له في توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهزهم فخرجوا معه ، فشدوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم شدَّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبياً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هي النبوة ؛ آتاه نبوة شمعون وملك طالوت .

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال^(٢) بن ضرار بن محرت^(٣) بن أفيع بن أيش^(٤) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٥) .
وقال ابن إسحاق : كان النبي الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

(١) س : « قط رهبة » .

(٢) ن : « أنيال » .

(٣) ا والتفسير : « يحرب » .

(٤) الضمير : « آيس » .

(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨ .

ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن
 نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن
 يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام^(١) - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
 عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه - قصيراً أزرق
 قليل الشعر ، طاهر القلب نقيّه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني
 ابن زيد في قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ
 حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٢) قال : أوحى الله
 إلى نبيهم أن في ولد فلان رجلاً يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن
 يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عز وجل أوحى إلى أن في
 ولدك رجلاً يقتل الله به جالوت . فقال : نعم يانبي الله ، قال : فأخرج له
 اثني عشر رجلاً أمثال السواري^(٣) ، وفيهم رجل بارع [عليهم]^(٤) ، فجعل يعرضهم
 على القرن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع ، فيرده عليه ، فأوحى الله إليه :
 إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ، ولكننا نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : يارب ،
 قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربي قد كذّبك ،
 وقال : إن لك ولداً غيرهم . قال : قد صدق يا نبي الله ، إن لي ولداً قصيراً استحيت
 أن يراه الناس فجعلته في الغنم ، قال : فأين هو ؟ قال : في شعيب كذا
 وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فمخرج إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين
 البقعة التي كان يربح^(٥) إليها . قال : ووجده يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما
 السيل ولا يخوض بهما السيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شك فيه ، هذا

٥٦٠/١

(١) ١ : « وكان داود رجلاً » . (٢) سورة البقرة ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٣) السواري : الأعمدة ، جمع سارية . (٤) تكله من ا والتضير ، والبارع : الذي
 يفرق أصحابه في العلم وغيره . (٥) أراح الغنم : ردها إلى مراعيها .

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض (١) .

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن

عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه قال : ٥٦١/١

لما سلمت بنو إسرائيل الملك لطالوت ، أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل : أن

قل لطالوت : فليغز أهل مدينتي ، فلا (٢) يترك فيها حياً إلا قتله ، فإنني

سأظهره عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينتي ، فقتل من كان فيها ،

إلا ملكهم فإنه أسره ، وساق مواشيهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألا

تعجب من طالوت إذ أمرته بأمرى فاختل (٣) فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ،

وساق مواشيهم ! فאלقه فقل له : لأنزعن الملك من بيته ، ثم لا يعود فيه

إلى يوم القيامة ، فإنني إنما أكرم من أطاعني ، وأهين من هان عليه أمرى .

فلقيه فقال له : ما صنعت ! لم جئت بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟

قال : إنما سقت المواشي لأقربها (٤) ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك

الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى

إيشي فاعرض عليك بنيه ، فادهن الذي أمرك بدهن القدس ، يكن ملكاً

على بني إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشي ، فقال : اعرض عليّ بنيك ،

فدعا إيشي أكبر ولده ، فأقبل رجل جسم حسن المنظر ، فلما نظر إليه

أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله

إليه : إن عينيك تبصران ما ظهر ، وإني أطلع على ما في القلوب ، ليس بهذا !

فقال : ليس بهذا ، اعرض عليّ غيره . فعرض عليه ستة ، في كل ذلك يقول :

ليس بهذا ، اعرض عليّ غيره ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال :

بلى (٥) ، لي غلام أمغر (٦) وهو راع في الغنم . قال : أرسل إليه ، فلما أن جاء ٥٦٢/١

داود ، جاء غلام أمغر ؛ فدهنه بدهن القدس ، وقال لأبيه : اكتم هذا ،

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ على وجه أطول .

(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وقا : « فاختار » .

(٤) لأقربها ، أي لأجملها قرباناً .

(٥) ح : « بول » .

(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإن طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر ، وتهبثوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت : لِمَ يَقْتَلُ قَوْمِي وَقَوْمُكَ ؟ ابرُزْ لِي ، أو ابرُزْ لِي مَنْ شئت ، فإن قتلتك كان الملك لي ، وإن قتلتني كان الملك لك . فأرسل طالوت في عسكره صائحاً : مَنْ يبرز بجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود (١) .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حوال الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولاً في ذلك ، فإنهم قالوا : إنما ملك داود بعد ما قتل طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - عن وهب بن منبّه قال : لما قتل داود جالوت ، وانهمز جندُه قال الناس : قتل داود جالوت ونخلع طالوت ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، وألأته له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله - فيما يذكر - أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكر - ترنوله الوحوش (٢) حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لمُصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج (٣) إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عز وجل لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ٥٦٣/١

(١) الخبر وبقيته في التفسير ٥ : ٣٥٩ - ٣٦٣ .

(٢) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمار ؛ وهو ما يزم به . والبرابط : جمع بربط ؛ وهو العود .

والصنوج : جمع صنج ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۗ إِنَّا نَحْنُ الْجِبَالُ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ﴿١﴾ ،
يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، قال : أعطى قوة في
العبادة ، وفقها في الإسلام . وقد ذُكِرَ (٢) لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم
نصف الدهر (٣) . وكان يحرسه - فيها ذكر - في كل يوم وليلة أربعة آلاف .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ (٤) ، قال : كان
يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف .

وذكر أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق
ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم ، ويعطيه من الفضل
نحو الذي كان أعطاهم .

فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال :
حدثنا أسباط ، قال : قال السدي : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام :
يوماً يقضى فيه بين الناس ، ويوماً يدخل فيه لعبادة ربه ، ويوماً يدخل فيه
لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيها يقسراً من الكتب أنه كان
يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيها يقرأ (٥) من الكتب ،
قال : يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى ، فأعطني
مثل ما أعطيتهم ، وافعل بى مثل ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه أن
آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق
بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك
بشيء . قال : يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتهم . قال :

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا في التفسير ، وفي ط : « فذكر » .

(٣) إل هنا الخبر في التفسير ٢٣ : ٨٦ (بولاق) . (٤) سورة ص ٢٠

(٥) ١ : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلي فاحترس^(١). قال: فكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند^(٢) رجلية وهو قائم يصلي، قال: فدّ يده ليأخذه فتنحى فتيبته، فتابعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر: أين يقع فيبعث^(٣) في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء^(٤) خلقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلة يأمره أن يبعث أهراباً إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأساً. قال: فبعثه ففتح له أيضاً، قال: فكتب إلى داود^(٥) بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرّة الثالثة، قال: وتزوج داود امرأته، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبوا أن يدخلوا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه، فتسورا عليه المحراب، قال: فما شعروا وهو يصلي إذا هوبهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: لا تخف، إنما نحن خصمان بقى بعضنا على بعض فاحكمم بيننا بالحق ولا تشطط، يقول: لا تحيف، (وأهدنا إلى سواء الصراط) إلى عدل القضاء. قال: فصصاً على قصتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمَجَةً وَلِي نَمَجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٦). فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مائة، قال: فقال للآخر:

(١) ن: «فاصبر».

(٢) أ: «بين رجلية».

(٣) أ: «وقع فتيبته»، وفي ن: «فيبعث أثره».

(٤) ن والتفسير: «الناس».

(٥) ن والتفسير: «إليه».

(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣.

ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاजी مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره، قال: إذاً لا نَدَعُكَ وَذَلِكَ، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت تَرُومُ ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا - وفَسَّرَ أسباط طرف الأنف والجهة - فقال: يا داود، أنت أحقُّ أن يُضْرَبَ منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا (١) إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِلَ، وتزوَّجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئاً، قال: فعرّف ما قد وقع فيه، وما ابتلي به، قال: فخرّ ساجداً يبكي، قال: فكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها، ثم يقَع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يوماً: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك، فقال: يا ربّ، كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكيمٌ عدلٌ لا تحيفُ في القضاء؛ إذا جاء أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخّب أوداجه (٢) دماً في قبَلِ عرشك: يقول: يا ربّ، سل هذا فيم قتلني! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريا فأستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: ربّ الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض (٣).

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

وقد قيل: إن سبب الحنّة بما امتحن به، أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم من الأيام بغير مقارفة سوء، فكان اليوم الذي عرّض له فيه ما عرض، اليوم الذي ظن أنه يقطعه بغير اقراف سوء.

(١) ن: «الأوريا». (٢) تشخّب أوداجه: تيل دماً.

(٣) الخبر في التفسير ٢٣، ٩٢، ٩٤ (بولاق).

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لِنِسائه ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بني إسرائيل ، ويوماً لبني إسرائيل ، يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يومٌ لا يصيب فيه ذنباً ! فأضمر داود في نفسه أنه سيُطيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلّق (١) أبوابه ، وأمر ألاّ يُدخل عليه أحد ، وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت فوقت غير بعيد ، من غير أن تؤثس من نفسها ، قال : فازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقتُها وحسنها ، فلما رأت ظلّه في الأرض جلّت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعث زوجته على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها فترّوجها — قال : وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان — قال : فبينما هو في المحراب إذ تسوّر الملكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصَّانِ بَغَى بَمَضْنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تَشْطِطْ ﴾ أي ولا تمل ﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ — وكان لداود تسع وتسعون امرأة — ﴿ وَإِلَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أي ظلمني وقهرني . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ — إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلم أنما أضمر له ، أي عني بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٢) .

(١) والتفسير : « أغلق » .

(٢) سورة ص ٢٢ - ٢٤ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت
 ليثاً يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داودَ الخطيئة ، خَرَّ لهُ ساجداً أربعين
 يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى : يا ربَّ
 قريحَ الجبين ، وجمدت العين ! وداود لم يُرجع إليه في خطيئته شيء . فنودي :
 أجاجع فتطعم ؟ أم مريض فتشفي ؟ أم مظلوم فينتصر لك ! قال : فنجب
 تحبةً هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غفر له . وكانت خطيئته
 مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ،
 وكان يذكر خطيئته فينتحب التحبة تكاد مفاصله يزول بعضها عن (١) بعض ،
 ثم ما يتم شربه حتى يملاً الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمعة داود تعدل دمعة
 الخلائق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق . قال : وهو يحيى يوم
 القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول : ربَّ ذنبي ذنبي قدَّمتي ! قال :
 فيقدِّم فلا يأمن ، فيقول : ربَّ أخرى ، قال : فيؤخر فلا يأمن (٢) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني
 ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يقول (٣) :
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داودَ النبي عليه السلام حين
 نظر إلى المرأة (٤) فأهيم ، قَطَعَ (٥) على نبي إسرائيل بعثاً ، فأوصى صاحب
 البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقتل فلاناً بين يدي التابوت ، وكان التابوتُ
 في ذلك الزمان يستنصر به مَنْ قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
 أو ينهزم عنه الجيش ، فقتل زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود يقصان عليه
 قصته ، ففطن داوداً فسجد ، فكث أربعين (٦) ليلة ساجداً ، حتى نبت
 الزرع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده -

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق)

(٣) ا : « قال » ، وفي التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « مرأة » ؛ وما أثبتته عن التفسير .

(٥) أي أفرد قوماً منهم ، وبمعنى في الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن يقطع بمثاً ... »

(٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .
 وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ .

فلم أحص (١) من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : رَبُّ زَلَّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ! رَبُّ إن لم ترحم ضُعبَ داود ، وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخُلوْف من بعده . فجاءه جبرئيلُ من بعد أربعين ليلة فقال : يا داود ، إنَّ الله قد غفر لك الهمَّ الذي هممتَ به ، فقال داود : قد علمتُ أنَّ الله قادر على أن يغفر لي الهمَّ الذي هممتُ به ، وقد عرفتُ أنَّ الله عدلٌ لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ؟ فقال : يا ربِّ دمي الذي عند داود ! فقال جبرئيلُ : ما سألتُ ربَّكَ عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلنَّ ، قال : نعم ، قال : فخرج جبرئيلُ وسجد داود ، فمكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألتُ الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال : قل له : يا داود ، إنَّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هب لي دمك الذي عند داود ، فيقول : هو لك يا ربِّ ، فيقول : فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عِوَصاً (٢) .

٥٧٠/١

* * *

ويزعم (٣) أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها - فيما زعموا - واستخفَّ به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي ، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله على داود ثابتٌ إليه ثابتة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجهه في طلبه قائداً من قواده ، وتقدَّم إليه أن يتوقى حتفَهُ ، ويتلطف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها - وكان ذا جُمَّة - فتعلق بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود ، فحزن داود عليه حزناً شديداً ، وتنكَّر للقائد ، وأصاب بني إسرائيل في زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشفَ ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك - فيما قيل - لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه . وتوفى قبل أن يستتم بناءه ، فأوصى

٥٧١/١

(١) ا ، ن ؛ « أحفظ » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .

(٣) ا : « وزعم » .

إلى سليمان باستقامته ، وقتل القائد الذي قتل أخاه ، فلما دفنه سليمان نُفذ لأمره في القائد وقتله ، واستتم بناء المسجد .

• • •

وقيل في بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داود أراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عرقاء ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أني وعدت إبراهيم أن أبارك فيه وفي ذريته حتى أجعلتهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يحصى عددُهم ، فأردت أن تعلم عدد ما قلت : إنه لا يحصى عددُهم ، فاخترتوا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داود في ذلك بني إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبر ، ولا بالعدو ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقية ، فإن كان لا بد فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبه أنه مات منهم في ساعة من نهار ألف كبيرة ، لا يدري ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شقَّ عليه ما بلغه من كثرة الموت ، فبتل إلى الله ودعاه فقال : يا رب ، أنا آكلُ الحماض^(١) وبنو إسرائيل يتضرسون ! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بني إسرائيل ، فما كان من شيء في^(٢) واعف عن بني إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سائلين سيوفهم يغمسونها ، يرتقون في سلّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغي أن يُبنى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدّس ، وأنت قد صبغت يديك في الدماء ، فلست ببايه ، ولكن ابن لك أملاكك بعدك أسميه^(٣) سليمان ، أسلمه من الدماء .

فلما ملك سليمان بنائه وشرّفه ، وكان عمر داود — فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — مائة سنة .
وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمره كان سبعمائة وسبعين سنة ، وأن مُدة ملكه كانت أربعين سنة .

(١) الحماض : ما في جوف الأترجة . (٢) ن : « فن » . (٣) ا : « اسمه » .

ذکر

خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمر بني إسرائيل ، وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتیه ملكا لا يتبغى لأحد من بعده ، فاستجاب [الله] (١) له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلس على سريره (٢) ، وكان - فيما يزعمون - أبيض جسيماً وضيئاً ، كثير الشعر يلبس من الثياب البياض ، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلغ الرجال يشاوره - فيما ذكر - في أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكيم في الغم التي نفثت في حرث القوم ، الذين قص الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۝ ﴾ (٣) .

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم ، قالا : حدثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته ، قال : فقضى داودُ بالغم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى

(١) تكله من أ . (٢) ن : « جلس مجلسه » . (٣) سورة الأنبياء ، ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿ فَهَمَّنَاهَا سَلِيمَانَ ﴾ . ٥٧٤/١
 وكان رجلاً غزّاء لا يكاد يقعد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملك في ناحية
 من الأرض إلا أنه حتى يُدليّه . وكان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق - فيما يزعمون - إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ،
 ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى
 إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ،
 فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرّخاء فرّ به شهراً في روجه ، وشهراً في
 غدوته إلى حيث أراد . يقول الله عز وجل : ﴿ فَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٢) ، أى حيث أراد ، وقال الله : ﴿ وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ
 غَدُوهاَ شَهْرًا وَرَوَّاحهاَ شَهْرًا ﴾ (٣) .

قال : وذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض
 أصحاب (٤) سليمان ، إما من الجن ، وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنينا ،
 ومبنياً وجدناه ، غدونا من إصطخر فقلنا له (٥) ، ونحن راثحون منه إن شاء الله ،
 فباتون (٦) بالشام (٧) . »

قال : وكان فيما بلغني - لتمر بعسكره الريح ، والرّخاء (٨) تهوى به إلى ما أراد ،
 وإنها لتمر بالمرعة فما تحرر كها .

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني
 حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بلغنا أن سليمان
 كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ،
 وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من
 قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريحة ، وسبعمائة سرية ، فأمر الريح العاصف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٢٦

(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) أو التفسير : « صحابة » .

(٥) : « قتلناه » . (٦) ١ ، ن : « فأتون » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرخاء : الريح اللينة .

فرفته^(١) وأمر الرخاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض :
 أني قد زدتُ في ملكك ، أنه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح
 وأخبرتكَ .

حدثني أبو النائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن
 المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان
 ابن داود يوضع له ستائة كرمي ، ثم يحيى أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم
 يحيى أشرافُ الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتظلمهم ،
 ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر .

٥٧٦/١

(١) كذا في ١ ، ر في ط : « فرفته » .

ذكر

ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس - وهي فيما يقول أهل الأنساب - بلقيس^(١) ابنة اليشرح - ويقول بعضهم : ابنة أبي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذي شرح - بن ذي جدان بن أبي شرح بن الحارث بن قيس بن ضيق بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سلمًا بغير حرب ولا قتال . وكان سبب مراسلته إياها - فيما ذكر - أنه فقد الهدد يومًا في مسير كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يعلم من حضره بعده ، وقيل له علم ذلك عند الهدد ، فسأل عن الهدد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمان عن الهدد لإخلاقه بالنبوة .

فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثني العباس ابن الوليد الأملي ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، قال : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفرًا قعد على سريره ، ووضعت الكراسي يمينًا وشمالًا ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس ، فيكونون خائف الإنس ، ثم يأذن للشياطين بعد الجن فيكونون خائف الجن ، ثم يرسل إلى الطير فتطلبهم من فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسي فتسير بهم ، غدوها شهر ورواحها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا اللين ، وسطا بين ذلك . فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كل طير طيرًا ، فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسأل شيئًا من تلك الطير عن شيء سأل رأسها - فبينما سليمان يسير إذ نزل مغارة فسأل عن بُعد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندري ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، فسأل الشياطين ، فقالوا : لا ندري ، فغضب سليمان فقال : لا أبرح حتى أعلمكم كم بُعد مسافة الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسول الله لا تغضب ، فإن بك شيئًا يعلم فالهدد يعلمه ، فقال^(٢) سليمان : على بالهدد ، فلم يوجد ، فغضب

(١) ح : « بلقيس » ، ا ، س : « بلقيس » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ النَّائِبِينَ . لَأَعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانَ مُبِينٍ ﴾ ^(١) ، يقول : بعذر مبین [ليم] غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابه للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوام الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابه .

قال : ومرة الهدهد على قصر بلقيس ، فرأى بستاناً لها خلف قصرها ، فال إلى الحضرة فوقع عليها ، فإذا هو بهدهد لها في البستان ، فقال هدهد سليمان : أين أنت عن سليمان ؟ وما تصنعها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومن سليمان ؟ فقال : بعث الله رجلاً يقال له سليمان رسولاً ، وسخر له الريح والجن والإنس والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أى شيء تقول ! قال : أقول لك ما تسمع ، قال : إن هذا لعجب ، وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ، ﴿ أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال : وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا : توعدك رسول الله ، فأخبروه بما قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبداً ، فيصير من هوام الأرض ، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً . قال : فقال الهدهد : أو ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتيني بعذر مبین ، قال : فلما أتى سليمان ، قال : ما غيبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَنْظِرْ مَاذَا بَرِّجُمُونَ ﴾ ^(٢) . قال : فاعتل له بشيء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد ، فقال له سليمان : قد اعتلت ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَالِقَهُ لِيهِمْ ﴾ ^(٣) ، قال : فوافقها وهي في قصرها ، فألقى إليها

٥٧٨/١

٥٧٩/١

(١) سورة النمل ٢٠ - ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ - ٢٨

الكتاب فسقط في حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقت منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها، وأمرت بسريرها فأخرج، فخرجت فقعدت عليه، ونادت في قومها، فقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾. إنه من سليمان وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْأَتَمَلُّوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١) ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون، ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ - إلى - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾^(٢)، فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله.

فلما جاء سليمان الهدية قال لهم سليمان: ﴿أَتَمُدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣)، يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثت إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت: اثقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأرض، فجاءت الأرض فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها^(٤) خرجت فرعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها. قال ابن عباس: وكان معها ألف قيل.

قال ابن عباس: أهل اليمن يسمون القائد قبيلًا، مع كل قبيل عشرة آلاف. قال العباس: قال علي: عشرة آلاف ألف.

قال العباس: قال علي: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: فأقبلت بلقيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قبيل واثنا عشر قبيلًا، مع كل قبيل عشرة آلاف.

قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يُسأل عنه، فخرج يومئذ فجلس على سريره،

(١) سورة النمل ٢٩ - ٣١ (٢) سورة النمل ٣٣ - ٣٥
(٣) سورة النمل ٣٦، ٣٧ (٤) ط: «رسلها»، وما أنبته عن أ.

فراى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت مناً بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرتته ما بين الكوفة والحيرة قد رفرسخ ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿ الذى أنت فيه إلى الحين الذى تقوم إلى غدائك . قال : قال سليمان : مَنْ يَأْتِينِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ ﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿ فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش ، فراى سريره ما قد خرج ونبع من تحت كرسیه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إلى طرفي ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ جعل مَنْ تَحْتَ يَدِي أَقْدَرَ عَلَى الْجَبِّءِ بِهِ مِنِّي . قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدت إلى سليمان ، قيل لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرَشُكَ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ (١) ! ثم قالت : لقد تركته في حصونى ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جىء بهذا يا سليمان ! إني أريد أن أسألك عن شيء فأخبرنيه ، قال : سألني ، قالت : أخبرني عن ماء رواء ، لا من سماء ولا من أرض - قال : وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلا سأل الجن ، فإن لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين - قال : فقالت له الشياطين : ما أهون هذا يارسول الله ! مرّ الخليل فلتجبر ثم تملأ الآية من عرقها ، فقال لها سليمان : عرق الخليل ، قالت : صدقت . قالت : أخبرني عن لون الرب . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس : قال عليّ : فأخبرني عمرو بن عبّيد ، عن الحسن ، قال : صعيق فغشي عليه ، فخرّ عن سريره .

٥٨١/١

٥٨٢/١

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرقت عنه جنوده ، وجاءه

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما سألتك ؟ قال : سألتني عن أمر يكابرني— أو يكايدني— أن أعيدَه ، قال : فإنَّ الله بأمرِك أن تعودَ إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعاً ، قال لها : عمَّ سألتني ؟ قالت : سألتك عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلت لك : عرق الخليل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أيِّ شيء سألتني ؟ قالت : ما سألتك عن شيء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلأى شيء خررتُ عن سريري ؟ قالت : قد كان ذاك لشيء لا أدري ما هو— قال العباس : قال عليّ : نسيته— قال : فسأل جنودها فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنودَه من الإنس والجنّ والطير وكلّ شيء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألتك يا رسول الله إلا عن ماء رَوَاء ، قال — وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عندُ إلى مكانك فإنّي قد كفيْتُكُمْ— قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنوا لي صرحاً تدخل عليّ فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخرَ الله له ما سخرَ ، وبلقيس مائة سبأ ينكحها فتلد له (١) غلاماً ، فلا تنفك من العبوديّة أبداً .

٥٨٣/١

قال : وكانت امرأة شعراء (٢) الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنياناً ليري ذلك منها ، فلا يترجها ، فبنوا له صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا في باطن الطوابيق كلّ شيء يكون من الدواب في البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه ، ثم قالوا لسليمان : ادخل الصرح ، قال : فألتفتي لسليمان كرمي في أقصى الصرح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسيّ ، فقعده عليه ، ثم قال : أدخلوا عليّ بلقيس ، فقيل لها : ادخلي الصرح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورة السمك وما يكون في الماء من الدواب ، فحسبته لُجّة (حسبته ماء) وكشفت عن ساقبها لتدخل ، وكان شعرُ ساقبها ملتويّاً على ساقبها ، فلما رآها سليمان ، ناداها— وصرف بصره عنها : إنه صرح ممرّد من

(١) ح ، س : « تلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبها فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقيح هذا ! ما يذهب هذا ؟ قالوا : يا رسول الله موسى . قال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : ثم دعا الجن فسألهم فقالوا : لا ندرى ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يذهب هذا ؟ قالوا مثل ذلك : المواسي ، فقال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : فتلكثوا عليه ، ثم جعلوا له النورة - قال ابن عباس : فإنه لأول يوم رؤيت فيه النورة - فاستكحها سليمان .

٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبه ، قال : لما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكائرته شيئاً ، وبعثت إليه أنتى قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعوا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مفضص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ - فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت^(٢) على الأبواب ، وكانت^(٣) إنما تتخذها النساء ، معاساة امرأة تتخذها . ثم قالت لمن خالفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك ، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمعت من عنده من الجن والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَمَلُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٤) . قال : وأسلمت فحسن إسلامها . قال : فزعم أن سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً من قومك أزوجه ، قالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال ، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي ! قال : نعم ، إنته

٥٨٥/١

(١) سورة النمل ٤٤ .

(٢) ن : « أغلقت » .

(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبتته عن ا .

(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغي لك أن تُحرّمى ما أحلّ الله لك ،
 فقالت : زوجنى إن كان لا بد ذا تُبَعِّع^(١) مَلَك هَمْدَان ، فزوجه إياها ، ثم
 ردّها إلى اليمن ، وسلّط زوجها ذاتُبَعِّع على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنّ
 اليمن فقال : اعمل لذي تبّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذي تبّع
 الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكاً يُعمل له فيها ما أراد ، حتى مات سليمان
 ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنّ موت سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك
 تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشر الجنّ ،
 إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . قال : فعمدت الشياطين إلى حجرين
 عظيمين ، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند : نحن بنينا سَلْحِين^(٢) ، سبعة
 وسبعين خريفاً دائيين ، وبنينا صِرَواح ومراح وبيسُون برحاضة أيدين^(٣) ، وهنّدة
 وهنيدة ، وسبعة أمجلة بقاعة ، وتلثوم بريّدة ، ولولا صارخ بتهامة ، لتركنا
 بالبون إمارة

قال : وسَلْحِين [صِرَواح] ومراح وبيسُون وهنّدة وهنيدة وتلثوم حصون
 كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذي تبّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ،
 وانقضى ملك ذى تبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام .

(١) ط : « بتع » ، وما أثبتته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للتيهامة ملوك اليمن . . . قال :
 « وزعموا أن الشياطين بنت لذي تبّع ملك همدان حين زوج سليمان بلقيس قصوراً وأبنية وكتب في
 جبر ، وكتب في بعض القصور التي بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بفالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبه : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شيء في برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها واستفأ^(١) ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنةً لذلك الملك لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه ، ووقعت نفسه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها ، لما رأى ما بها وهويشني عليه [من ذلك]^(٢) ما يرى : ويحك ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب ، والدمع الذي لا يرقأ ! قالت : إن أبي أذكّره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزني ذلك ، قال : فقد أبدلك الله [به]^(٣) ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله ، قالت : إن ذلك لكذلك^(٤) ، ولكنني إذا ذكرته أصابني ما [قد]^(٥) ترى من الحزن ، فلو أنك أمرت الشياطين ، فصوروا صورة أبي في داري التي أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوتُ أن يذهب ذلك حزني ، وأن يسلى عني بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين ، فقال : مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى ما تنكر^(٦) منه شيئاً ، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه^(٧) ،

٥٨٧/١

٥٨٨/١

(١) كذا في ط ، وفي ا ، س : « استفي » .

(٢) من ا .

(٣) ط : « كذلك » ، وما أثبتته من ا .

(٤) ط : « لا تنكر » وما أثبتته من ا .

(٥) ن : « في هيئته » .

إلا أنه لاروح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزرتَه وقمصته وعمته وردته
بمثل ثيابه التي كان يلبس ، مثل ما كان يكون فيه من هيئة ، ثم كانت إذا
خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن
له ، كما كانت تصنع به في ملكه ، وتروح كل عشية بمثل ذلك ، لا يعلم
سليمانُ بشيء من ذلك أربعين صباحًا ، وبلغ ذلك آصف بن برخيا - وكان
صديقًا ، وكان لا يردّ عن أبواب سليمان أرى ساعة أراد دخولَ شيء من بيوته
دخل ، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا - فأتاه فقال : يا نبي الله ، كبرت سني ،
ودقّ عظمي ، ونفد عمري ، وقد حان سني ذهاب (١) ! وقد أحببت أن أقوم
مقامًا قبل الموت أذكر فيه مَنْ مضى من أنبياء الله ، وأثنى عليهم بعلمي
فيهم ، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال :
افعل ، فجمع له سليمان الناس ، فقام فيهم خطيبًا ، فذكر مَنْ مضى من
أنبياء الله ، فأثنى على كل نبي بما فيه ، وذكر ما فضله الله به ، حتى انتهى
إلى سليمان وذكره ، فقال : ما كان أحلمك في صفرك ، وأورعك في صفرك ،
وأفضلك في صفرك ، وأحكم أمرك في صفرك ، وأبعدك من كل ما يُكفره في
صفرك ! ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه حتى ملأه غضبًا ، فلما دخل سليمان
داره أرسل إليه ، فقال : يا آصف ، ذكرت مَنْ مضى من أنبياء الله فأثنت
عليهم خيرًا في كل زمانهم ، وعلى كل حال من أمرهم ، فلما ذكرتني جعلت
تُشي عليّ بخير في صفري ، وسكت عما سوي ذلك من أمري في كبري ،
فما الذي (٢) أحدثت في آخر أمري ؟ قال : إن غير الله ليُعبد في دارك منذ
أربعين صباحًا في هوى امرأة ، فقال : في داري ! فقال : في دارك ، قال :
إنا لله وإنا إليه راجعون ! لقد عرفت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك . ثم
رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصم ، وعاقب تلك المرأة وولائها ، ثم
أمر بثياب الطهرة فأثرت بها ، وهي ثياب لا يغزها إلا الأبقار ، ولا ينسجها إلا

(١) كذا في ا ، س ، ن ، وفي ط : « الذهاب » .

(٢) ح : « فاذا ترى أحدثت » ، ا : « فاذا الذي أحدثت » .

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده ، فأمر برمد ففرش له ، ثم أقبل تائباً إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعتك فيه بثيابه تذلاً لله جل وعز وتضرعاً إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، ويقول فيما يقول - فيما ذكر لي والله أعلم : رَبِّ مَاذَا بِيَلَاتِكَ عِنْدَ آلِ دَاوُدَ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَكَ ، وَأَنْ يُقِرُّوا فِي دَوْرِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ عِبَادَةَ غَيْرِكَ ! فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، يبكي إلى الله ويتضرع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره - وكانت أم ولد له يقال لها : الأمانة ، كان إذا دخل مذهبته ، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمته عندها حتى يتطهر^(١) ، وكان لا يمسن خاتمته إلا وهو طاهر ، وكان ملكه في خاتمته ، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبته ، وأتاها الشيطان صاحب البحر - وكان اسمه صخرأ - في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً ، فقال : خاتمي يا أمانة ! فناولته إياه ، فجعله في يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وخرج سليمان فأقى الأمانة ، وقد غيبت حالته وهيبته عند كل من رآه ، فقال : يا أمانة ، خاتمي ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبت ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتمته ، وهو ذاك جالس على سريرته في ملكه . فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحشون عليه التراب ويسبونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المهجنون ، أي شيء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق^(٢) ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلها ، فمكث بذلك أربعين صباحاً ، عبدة ما عبِد ذلك الوثن في داره ،

(١) من : « يطهر » .

(٢) ١ : « في السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا]^(١) وعظماء بنى إسرائيل حُكْمَ عدوِّ الله الشيطان في تلك الأربعين صباحاً ، فقال آصف : يا معشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم ! قالوا : نعم ، قال : أمهلوني حتى أدخل على نساءه فاسألهن : هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلايته ؟ فدخل على نساءه فقال : وبممكن ! هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشدُّه ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لهو البلاء الميين ، ثم خرج إلى بنى إسرائيل ، فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرَّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته^(٢) سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدرَ يومه ذلك ، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكته فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقَرها ليشوبها فاستقبله خاتمه^(٣) في جوفها ، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله ، وعكفَ عليه الطير والجن^(٤) ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : اتنوني به ، فطلبته له الشياطين حتى أخذوه ، فأقى به ، فجاب^(٥) له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدَّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أمباط ، عن السدي في قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾^(٦) ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً^(٧) ، قال :

(٢) : ١ « فتلقتة » .

(٤) : ١ « إليه » .

(١) تكملة من ا ح .

(٣) : ١ « الخاتم » .

(٥) جاب صخرة ، أى خرقتها .

(٦) سورة ص ٣٤ .

(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهي آثر نساته عنده ، وأمهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجبة نزع خاتمه ، ولا يأتيه عليه أحدًا من الناس غيرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له] (١) : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائباً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نساته فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرعوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة الخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجّه ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا : بشس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشق بطونهما (٢) ، وجعل (٣) يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

٥٩٣/١

(١) من أ .

(٢) ح ، س : « بطونها » . ابن الأثير : « بطنيها » .

(٣) ط : « فجعل » ، وما أثبتته من أ .

عُذْرِكُمْ ، ولا أَلومِكُمْ على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه .
قال : فجاء حتى أتى مُلْكَه ، فأرسل إلى الشيطان فجاء به ، وسُخِّرَتْ
له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك ، وهو قوله :
{ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } (١) .

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ،
ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقفْل ، ونحّم عليه بخاتمَه ، ثم أمر به فألقِيَ
في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيق .

* * *

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن رده الله إليه ،
تعمل له الجنّ ما يشاء من محارِب وثمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ،
وغير ذلك من أعماله ، ويعذب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ
منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره - فيما بلغني -
ما حدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال :
حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن
عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبيّ الله إذا صلّى رأى
شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول :
لأى شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرِست ، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما
هو بصاى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت :
الخرّوب ، قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال
سليمان : اللهم عمّم على الجنّ موتى حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ،
ففتحها عصاً ، فتوكلّ عليها حولاً ميتاً ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فمسقط ،
فتبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .
قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً في العذاب المهين » قال : فشكرت
الجنّ الأرضة ، فكانت تأتيتها بالماء (٢) .

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر في التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاق)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السديّ في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة المهدانيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والستين ، والشهر والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرّة التي مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأيّ شيء نبت ؟ فتقول : نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبت لغرس غرسها ، وإن كانت نبت دواء قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة ، قال : ولأيّ شيء نبت ؟ قالت : نبت لخراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حيّ ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فزرعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كؤويّ بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألسنت جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فرآه ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق - ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع] (١) ثم رجع فوقف في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا منسأته - وهي العصا بلسان الحبيشة - قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ (٢) سنة ، وهي في قراءة ابن مسعود : « فكثروا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً » ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

(١) تكلّة من ا

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب ستة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل :
﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ٥٩٧/١
يقول : بين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة :
لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب
سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل [إليك] ^(١) الماء والطين . قال : فهم
ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف
الحشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !
وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة ، وفي سنة
أربع من ملكه ابتداء ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

(١) تكللة من اواين الأثير .

ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمن ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد .

* * *

وملك بعد كيقباد بن زاغ بن يوجياه^(١) كيقاوس بن كيبه بن كيقباد الملك . فذكر أنه قال يوم ملك : إن الله تعالى إنما خَوَّلَنَا الأرض وما فيها لنسعى فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التي حولته ، وحصى بلادها ورعيته من حواليهم من الأعداء أن يتناولوا منها شيئاً ، وأنه كان يسكن بلسخ ، وأنه وُلِدَ له ابن لم ير مثله في عصره في جماله وكمالهِ وتَمَامِ خَلْقِهِ ، فسماه سياونخش ، وضمَّه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان^(٢) بن جودنك^(٣) ابن كرشاسب بن أثرط^(٤) بن سهم بن نريمان .

٥٩٨/١

وكان إصْبَهْدًا^(٥) سِجِسْتَانِ وما يليه من قبَله يربيه ويكفله ، وأوصاه به فأخذه منه رستم ، فضى به معه إلى موضع عمله سِجِسْتَانِ ، فرباه رستم ولم يزل في حجْرِهِ يجمع له وهو طفل الخواصن والمرضعات ، ويتخيرهن له ،

(١) كذا في ١ .

(٢) كذا في ١ وفي ح س : « برامان » ، وفي ن : « مرمان » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ح : « حوزنك » ، ن : « حوزنك » .

(٤) ١ : « أثوط » .

(٥) ذكرها في الجواليقي بلفظ الصبيبة ؛ وقال : فارسي معرب ؛ وهو في الديلم كالأمير في

العرب ، وأورد قول جرير :

إِذَا افْتَخَرُوا وَعَدُّوا الصَّبِيْبَةَ فِيهِمْ
وَكَسْرَى وَأَلَّ الْمُرْمَانَ وَقِيصْرًا

وفي اللسان ٥ : ٨ : « إصبهذ » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدي شير : « إن إصبهذ » بالفارسية معناه قائد العسكر ؛ وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان . وانظر المعرب وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلمين ، فتخير له منهم من اختاره لتعليمه^(١) ، حتى إذا قدر على الركوب علمه الفروسية حتى إذا تكاملت^(٢) فيه فنون الآداب ، وفاق في الفروسية قدم به على والده رجلاً كاملاً ، فامتحنه والده كيقاوس ، فوجده نافذاً في كل ما أراد بارعاً ، فسر به ، وكان كيقاوس تزوج - فيما ذكر - ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنت ملك اليمن ، وكان يقال لها سودابة ، وكانت ساحرةً ، فهويت سياوخش ، ودعته إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرت لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار في ذلك - فيما ذكر لي - أن سودابة لم تزل لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاوس حتى أفسدته عليه ، وتغير لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل أباه كيقاوس توجيهه ل حرب فراسياب لسبب منعه بعض ما كان ضمن له عند إنكاحه ابنته إياه ، وصلح جرى بينه وبينه ، مريداً بذلك سياوخش البعد عن والده كيقاوس ، والتنحّي عما تكيد به عنده زوجته سودابة ، ففعل ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله : وضم إليه جنداً كثيفاً ، فشخص إلى بلاد الترك للقاء^(٣) فراسياب ، فلما صار إليه سياوخش ، جرى بينهما صلح ، وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب من الصلح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومتاجزته الحرب ، إن هو لم يدع عن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوخش أن في فعله ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسياب بعد الذي جرى بينه وبينه من الصلح والهدنة من غير تقص فراسياب شيئاً من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً ومأثمًا ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه في ذلك ، ورأى في نفسه أنه يؤتى في كل ذلك من زوجة أبيه التي دعته^(٤) إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الحرب

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبتته عن ا .

(٣) ن : « ليلقى » .

(٤) ن : « تدعو » .

من أبيه ، فراسل فراسياب في أخذ الأمان لنفسه منه ، واللاحق به ، وترك^(١) والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك - وكان السفير بينهما^(٢) في ذلك - فيما قيل - رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان^(٣) - فلما فعل ذلك سیاوخش انصرف عنه مَنْ كان معه من جند أبيه كيقاوس .

٦٠٠/١

فلما صار سیاوخش إلى فراسياب بوآه وأكرمه وزوجه ابنة له يقال لها : وسفا فرید ، وهى أم كيخسرونه^(٤) ، ثم لم يزل له مكرماً حتى ظهر له أدب سیاوخش وعقله وكمال وفروسيته ونجدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سعى ابنيين له وأخ يقال له : كندر بن فشنگان عليه بإفساد أمر سیاوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكنتهم من قتله ، فذكر في سبب وصولهم إلى قتله أمر يطول بشرحه الخطب ، إلا أنهم قتلوه ومثلوا به وامراته ابنة فراسياب حامل منه بابنه كيخسرونه ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما في بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذى سعى في عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صح عنه ما فعل فراسياب من قتله سیاوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوفه عاقبة الغدر ، وحذره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رستم ، وسأله دفع ابنته وسفا فرید إليه لتكون عنده إلى أن تضع ما في بطنها ثم يقتله .

٦٠١/١

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رق فيران لها وللمولود ، فترك قتله وسر أمره ، حتى بلغ المولود ، فوجه - فيما ذكر - كيقاوس إلى بلاد الترك بن بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن الماود الذى ولدته زوجة ابنه سیاوخش ، والتأتى لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبره مع أمه ، وأن بيئاً شخص لذلك ، فلم يزل يفحص عن أمر ذلك المولود ، متنكراً حيناً من الزمان فلا يعرف له خبر ، ولا يدلُّه عليه أحد .

ثم وقف بعد ذلك على خبره ، فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس - فيما ذكر - حين اتصل به

(١) س : « وفاق » . (٢) س : « فيما بينهما » .

(٣) س ، ن : « ويسغان » . (٤) س : « كيخسرونه » .

قتلُ ابنه أشخص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستم بن دستان الشديد ،
 وطوس بن نوذران^(١) ، وكانا ذوى بأس ونجدة ، فأثخننا الترك قَتلاً وأسراً ،
 وحاربنا فراسياب حرباً شديدة^(٢) ، وأن رستم قتل بيده شهر وشهرة ابني فراسياب
 وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب .

وذكر أن الشياطين كانت مسخرةً لكيقاوس ، فزعم بعضُ أهل العلم
 بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سُخِّروا له إنما كانوا يُطيعونه عن
 أمرِ سليمان بن داود إيتاهم بطاعته ، وأن كيقاوس أمر الشياطين فبنوا له مدينةً
 سماها كندر^(٣) ، ويقال : قيقدون ؛ وكان طولها — فيما زعموا — ثمانمائة فرسخ ،
 وأمرهم ففصر بوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ،
 وسوراً من فخار ؛ وسوراً من فضة ، وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها
 ما بين السماء والأرض وما فيها من اللواب والخزائن والأموال والناس . وذكروا
 أن كيقاوس كان لا يُحدث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التي بناها كذلك من يُخربها ، فأمر
 كيقاوس شياطينه بمنع من قصد لتخريبها ، فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأى
 كيقاوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان
 كيقاوس — فيما ذكر — مظفرّاً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلا ظفر عليه وقهره ،
 ولم يزل ذلك أمره حتى حدثته نفسه — لما كان آتياً من العز والمملك ، وأنه لا يتناول
 شيئاً إلا وصل إليه — بالصعود إلى السماء .

فحدثت عن هشام بن محمد أنه شخّص من خراسان حتى نزل بابل ،
 وقال : ما بقي شيءٌ من الأرض إلا وقد ملكته ، ولا بدّ من أن أعرف أمرَ
 السماء والكواكب وما فوقها ، وأن الله أعطاه قوةً ارتفع بها ومنّ معه في الهواء
 حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت
 بنفسه وأحدث يومئذ ، وفدّ عليه ملكه ، وتمزقت الأرض ، وكثرت الملوك
 في النواحي ، فصار يغزؤهم ويغزونه ، فيظفر مرةً ويُنكب أخرى .

(١) ح : « قوزران » ، س : « قوزران » ن : « بوذران » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « شديداً » .

(٣) كذا في ١

قال : فغزا بلاد اليمن - والمملك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش - فلما ورد بلاد اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلادَه في جُموعه خرج بنفسه في جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأَسْرَه ، واستباح عسكره ، وجسه في بئر ، وأطبق عليه (١) طبقاً . قال : وخرج من سَجِسْتَان رجل يقال له رستم ، كان (٢) جباراً قوياً فيمن أطاعه من الناس . قال : فرغمت القرس أنه دخل (٣) بلاد اليمن ، واستخرج قبوس (٤) من محبسه وهو كيقاوس . قال : وزعم أهل اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبال رستم خرج إليه في جنوده وعدده ، وخذق كل واحد منهما على عسكره ، وأنها أشفقا على جنديهما من البوار ، وتخوفا إن تراحقا إلا تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقاً من عبودية الملك ، وأقطعه سَجِسْتَان وَزَابِلِسْتَان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجّه ، وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمه من ذهب ، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرأ طويلاً .

٦٠٤/١

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماء القرس أن أول من سوّد لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوخش ، وأنه فعل ذلك يوم وَرَد على كيقاوس نعى ابنه سياوخش وقتل فراسياب إتياء ، وغدره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأنّ يومه يوم إظلام وسواد . وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هاني في شعره فقال (٥) :

(١) : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبتته من ا (٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وانفخر بقحطان وقبائلها ؛ وهي التي أطال

الرشيد حبه بسبها وأولها :

وَقَاطَ قَابُوسُ فِي سَلَّاسِلِنَا سِنِينَ سَبْعًا وَقَتَ لِحَاسِبِهَا

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنه كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ابن كيبه بن كيقباز .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافرید ابنة فراسياب - وربما قيل وسففره - بي بن جوذرز إليه من بلاد الترك، ملكه، فلما قام بالملك بعد جدّه كيقاوس، وعقد التاج على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سیاوخش قبل فراسياب التركي، ثم كتب إلى جوذرز الأصبهيد - كان - بأصبهان ونواحي خراسان^(١) - يأمره بالمصير إليه، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قتل والده، وأمره بعرض جثته، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم، وضمّهم إلى طوس بن نوذران^(٢)، ليتوجه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جوذرز، وضمّهم إلى طوس، وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس، عم كيخسرو وبي بن جوذرز،

لَيْسَتْ بَدَارُ عَفَّتْ وَغَيْرَهَا
وَلَا لَأَى الطُّلُولِ أُنْدَبُهَا
وَفِيهَا يَفْتَخِرُ بَائِمِنَ وَيَذَكُرُ الضَّمَاكَ :
فَحَنُّ أَرْبَابُ نَاعِطٍ وَكُنَّا
وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكَ يَبْعُدُهُ
وَفِيهَا يَهْجُو نِزَارًا :
وَأَهْجُ نِزَارًا وَأَفْرَجِ جِلْدَتَهَا
وَإَكْشِفِ السُّتْرَ عَن مَثَالِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من النزارية؛ منهم رجل من بني ربيعمن نزار فقال في قصيدة أولها:
دَعْ مَدْحَ دَارِ خَبَا وَأَنْتَهَى
عَهْدُ مَعْيِدِ بَزْعَمِ عَاتِبِهَا
فقال :

فَامْدَحْ مَعْدًا وَافْخِرْ بِمَنْصِبِهَا
وَهَتِّكِ السُّتْرَ عَن ذَوِي يَمِينِ
أَوْلَادِ قَحْطَطَانَ غَيْرِهَا نَبِيهَا
وَانظُرِ الدِّيْوَانَ ١٥٥ وَالتَّنْبِيهَ وَالْإِشْرَافَ ٧٦ - ٧٧ .

(١) كذا في ط، و في ا: «الأصبهيد بأصبهان ونواحي خراسان». (٢) ا: «بوذران».

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده
لفراسياب وطراختته (١) ، وألاً يمرّ بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له
يقال له فروذ بن سیاوخش ، من امرأة يقال لها برزا فرید ، كان سیاوخش
تزوجها في بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب ، ثم شخص عنها وهي
حُبلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شبَّ فغلط طوس في أمر فروذ
— فيما قيل — وذلك أنه لَمَّا صار بجِداء المدينة التي كان فيها فروذ هاج بينه
وبينه حربٌ ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبره بكيخسرو
كتب إلى برزافره عمه كتاباً غليظاً ، يعلمه فيه ما ورد عليه من خبر طوس
ابن نوزدان ومحاربتة فروذ أخاه ، وأمره بتوجيه طوس إليه مقيداً مغلولاً ، وتقدّم
إليه في القيام بأمر العسكر والتفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتاب إلى برزافره ،
جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة ، فقرأه عليهم ، وأمر بقتل طوس وتقييده ،
وجهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولى أمر العسكر ، وعبرَ النهر
المعروف بكاسبروذ ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجهه إلى برزافره جماعةً
من إخوته وطراختته لمحاربتة ، فالتقوا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ،
وفيهم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب ، وهما سف
ابن فشنجان ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشلٌ
لما رأى من شدة الأمر وكثرة القتلى ، حتى انحاز بالعلم إلى رءوس الجبال
واضطرب على ولد جوذرز أمرهم ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة واحدة
سبعون رجلاً ، وقتل من الفريقين بشرٌ كثير ، وانصرف برزافره ومن كان
معه إلى كيخسرو ، وبهم من الغم والمصيبة ما تمنوا معه الموت ، فكان خوفهم
من سطوة كيخسرو أشدَّ ، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة
شديدة ، وقال : أتيتم في وجهكم لترككم وصيتي ومخالفة وصية الملوك ، تورد
السوء ، وتورث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رثيت الكتابة
في وجهه ، ولم يلتذ طعاماً ولا نوماً . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز
فلما دخل عليه أظهر التوجع له ، فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

٦٠٦/١

٦٠٧/١

(١) قال في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ولا تقم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم

الرئيس الشريف ، حراسية ، بالجمع طراخنة » .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقلك بخدمتك
 لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبدولة لك في مطالبة ترتك ، وأمره
 بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب ، والعمل في قتله وتخريب بلاده ،
 فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبل يده ، وقال : أيها الملك
 المظفر ، نحن رعيته وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكن^١ ٦٠٨/١
 بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من^(١) وراء الانتقام من
 فراسياب والاشتهاء من مملكة الترك ، فلا يغمن^٢ الملك ما كان ، ولا يدعن^٣
 لهوه ، فإن الحرب دؤل ، وأعلمه أنه على النفوذ لأمره . وخرج من عنده
 مسروراً .

فلما كان^(١) من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده
 والوجوه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة
 الأتراك ، وكتب إلى عماله في الآفاق يُعلمهم ذلك ، ويأمر بموافقتهم في صحراء
 تعرف بشاه أسطون ، من كورة بلخ ، في وقت وقته لم . فتوافت رؤساء الأجناد
 في ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصبيذته وأصحابهم ، وفيهم
 برزافره عمه وأهل بيته ، وجوذرز وبقيه ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت
 المرازبة^(٣) ، تولّى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفهم
 أحوالهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن
 بهدان — وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش ، يقال لها : شوماهان — فأعلمهم
 أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطوا بهم براً
 وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ، وصير
 مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضم إليه برزافره عمه وبني بن جوذرز
 وجماعة من الأصبهينيين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي كانوا
 يسمونه درفش كايان ، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى
 أحد من القواد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك إذا وجهوهم في

(١) ح : « ونحن نردم » .

(٢) إلى هنا ينشئ الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .

(٣) المرازبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاي ، وأجمع المرازبية .

الأمر العظام . وأمر ميلاد بالدخول مما يلي الصين ، وضم إليه جماعة كثيرة دون من ضم إلى جودرز ، وأمر أعص بالدخول من ناحية الخزر في مثل من ضم إلى ميلاد ، وضم إلى شومهان إخوتها وبنى عمها وتماث ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جودرز وميلاد .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصتها بسياوخش ، وكانت نذرت أن تطالب بدمه . فضى جميع هؤلاء لوجههم ، ودخل جودرز بلاد الترك من ناحية خراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حرب شديدة مذكورة ، وهي الحرب التي قتل فيها بيزن بن بني خمان بن ويسغان مبارزة ، وقتل جودرز فيران أيضاً ، ثم قصد جودرز فراسياب ، وألحقت عليه العساكر الثلاثة ، كل عسكر من الوجه الذي دخل منه . واتبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قصده للوجه الذي كان فيه جودرز ، وصير مدخله منه ، فوافى عسكر جودرز ، وقد أثنى في الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهندي فراسياب ، والمرشح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ؛ مثل خمان ، وأوستهن ، وجلباد ، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاد ، وفرخلاد . ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدماً عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدرای^(١) ، وأندرمان ، وأسفرخم ، وأخست . وأسريروا بين فشنجان قاتل سياوخش ، ووجد جودرز قد أحصى القتلى والأسرى ، وما غنيم من الكراع والأموال ، فوجد مبلغ ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفاً ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفاً وستين ألف رجل ، ومن الكراع والورق والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيله من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفت له الرجال ، وتلقاه جودرز وسائر الإصبهنيين ، فلما دخل العسكر جعل يمرّ بعلم علم ، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جودرز ، فلما نظر إليها^(٢) وقف ثم قال :

(١) كذا في ن ، وفي س : « زيد راى » .

(٢) ح ، س : « إليه » .

أيها الجبل الصعب الدرأ المنيع الأركان ! ألم أنهك عن هذه المحاربة ، وعن
نصّب نفسك لنا دون فراسياب في هذه المطالبة ! ألم أهدل لك نفسي ،
وأعرض عليك ملكي فلم تحسّن الاختيار ! ألسنت الصدوق اللسان ، الحافظ
للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمك مكرّ فراسياب وقلّة وفائه فلم تفعل
ما أمرتك بل مضيت في نومك حتى احتوشتك^(١) الليوث من مقاتلتنا وأبناء
مملكنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفנית آل ويسغان !
فويل لحلمك^(٢) وفهمك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنّا بك اليوم لمؤجعون!

ولم يزل كيخسرو يرثي فيران حتى صار إلى علم بي بن جوذرز ، فلما وقف
عليه وجد بروا بن فشنجان حياً أسيراً في يدي بي ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا
قاتل سیاوخش المائل به عند قتله إياه . فقرّب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسه
بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذي أمكنني منك يا بروا ! أنت
الذي قتلت سیاوخش ، ومثّلت به ! وأنت الذي سلبته زينته^(٣) وتكلّفت
من بين الأتراك إبارته ، ففرست لنا بفعلك هذه الشجرة من العداوة ، وهيجت
بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت في كلا الفريقين ناراً موقدة ! أنت الذي جرّى
على يديك تبديل صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيبت أيها التركي بجماله !
ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتلك وقوتك اليوم ! وأين
أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلك لقتلك إياه ، بل لكلفتك وتولييك
ما كان صلاحاً لك ألا تتولاه ، وسأقتل من قتله بغيه وجرمه .

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حياً ثم يذبح ففعل ذلك به بي ، ولم يزل كيخسرو
يحر بعلم علم ، وأصبهيد أصبهيد ، فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو
ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا بيرزافره عمّه ، فلما
دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأظهر له السرور بقتله جلياذ بن ويسغان مبارزة ،
ثم أجزل بجائزته وملكه على كيرمان ومكران ونواحيها ، ثم دعا بجوذرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .

(٢) ن : « لملك » .

(٣) ح : « رتبه » .

دخل عليه قال له : أيها الأصبهنيّ الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فمن ربنا عز وجل ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وبذلك نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذخور لك عندنا ، وقد حبوّنناك بالمرتبة التي يقال لها «بُزُرُ جفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجرّجان وجبالهما ، فأحسن رعاية أهلها .

٦١٤/١

فشكر جوذر ذلك ، ونصرّج من عنده بهيجاً مسروراً ، ثم أمر بالوجه من أصبهان الذين كانوا مع جوذر من حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلاذان ، وبي ، وشادوس ونام ، وخدمير بن جوذر ، ويزن بن بي ، وبرزه بن بيفغان ، وفروذه بن فامدان وزنده بن شابريغان ، وبسطام بن كزدهمان ، وفرته بن تفارغان . فدخلوا عليه ٦١٥/١ رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملكه على البلدان الشريفة ، ومنهم من خصّه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاد وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكراً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجذوا في محاربة القوم ، وأن يوافقوه بموضع سماه لهم من بلاد الترك . فزعموا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه من قتل من قتل ، وأسر من أسر ، وخراب ما خرب ما أتاه ، ضاقت عليه المذاهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيدته - وكان ساحراً - فوجهه نحو كيخسرو بالعدة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أن أباه إنما وجهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهانته وتقدّم إليهم في الاحتراس من غيلته .

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيدته وهابته ، وظن ألا طاقة له به ، وأن القتال اتصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهمان عبى يومئذ أصحاب كيخسرو ، فأحسن تعيبتهم ، فكثرت القتل بينهم واستاتت رجال خنيارث وجدّت ، وأيقن شيدته ألا طاقة له بهم فانهزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربة نحرّ منها ميتاً ، ووقف كيخسرو على جيافته ، فعان منها سماجة شنيعة ، وغنم كيخسرو ما كان من عسكرهم ، وبلغ الخبر فراسياب ، فأقبل بجميع

٦١٦/١

طراختته، فلما التقى وكيخسر، ونشبت بينهما حرب شديدة لا يقال إن مثلها كان على وجه الأرض قبلها، فاختلفت رجال خنيارث برجال الترك، وامتد الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء، والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرود وبسطام، ونظر فراسياب وهم يحمون كيخسرو كأنهم أسود ضارية، فانهزم مولياً على وجهه هارباً، فأحصيت القتلى جميعاً ذكر يومئذ؛ فبلغت عدتهم مائة ألف، وجد كيخسرو وأصحابه في طلب فراسياب، وقد تجرد للهرب. فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان، فاستتر في غدير هناك يعرف بئر خاسف، ثم ظفّره، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد، ثم أقام للاستراحة بموضعه ثلاثة أيام، ثم دعاه، فسأله عن عذره في أمر سياوخش، فلم يكن له عذر ولا حجة، فأمر بقتله، فقام إليه بن جوذرز، فذبحه كما ذبح سياوخش، ثم أتى كيخسرو بدمه، فغمس فيه يده، وقال هذا بيرة سياوخش، وظلمكم إياه واعتدائكم عليه. ثم انصرف ٦١٧/١ من أذربيجان ظافراً غانماً بهجاً.

وذكر أن عدة من أولاد كيبه جد كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو في حرب الترك، وأن من كان معه كى أرش بن كيبه، وكان مملّكاً على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش، وكان مملّكاً على كرمان ونواحيها، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبه، وكان مملّكاً على فارس، وكى أوجى هذا هو أبوكى لمراسف الملك، ويقال إن أخاً لفراسياب كان يقال له: كى شراسف، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه، فاستولى على ملكها، وكان له ابن يقال له خرزاسف، فلك البلاد بعد أبيه، وكان جباراً عاتياً، وهو ابن أخى فراسياب ملك الترك الذى كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره^(١) بن قرحين^(٢) بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج^(٣) بن رشيك^(٤) بن أرس بن وندح^(٥) بن رعر بن نودراحاه بن مسواغ بن نوذر بن منوشهر.

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بيوتره، واستقر في مملكته زهد في الملك، وتنسك، وأعلم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلّي من الأمر، فاشتد

لذلك جزعهم ، وعظمت له وحشتهم ، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرعوا ، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده في ذلك شيئاً ، فلما يتسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمت على ما أنت عليه فسم للملك رجلاً نقلده إياه ، وكان هراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه ، فأقبل الناس إلى هراسف ، وذلك بعد قبوله الوصية . وفقد كيخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدرى أين مات ، ولا كيف كانت ميته ، وبعض يقول غير ذلك .

وتقلد هراسف الملك بعده على الرسم الذي رسم له ، وولد كيخسرو : ٦١٩/١

جاماس ، وأسبهر^(١) ، وري ، ورمين .

وكان ملك كيخسرو ستين سنة .

أمر لإسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بنى إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بنى إسرائيل ابنه رُحْبَعُمُ^(١) بن سليمان ، وكان ملكه فيمما قيل سبع عشرة سنة . ثم افترقت ممالك بنى إسرائيل فيما ذكر بعد رُحْبَعُمُ ، فكان أبييَّا^(٢) بن رُحْبَعُمُ ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأسباط ؛ وذلك أن سائر الأسباط ملّكوا عليهم يوربعم^(٣) بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذى كانت زوجة سليمان قرّبتة فى داره ، وكانت قرّبت فيها جرادةٌ لصنم ، فتوعده الله بإزالة بعض المملك عن ولده ، فكان ملك رُحْبَعُمُ إلى أن توفى - فيما ذكر - ثلاث سنين .

ثم ملك أسا^(٤) بن أبييَّا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملك أمرهما - سبط يهوذا وسبط بنيامين - إلى أن توفى ، إحدى وأربعين سنة .

* * *

ذكر خبر أسا بن أبييَّا وزرح الهندى

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ؛ قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل يقال له أسا بن أبييَّا ، كان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج ، وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس

(١) ضبطه ابن خلدون فى (١: ١٤٨) : «براه مهلمة وحاء مهلمة مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهلمة مضمومة وميم» .

(٢) فى ابن خلدون : «أفيا ، وضبطه همزة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لقمهم ، وباء مشناة من تحت شدة بالئف» .

(٣) فى ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ؛ يفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون «بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف بعدها» .

إلى عبادته ، وكان أيباً عابداً أصنام ؛ له صنآن بعدهما من دون الله ، ويدعو الناس إلى عبادتهما ؛ حتى أضلّ عامة بني إسرائيل ، وكان يعبد الأصنام حتى توفى . ثم ملك ابنه أسا من بعده ، فلما ملكهم^(١) بعث فيهم منادياً ينادى : ألا إن الكفر قد مات وأهلُه ، وعاش الإيمان وأهلُه ، وانتكست الأصنام وعبادتها ، وظهرت طاعة الله وأعمالها ، فليس كافر من بني إسرائيل يُطلع رأسه بعد اليوم بكُفْر في ولايتي ودهري ، إلا أنتي^(٢) قاتله . فإن الطوفان لم يُغْرِق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألا نقرّ الله معصية يُعَمَل بها ، ولا نترك طاعة الله إلا أظهرناها جهداً ، حتى نطهر الأرض من نجسها ، ونُنْقِيها من دنسها ، ونجاهد مَنْ خالفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا .

فلما سمع ذلك قومه ضجروا وكرهوا ، فاتوا أمّ أسا الملك فشكوا إليها فعل ابنها بهم وبآلهم ، ودعاهم لياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول في عبادة ربهم ، فتحملت لم أمه أن تكلمته وتصرفته إلى عبادة أصنام والده ؛ فبينما الملك قاعد وعنده أشراف قومه وروسهم^(٣) وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلت أمّ الملك فقام لها الملك من مجلسه ، وأمرها أن تجلس فيه ، معرفةً بحقها ، وتوقيراً لها . فأبت عليه وقالت : لست ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما أمرك به ، وتجيبتني إلى أمر ؛ إن أعطتني فيه رشدت وأخذت بحظك ، وإن عصيتني فحظك بخست ، ونفسك ظلمت . إنه بلغني يا بني أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتهم^(٤) إلى مخالفة دينهم ، والكفر بالهتهم ، والتحول عما كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنة ، وأظهرت فيهم بدعة ؛ أردت بذلك - فيما زعمت - تعظيماً لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفي التقصير يا بني دخلت ، وبالشين أخذت . ودعوت جميع الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبداً ، والضعيف

٦٢١/١

(١) ن : « فلما ملكهم من بعده » . (٢) ح : « أنا » .

(٣) ن : « وروسهم » . (٤) س : « ودعوتهم » .

لك شديداً ؛ سفهت بذلك رأى العلماء ، وخالفت الحكماء ، واتبعت رأى السفهاء . ولعمري ما حملك على ذلك يا بني إلا كثرة طيشك ، وحدائث سنك ، وقلة علمك ؛ فإن أنت رددت على كلامي ، ولم تعرف حتى ، فلست من نسل والدك ، ولا ينبغي الملك لملك . يا بني بأي شيء تدل على قومك ؟ لعلك أتيت من الحروف مثل ما أتى^(١) موسى إلى فرعون ؛ أن غرقه وأنجى قومه من الظلّة . أو لعلك أتيت من القوة ما أوتى داود ؛ أن قتل الأسد لقومه ، وخلق الذئب فشق شدقه ، وقتل جالوت الجبار وحده . أو لعلك أتيت من الملك والحكمة أفضل مما أوتى سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمته مثلاً للباقيين بعده ! يا بني إنه ما يأتيك من حسنة فأنا أحظي الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك .

فلما سمعها الملك اشتد غضبه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمه ! إنه لا ينبغي أن آكل على مائدة واحدة مع حبيبي وعدوي ، كذلك لا ينبغي أن أعبد غير ربّي . هلمّي إلى أمر إن أطعنتني فيه رشدت ، وإن تركته غويت ؛ أن تعبدى الله وتكفري بكل آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يرد هذا على إلا هو الله عدو ، وأنا ناصره لأنى عبده .

قالت له : ما كنت لأفارق أصنامي ، ولا دين آبائي وقومي . ولا أترك^(٢) ذلك لقولك ، ولا أعبد الرب الذي تدعوني إليه .

فقال لها الملك : حيث^(٣) يا أمه ، إن قولك هذا قد قطع فيما^(٤) بيني وبينك رحيمي .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرجوها وغربوها^(٥) ، ثم أوصى إلى صاحب شرطته وبابه أن يقتلها إن هي ألمت بمكانه^(٦) .

فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة ،

(١) كذا في ن ، وفي ط : « أوق » . (٢) ح : « وأترك » .

(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بيني » .

(٥) ر ، ن : « وطبخوا » . غربوها ، أى أبعدوها

(٦) ح : « بمكانها » .

٦٢٣/١ فأذعنوا له بالطاعة ، وأنقطعت فيما بينهم وبينه كل حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمره ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا في أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كل حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرهم . فلما لم يكن لهم عن (١) ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام ؛ ائتمروا بأن يهربوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجهين إلى زرع ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسا ومن اتبعه ؛ فلما دخلوا على زرع سجدوا له ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأي عبيدى (٢) أنتم ؟ قالوا : نحن من أرضك أرض الشام ، وإننا كنا نعتر بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبي حديث السن سفیه ، فغير ديننا ، وسفه رأينا ، وكفر آباءنا ، وهان عليه سخطنا ، فأتيناك لنعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا ؛ ونحن رءوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيبة معيشتها ، كثيرة أنصارها (٣) ، وفيهم الكنوز وملك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحد فيها يتاصبك ، هم دافعون أيديهم إليك بغير قتال ، بأموالهم (٤) وأنفسهم مسالمة .

قال : لهم زرع : لعمرى ، ما كنت لأجيبكم إلى ما دعوتوني إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلهم أطوع لى منكم ، حتى أبعث إليهم من قومي أمناء ، فإن وقع الأمر على ما تكلمتم به قد أرى نفعكم ذلك عندي ، وجعلتكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فإنى منزل بكم العقوبة التى تنبغى لمن كذبنى .

٦٢٤/١

قال القوم : تكلمت بالعدل ، وحكمت بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريت عليهم ، واختار من قومه أمناء ليعيهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته (٥) ، وخوفهم وحذرهم بطشه إن هم كذبوه ،

(١) ن : « على » . (٢) ن : « عبيد » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ح « أنصارها » ، وفى س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدّقوه . وقال زرح : إني مرساكم لأمانتكم ، وشحتكم على دينكم ، وحسن رأيكم في قومكم ، لتطالعوا لي أرضاً من أرضي ، ويبحثوا لي عن شأنها ، وتعلموني عيّن أهلها ومليكها وجنودها وعددها وعدد مياهها ، وفجاجها وطرقها ، ومدخلها ومخارجها ، وسهولتها وصعوبتها ؛ حتى كأني شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوه ، ويشرون منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهّزهم لبرّهم وبحرهم ، ووصف لهم القوم الذين أتوهم ^(١) الطرق ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتى نزلوا ساحل البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوا على ساحل إيلياء ، ثم ساروا حتى دخلوها ، فخلّفوا ^(٢) أنفالم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتهم ، فجعلوا يعطون بالشيء القليل الشيء الكثير ؛ لكيلا يخرجهم من قريتهم ، حتى يعلموا أخبارهم ، ويحقّقوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم . ٦٢٥/١

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بني إسرائيل ألاّ يُقدّر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدّين في دينهم بمكيدة هي أشدّ من النساء ؛ فكانت المرأة التي لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة في رثة الثياب لئلا تعرف ؛ فلما بذل هؤلاء الأماناء بضاعتهم ما ثمنه مائة درهم بدرهم ، جعل نساء بني إسرائيل يشترين خفّية بالليل سرّاً ، لا يعلم بين أحد من أهل دينهن ^(٣) ؛ حتى أنفقوا بضاعتهم واشتروا بها حاجتهم ، واستوعبوا خبر مدينتهم وحصونهم ، وعدد مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هديّة للملك ، وجعل الأماناء يسألون من رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئاً ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشتري منا شيئاً ! إن كان غنياً فإنّ عندنا^(١) من طرائف^(٢) البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه ، وإن كان محتاجاً فما يمنعه أن يشهدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن ! قال لهم من حضرهم من أهل القرية : إن له من الغنى^(٣) والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقدّر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر ، والحلي الذي كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفة موسى ، وما جمع سليمان رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدر على مثلها .

٦٢٦/١

قال الأعماء : فما قتاله ؟ وبأى شيء عظمته ؟ وما جنوده ؟ أرايتم لو أن^(٤) ملكاً انحرف^(٥) عليه ففتق ملكه ما كان إذا قتاله إياه ؟ وما عدته وعدد جنوده ؟ أم بأى الحيل والفرسان غلبته ؟ أم^(٦) من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيته !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلة عدته ، ضعيفة قوته ، غير أن صديقه لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزاها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه .

قال لهم الأعماء : ومن صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجته وقتاله ؟ وكم عدد عساكره ومراكبه ؟ وأين قراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أما مسكنه ففوق السموات العلا ، مستو على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكل شيء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطم على البر ، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها ، لا يرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره^(٧) .

(١) ن : « عندنا » .

(٢) ط : « طرائف » .

(٣) كذا في ن ، ر ، وفي ط : « الغناء » .

(٤) ح : « كان » .

(٥) ن : « انحرف » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « أومن » . (٧) ح : « وصافه » .

فجعل الأمانه يكتبون كل شيء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره ،
فدخل بعض هؤلاء الأمانه عليه فقالوا : يا أيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن
١٢٧/١ نهديا لك من طرائف بلادنا ، أو تشتري منا فنرخصه عليك (١) .

قال لهم : ائتوني بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوه به قال لهم : هل يبقى هذا
لأهله ويبقون (٢) له ؟ قالوا : بل يبقى هذا ويفنى (٣) أهله . قال لهم أسا (٤) :
لا حاجة لي فيه (٥) ، إنما طلبي ما تبقى بهجته لأهله ، لا تزول ولا يزولون عنه .
فخرجوا من عنده ، ورد عليهم هديتهم ، فساروا من بيت المقدس
متوجهين إلى زرح الهندي ملكهم . فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبأوه (٦)
بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق أسا . فلما سمع زرح كلامهم
استحلفهم بعزته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولما يصلون ألا يكتبوه
من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئا . فصدقوه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه ، قال لهم زرح : إن بني
إسرائيل لما علموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعت على عوراتهم ذكروا لكم
صديق أسا وهم كاذبون ؛ أرادوا بذلك ترهيبكم . إن صديق أسا لا يطبق أن
يأتي بأكثر من جندي ، ولا بأكثر من عدتي ، ولا بأقسي قلوبا ولا أجرا
على القتال من قومي ؛ إن لقيتني بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كل من في طاعته أن يجهزوا (٧) من
كل غلاف (٨) جندا بعدتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع
١٢٨/١

(١) ن ، س : « فنرخص » .

(٢) ح : « أو يبقون »

(٣) ط « ويفنون » .

(٤) ن : « قال أسا » .

(٥) س ، ن : « به » .

(٦) ن ، س : « وأنبأوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .

(٨) الغلاف ، قال بالقرية في مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا
الكتاب : « فالغلاف أكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبع لهم
والانتقال لهم ؛ وهو واحد من ألفاظ اليمن ؛ وهي كرهها . . . وقال خاله بن جنبنة : « في كل بلد
غلاف » .

مَنْ سَواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ؛ كتب :
 من زرح الجبار الهندى ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كتبى : أما بعد
 فإن لى أرضاً قد دنا حصادها وأبغث ثمرها ؛ وأردت أن تبعثوا إلى بعمال
 أغتمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قَصَّوْا عني ، وغلبوا على أطراف من أرضى
 وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقيقى ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معى ، فإن
 قصرتُ بكم قوَّة فعندى قوتكم ، فإنه لا تتعطل خزائنى .

فاجتمعوا إليه من كل ناحية ، وأمدَّوه بالخيل والفرسان والرَّجال (١) والعدَّة ؛
 فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء
 عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم .
 وأمر بمائة مركب ، فقيرن (٢) له البغال ، كل أربعة أبغُل جميعاً عليها سرير
 وقبَّة ، وفى كل قبَّة منها جارية ، ومع كل مركب عشرة من الخدم ، وخمسة
 أفيال من فيلته ، فبلغ فى كل عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصته
 الذين يركبون معه مائة (٣) من رؤوسهم ، وجعل فى كل عسكر عرَّفاء (٤) ،
 وخطبهم وحرَّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزَّز وتعظَّم شأنه
 فى قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديق أسا ؟ هل يستطيع أن
 يعصمه منى ؟ أو مَنْ يطيق غلبتى ؟ فلو أن أسا وصديقه ينظران إلى وإلى
 جندى ما اجترأ على قتالى ؛ لأن عندى بكل واحد من جنده ألفاً من جنودى ،
 ليُدخلن أسا أرضى أسيراً ، ولأقدمن بقومه سبيّاً فى جنودى .

فجعل زرح ينتقص (٥) أسا ويقول فيه مالا ينبغى ، فبلغ أسا صنع زرح
 وجمعه عليه ، فدعا ربه فقال : اللهم أنت الذى بقوتك خلقت (٦) السموات
 والأرض ومن فىهن حتى صار جميع ذلك فى قبضتك ، أنت ذو الأناة

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس القوم ؛ سُمى لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « ينتقص » .

(٦) ن : « جملت » .

الرفيعة^(١) والغضب الشديد ، أسألك ألا تذكرنا بخطايانا^(٢) فيما بيننا وبينك ، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق ، فانظر إلى ضعفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قلةنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغم ، وانظر إلى ما فيه عدونا من الفرح والراحة ، ففرق زرحاً وجنوده في اليمّ بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تحلّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأرى أسأ في المنام - والله أعلم - أني قد سمعت كلامك ، ووصل إلى جوارك ، وأنى على عرشى ، وأنى إن غرقت زرحا الهندي وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا من كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر في زرح وقومه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي ، حتى أكفيك مؤنتهم ، وأهب لك غنيمتهم ، وأضع في أيديكم عساكرهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديق أسأ لا يطاق وليه ، ولا يهزم جنده^(٣) ، ولا يخيب مطيعه ، فأنا أمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خوفاً .

فسار زرح ومن معه حتى حلوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا محلة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومحووا مروجها ؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الهرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلياء ، ففرق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلات منهم تلك الأرض : جبالها وسهولها ، وامتلات قلوب أهل الشام منهم رعباً ، وعابنوا هلكتهم .

فسمع بهم أسأ الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيئتهم . فسار القوم الذين بعثهم أسأ حتى نظروا إليهم من رأس تل ، ثم رجعوا إلى أسأ فأخبروه أنه لم تر عيون بني آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلهم ومثل أفيالهم وخيولهم وفرسانهم ؛ وما ظنننا أن في الناس مثلهم كثرة وعدة ، فقلت من إحصائهم عقولنا ، وقلت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

(١) ن : « الرفيعة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .

(٣) ح : « ووليه لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهل القرية فشقوا ثيابهم ، وذرّوا التراب على رؤوسهم ،
وعجّوا بالعويل في أزقتهم وأسواقهم ، وجعل بعضهم يودّع بعضاً . ثم ساروا
حتى أتوا الملك فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم
أيدينا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرّونا في بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله
أن نُلقي بأيدينا^(١) في أيدي الكفرة ، وأن نُخلّي بيت الله وكتابه للفجرة !
قالوا : فاحتلّ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدّنا^(٢)
بنصره^(٣) ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشف عنا هذا البلاء ؛ وإلا
وضعنا أيدينا في أيدي عدونا لعلنا نتخلّص بذلك من القتل .

قال لهم أسا : إن ربي لا يطاق إلا بالتضرّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعله
أن يبيحك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلّي ،
ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المسوح واقترش الرماد ، ثم مدّ يده
يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سجال ، وهو يقول : اللهم
ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفي من خلقك حيث شئت ، لا يدرك قرارك ،
ولا يطاق كنه عظمتك ، أنت اليقظان الذي لا تنام ، والحديد الذي لا تبليك
الليالي والأيام ؛ أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك فأطقت بها عنه
النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدهاء الذي دعاك به نجيتك موسى فأنجيت
بني إسرائيل من الظلمة ، وأعتقتهم به من العبودية ، وسيّرتهم في البرّ^(٤) والبحر ،
وغرقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرّع الذي تضرّع لك^(٥) عبدك داود
فرفعتّه ، ووهبت له من بعد الضعف القوة ، ونصرتّه على جالوت الجبار ،
وهزمتّه . وبالمسألة التي سألك بها سليمان نبيك فنحتّه الحكمة ، ووهبت له
الرفعة ، وملكته على كلّ دابة . أنت محيي الموتي ، ومُفني الدنيا ، وتبقي

(١) س : « أيدينا » .

(٢) ح : « وعدتنا » .

(٣) س : « نصره » .

(٤) كذا في ح ، وفي ط : « في البحر إلى البر » .

(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تفتنى ، وجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهي أن ترحمنى بإجابة دعوتى ؛ فإني أعرج مسكين من أضعف عبادك ، وأقلهم حيلة ، وقد حلّ بنا كرب عظيم ؛ وحزب^(١) شديد ، لا يطيق كشفه غيرك ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بنى إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون : اللهم أجب اليوم عبدك ؛ فإنه قد اعتمص بك وحدك ، ولا تخل بينه وبين عدوك ، واذكر حبه إياك ، وفراقه أمه وجميع الخلائق إلا من أطاعك .

فأتى الله على أسا النوم وهو في مصلاه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت - والله أعلم - فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلم حبيبه ، وإن الله عز وجل يقول : إني قد ألفت عليك محبتى ، ووجب لك نصرى ، فأنا الذى أكفيك عدوك ، فإنه لا يهون من توكل على ، ولا يضعف من تقوى بي . كنت تذكرنى فى الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ، وكنت تدعونى آمناً ، وأنا أسلمك خائفاً ؛ إن الله القوى يقول : أنا أقسم أن لو كابدتلك^(٢) السموات والأرض بمن فيهن لبعثت لك من جميع ذلك مخرجاً ، فأنا الذى أبعث طرفاً^(٣) من زبانيتى يقتلون أعدائى ، فإني معك ، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد .

فخرج أسا من مصلاه وهو يحمده الله ، مسفراً وجهه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأما المؤمنون فصدقوه ، وأما المنافقون فكذبوه ، وقال بعضهم لبعض : إن أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذا لأصلح^(٤) رجله ، ولكن يغرتنا ويمتينا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

فيينا الملك يخبرهم عن صنع الله^(٥) بهم^(٦) إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتم له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

(١) الحزب ، بالفتح : اشتداد الأمر . وفى ح : « وحزن » .

(٢) كذا فى ن ، وفى ط ن : « كابدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .

(٤) ن : « أصلح » .

(٥) س : « عن صنيع » .

(٦) ن : « لهم » .

وكتبَ فيها : أن ادعُ صديقك الذي أضللت به قومك فليبارزني بجنوده ،
وليظهر لي مع ما أتى أعلم أنه لن يطيقني^(١) هو ولا غيره ؛ لأنني أنا زرح
الهندي الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التي قدم بها عليه همّلت عيناه بالبكاء ، ثم دخل مصلاً ،
ونشر تلك الكتب بين يدي^(٢) الله ، ثم قال : اللهم ليس لي شيء من الأشياء
أحبّ إليّ من لقائك ؛ غير أني أتخوف أن يطفأ هذا النور الذي أظهرته
في آيامي هذه ، وقد حضرت هذه الصحائف وعلمت ما فيها ، ولو كنت المراد
بها كان ذلك يسيراً ؛ غير أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك ؛ فحخر^(٣) بغير
فخر ، وتكلّم بغير صدق ، وأنت حاضر ذلك وشاهده .

٦٣٤/١

فأوحى الله إلى أسا - والله أعلم - أنه لا تبديل لكلماتي ، ولا خلُفَ
لوعدي ، ولا تحويل لأمرى ، فانخرج من مصلاك ، ثم مرّ خيلك أن تجتمع ،
ثم اخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نَشْر من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له ، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع
كلّ رجل منهم رهط من قومه ؛ فلما أن خرجوا ، ودّعوا أهاليهم بالألّ يرجعوا^(٤)
إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض ، فأبصروا منها زرحاً وقومه ،
فلما أبصرهم زرح نفّض رأسه ليسخر منهم ، وقال : إنما نهضت من
بلادى ، وأنفقت أموالى لمثل هؤلاء ! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نعتوا
عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتُموني وزعمتم أن قومكم كثير عددهم ! فأمر
بهم وبالأمناء^(٥) الذين كان بعثهم^(٦) ليخبروه خبرهم ، فقَتَلُوا جميعاً ،
وأسا في ذلك كثير تصرّعه^(٧) ، معتصم بربه ، فقال زرح : ما أدري ما أفعل

(١) س : « لم يطيقني » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « قدام الله » .

(٣) كذا في الأصول ؛ وفي ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .

(٤) كذا في ن ؛ وفي ط : « ألا يرجعون » .

(٥) كذا في ن ، وفي ط : « والامناء » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « بعث » .

(٧) كذا في ح ، وفي ط : « التصرع » .

يهؤلاء القوم؟ وما (١) أدري ما قدرُ قِلَّتِهِمْ في كَثْرَتِنَا؟ إني لأَسْتَمِلْتَهُمْ عن المحاربة؛ وأرى ألاَّ أَقاتِلَهُمْ (٢).

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقك الذي كنت تعدنا به ،
وتزعم أنه يخاضك مما يحلّ بكم من سَطَوَاتِي! أنتضعون أيديكم في يدي فأمضي
فيكم حكيمى ، أو تلتصون قتلى!

فأجابه أسا فقال : يا شقى ، إنك لست تعلم ما تقول ، ولست تدري! ٦٣٥/١
أتريد أن تغالب ربك بضعفك ، أم تريد أن تكاثره بقلتك ؟ هو أعزّ شيء
وأعظمه ، وأغلبُ شيء وأقهره ، وعبادُه أذلُّ وأضعف عنده من أن ينظروا
إليه معاينة . هو (٣) معى في موقفي هذا ، ولن يغلب أحدٌ كان الله معه .
فاجتهد يا شقى بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن
يرموهم بنشأهم . فبعث الله ملائكة من كل سماء - والله أعلم - عوناً (٤)
لأسا وقومه ، ومادة له ، فوقفهم أسا في موافقهم ، فلما رموا نشأهم ، حال
المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلعت ففتحها
الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قوم زرح ، فأصابت كل رجل
منهم نشأته التي رمى بها ، فقتل رماهم بها كلها وأسا وقومه في كل ذلك يحمّدون
الله كثيراً ، ويعجبون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم - والله أعلم - فلما
رآهم الشقى زرح وقع الرعب في قلبه ، وسقط في يده ، وقال : إن أسا لعظيم
كيده ، ماضٍ سحره ، وكذلك بنو إسرائيل ، حيث كانوا لا يغلب سحرهم
ساحر ، ولا يظنّ مكرهم عالم ؛ وإنما تعلّموه من مصر ، وبه ساروا في البحر ،
ثم نادى الهندي في قومه : أن سلّوا سيوفكم ، ثم احمّلوا عليهم حملة واحدة .
فدقّ قوهم .

فسلّوا سيوفهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير
زرح ونسائه ورفيقه .

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أنى لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا في ح ، س ، وفي ط : « وبعو » . (٤) ن : « أعواناً » .

١٣٦/١ فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارّاً هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا
 ظهر علانية ، وأهلكنى صديقهُ سرّاً ، وإنى كنتُ أنظر إلى أسا ومنّ معه واقفين
 لا يقاتلون والحرب واقعة فى قومى .

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولّى مدبراً قال : اللهم إن زرحاً قد ولّى مدبراً ،
 وإنك إن لم تحلّ بينى وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى
 أسا : إنك لم تقتل منّ قتل منهم ولكنى قتلتهم ، فقِفْ مكانك ، فإنى لو
 خلّيت بينك وبينهم أهاكوكم جميعاً ؛ إنما يتقلب زرح فى قبضتى ، ولن
 ينصره أحد منى ، وأنا لزرح بالمكان الذى لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلاً ؛
 وإنى قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك
 إذ اعتصمت بى ، ولا ألتمس منك أجراً على نصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الحرب ، ومعه مائة ألف ، فهيتوا
 سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا فى البحر بعث الله الرياح من أطراف
 الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه ، وضربت
 السفن بعضها بعضاً حتى تكسرت ؛ ففرق زرح ومن كان معه ، واضطربت
 بهم الأمواج حتى فرغ لذلك أهل القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا
 من يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه - والله أعلم - أن اهبط أنت وقومك أهل
 قراكم ، فخلوا ما غنمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإنى قد سوغت
 كل من أخذ من هذه العساكر شيئاً ما أخذه . فهبطوا يحمدون الله
 ويقدمونه ، فقتلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم .

١٣٧/١

* * *

ثم ملك بعده يهوشافاظ^(١) بن أسا إلى أن هلك خمسا وعشرين سنة .

(١) يهوشافاظ : « بياض مفتوحة مشاة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها
 ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون فى ١ : ١٤٩ . وفى ابن الأثير
 : ١٤٣ : « سافاظ » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا (١) ابنة عمرم أم أنخزيا (٢) ، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش (٣) بن أنخزيا ، فإنه سئير عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أنخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذي قتل جدته ، فكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا (٤) بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة ،

ثم ملك عوزيا (٥) بن أموصيا — وقد يقال لعوزيا : غوزيا — إلى أن توفي ، اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام (٦) بن عوزيا إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز (٧) إلى أن توفي . وقيل إنه صاحب شعيا الذي

أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله ، وأمر شعيا بإعلامه ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته

اسمه صديقة .

(١) ح : « غزليا » . ن : « غزليا » ، وفي ابن الأثير : « عزليا » .

(٢) وفي ابن خلدون : « أنخزيا هو » ، بهزة مفتوحة وحاء مهيّلة مضمومة وزاى معجمة ساكنة ، ثم ياء مشناة تحتية ؛ بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً .

(٣) ابن خلدون : « يواش » .

(٤) في ابن خلدون : « أمصيا » ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي ، بعدها ياء مشناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً .

(٥) في ابن خلدون : عزيا هو ، « بين مهيّلة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة وياه

مشناة تحتانية تجلب ألفاً وحاء تجلب واواً » .

(٦) في ابن خلدون : « يواش » .

(٧) أحاز ، « بهزة مفتوحة مائة وحاء مهيّلة تجلب ألفاً وزاى معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

ذكر صاحب

قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل واحداهم وما هم^(١) فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَنْغَلُنَّ عُلوًّا كَبِيرًا ﴾ - إلى - ﴿ وَجَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطفاً عليهم ، محسناً إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة^(٣) ، وكان الله إذا ملك الملك عليهم ، بعث نبياً يسدّده ويرشده ، فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدث إليه في أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذي بشر بعيسى ومحمد ، فلك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكه ، وعظمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاءه النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بني إسرائيل ، إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية ، وقد هأبهم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبي عليه السلام :

(١) التفسير : « ما هم » . (٢) سورة الإسراء ٤ - ٨

(٣) ابن الأثير : « صديقا » .

لم يأتي وحى حدّث إلى نبيّ شأنك .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبيّ : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته ، ويستخلف على ماكده منّ يشاء من أهل بيته . فأتى النبيّ شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربّك قد أوحى إلىّ أن أمرك توصي وصيتك ، وتستخلف منّ شئت على (١) الملك من أهل بيتك ، فإنك ميت . فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل (٢) على القبلة ، فصلّني وسبّح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص ، وتوكل وصبر ، وظنّ صادق : اللهم ربّ الأرباب ، وإله الآلهة ، القدّوس (٣) المتقدّس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحم ، الرعوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكّرني بعملى وفعلى وحنّ قضائى على بنى إسرائيل ، وذلك كلّهُ كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى وسرى وعلانيّتى لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره (٤) أن يخبر صديقة الملك أن ربّه قد استجاب له وقبّل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجداً ، وقال : يا إلهى وإله آبائى ؛ لك سجّدت وسبّحت ، وكرّمت وعظمت . أنت الذى تُعطى الملك منّ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ منّ تشاء ، وتذلّ منّ تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ، ورحمت تضرّعى .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فيامر عبداً من عبيده ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفي ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشئى . وقال الملك لشعيا النبيّ : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعلدونا هذا . فقال الله لشعيا النبيّ : قل له إني قد كفيّتك عدوك ، وأنجيّتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلّهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه .

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٢) ن : « استقبال القبلة » .

(٣) ساقطة من التفسير .

(٤) التفسير : « قلموس المتقين » .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ، فلما رأهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم (١) ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي ، فلم أطع مرشداً ولم يلقيني في الشقوة إلا قلة عقلي ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي . فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومن معك إلى ما هو شر (٢) لك ولئن معك لتزدادا (٣) شقوة في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنبذوا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولتدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته (٤) ! .

* * *

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير ، لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي : أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرّمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » .

(٢) ح : « والتفكير » لما هو شر .

(٣) ت : « لتزدادا » .

(٤) ح : « قتله » .

بابل، قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم، فلم تطعنا؛ وهى أمة لا يستطيعها أحد من^(١) ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا به، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات^(٢).

• • •

وقد زعم بعض أهل الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه سنحاريب كان أعرج، وكان عرجه من عرق النساء، وأن سنحاريب إنما طمع فى مملكته لزمانته وضعفه، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل؛ يقال له ليفر^(٣)، وكان بختنصر ابن عمه كاتبه، وأن الله أرسل عليه ريحاً أهلك جيشه، وأفلت هو وكاتبه، وأن هذا البابى قتله ابن له، وأن بختنصر غضب لصاحبه، فقتل ابنته الذى قتل أباه، وأن سنحاريب سار بعد ذلك إليه، وكان مسكنه بينينوى مع ملك أذربيجان يومئذ؛ وكان يدعى سلمان الأعسر، وأن سنحاريب وسامان اختلفا، فتحاربا حتى تفانى جندهما، وصارما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل.

وقال بعضهم: بل الذى غزا حزقيا صاحب شعيا سنحاريب ملك الموصل؛ ٦٤٣/١
وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكاً، فقتل من أصحابه فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل. وكان ملكه إلى أن توفى تسعاً وعشرين سنة.

• • •

ثم ملك بعده - فيما قيل - أمرهم مینشاً^(٤) بن حزقيا إلى أن توفى، خمسا وخمسين سنة.

ثم ملك بعده أمون^(٥) بن مینشاً إلى أن قتله أصحابه، اثنتى عشرة سنة.

(١) التفسير: مع ربهم.

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨ ، ١٩ (بولاق).

(٣) ن : « ليفر ».

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مكسورة رذون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف ».

(٥) ضبطه ابن خلدون : « همزة قرينة من العين والميم مضمومة تجانب واو أو ثم ذون ».

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر ،
إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهواحاز بن يوشيا^(١) ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه
إلى مصر ، وملك فرعون الأجدع يواقيم^(٢) بن ياهواحاز على ما كان عليه
أبوه ، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه ، فكان يواقيم يجبي ذلك فيما زعموا -
من بني إسرائيل ، ويحمله - فيما زعموا - اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك أمرهم من بعده يواحين^(٣) بن يواقيم ، فغزاه بختنصر ، فأسره
وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملك مكانه متنيا^(٤) عمه
وسماه صديقيا^(٥) فخالفه ، فغزاه فظفر به ، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح
ولده بين يديه ، وسمل عينيه وحرب المدينة والهيكل ، وسبى بني إسرائيل ،
وحملهم إلى بابل ، فكثوا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب
ابن أسب ، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم ؛ وذلك أن أمه أشر ابنة
جاويل - وقيل : جاويل - الإسرائيلي ، فكان جميع ما ملك صديقيا مع الثلاثة
الأشهر التي ملك فيها يواحين - فيدا قيل - إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن هراسب ، وعامله على ذلك
كله بختنصر .

• • •

وذكر محمد بن إسحاق ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
عنه : أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبره ، لما قبضه الله مرج

(١) ضبطه ابن خلدون : « يياه مشاة تحتية مضمومة تجلب وأوا بعدما شين مكسورة
ثم ياه مشاة تحتية بفتحة تجلب ألفاً » .

(٢) ت : « يواقيم » ، وفي س : « يواقيم » . وفي ابن خلدون : ألياقم ، وضبطه « همزة
مفتوحة ولام ساكنة وياء مشاة تحتانية يجلب فتحتها ألفاً رقاد مكسورة تجلب ياه ثم ميم » .

(٣) ت ، س ، ن : « يواحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بيم مفتوحة وياء مشاة فوقاية مفتوحة مشددة ، ونون ساكنة ،
وياء مشاة تحتانية تجلب ألفاً » .

(٥) ابن خلدون : « صديقا » .

أمرُ بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه ، ونبئهم شعياً معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله فيما بلغنا — لشعياً : قم في قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي ، فوعظهم وذكرهم وخوفهم الغيّر ، بعد أن عدد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرضهم للغيّر .

قال : فلما فرغ شعياً إليهم من مقالته عدّ وأُ عليه فيما بلغني — ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقبته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها .

* * *

وقد حدثني بقصة شعياً وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

ذكر خبر هراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس هراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن
كيفاشين ، باختيار كيخسرو إياه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن
مؤثرون البرّ على غيره . واتخذ سريراً من ذهب مكلّلاً بأنواع الجواهر للجلوس
عليه ، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ^(١) ، ومماها الحسناء ، ودوّن
الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمرا الأرض واجتبي الخراج
لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصر ، وكان اسمه بالفارسية - فيما قيل - بخرشه .

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك هراسب - وهو ابن أنخى قبوس -
فبنى مدينة بلخ ، فاشتدت شوكة الترك في زمانه ، وكان منزله ببلخ
يقاتل الترك . قال : وكان بختنصر في زمانه ، وكان أصبهيد ما بين الأهواز
إلى أرض الروم من غربى دجلة ، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها
ووجه قائداً له ، فأتى بيت المقدس فصالح^(٢) ملك بنى إسرائيل ، وهو رجل
من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل
على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل ونحذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد
بختنصر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وأن يضرب
أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ
المدينة عنوة ، فقتل مقاتلة ، وسبي الذرية .

٦٤٦/١

قال : وبلغنا أنه وجد في سجن بنى إسرائيل لإرميا النبي ، وكان الله تعالى
بعثه نبياً - فيما بلغنا - إلى بنى إسرائيل . يحدّثهم ما حلّ بهم من بختنصر ،

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ؛
قيل أول من بناها هراسب الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها » .
(٢) س : « نصالحه » .

وَيُعَلِّمُهُم أَنَّ اللَّهَ مَسَلَطٌ عَلَيْهِمْ مَن يَقتل مقاتلتهم، وَيَسْبِي ذراريهم، إن لم يتوبوا ويتزوعوا عن سيئ أعمالهم . فقال له بختنصر : ما خطبُك ؟ فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذّرهم الذي حلّ بهم ، فكذبوه وحسوه . فقال بختنصر : بشس القوم قومٌ عصوا رسول ربّهم ! وخطى سبيله ، وأحسن إليه . فاجتمع إليه مَن بقى من ضعفاء بني إسرائيل ، فقالوا : إنا قد أسأنا وظلمنا ، ونحن نتوب إلى الله مما صنعنا ، فادع الله أن يقبل توبتنا . فدعا ربّه فأوحى إليه أنهم غيرُ فاعلين ، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة ، فأخبرهم بما أمرهم الله به ، فقالوا : كيف نقيم ببلدة قد خربت وغيض الله على أهلها ! فأبوا أن يقيموا ، فكتب بختنصر إلى ملك مصر : إن عبداً لي هربوا مني إليك ، فسرّحهم^(١) إلىّ ، وإلا غزوتك وأوطأت بلادك الخيل . فكتب إليه ملك مصر : ما هم بعبيدك ؛ ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار ؛ فغزاه بختنصر فقتله ، وسبى أهل مصر ، ثم سار^(٢) في أرض المغرب ، حتى بلغ أقصى تلك الناحية ، ثم انطلق بسبى كثير من أهل فلسطين والأردن ، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء .

٦٤٧/١

قال : وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ، ونزل بعضهم أرض الحجاز ببيثرب ووادى القرى ، وغيرها .

* * *

قال : ثم أوحى الله إلى إرميا—فيما بلغنا : إننى عامر بيت المقدس فأخرج إليها ، فانزلها . فخرج إليها حتى قدمها وهي خراب ، فقال في نفسه : سبحان الله ! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة ، وأخبرني أنه عامرُها ، فمتى يعمر^(٣) هذه ، ومتى يحييها الله بعد موتها ! ثم وضع رأسه فنام ومعه حمامه وسلّة فيها طعام ، فكث في نومه سبعين سنة ، حتى هلك بختنصر والملك الذي فوقه ،

(١) ح : « فرحهم » .

(٢) ط : « سار » ، وما أثبت من ن .

(٣) ح : « يعمرها » ، ت : « يعمر هذا » .

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملكاً لهراسب مائة وعشرين سنة . وملك بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنأدى في أرض بابل في بني إسرائيل : إن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنى مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث في نومه ذلك ، حتى تمت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

٦٤٨/١

قال : وأقام بنو إسرائيل بيت المقدس وردّ إليهم أمرهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت ، الذي تزعم المجوس أنه نبئهم ، وكان زرادشت سفيماً زعم قوم من علماء أهل الكتاب - من أهل فلسطين ، خادماً لبعض تلامذة إرميا النبي خاصة به (١) ، أثيراً عنده ، فخانه فكدب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب ، وهو ببلخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقصر الناس على الدخول فيه ، وقتل في ذلك من رعيته مقتلة عظيمة ، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنى عشرة سنة (٢) .

وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبري ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منشهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كشتاسف ، وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم - وهو من نسل منشهر أيضاً - يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية ؛ وكانه جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان ثلاثين سنة من دولة كهراسف . وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحياً ، كتب في اثني عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاسف وضع ذلك في هيكل بياصطغر ؛ وركل به الهرايطة ؛ ومنع من تعليقه العامة » . ونقل عن المسموي أن ذلك الكتاب يسمى نسياء » .

كان محموداً في أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شهراً^(١) ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر في تشييد البنيان ، وشق الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرون له أنه ملك الملوك هيبة له وحذراً .

٦٤٩/١

قال : ويقال : إن بختنصر حمل إليه من أوريشليم^(٢) خزائن وأموالاً ، فلما أحس بالضعف من قوته ملك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوضه إليه ، وكان ملك لهراسب - فيما ذكر - مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه «بخترشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جودرز ، وأنه عاش دهرأ طويلاً تجاوزت مدته ثلاثمائة سنة ، وأنه كان في خدمة لهراسب الملك ، أنى بشتاسب ، وأن لهراسب وجهه إلى الشام وبيت المقدس ليحلبني عنها اليهود . فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب في خدمة ابنه بشتاسب ، ثم في خدمة بهمن من بعده ، وأن بهمن كان مقيماً بمدينة بلسخ - وهي التي كانت تسمى الحسناء - وأنه أمر بخترشه بالتوجه إلى بيت المقدس ليحلبني اليهود عنها ، وأن السبب في ذلك وثوب صاحب بيت المقدس على رسل كان بهمن وجههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخترشه فلما على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والتفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة^(٣) داريوش^(٤) بن مهري ، من ولد ماذى بن يافت بن نوح ، وكان ابن أخت بخترشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ،

(١) إيران شهر ، بالكسر وراء وألف وفون ساكتين وفتح الشين المعجمة وهاء ساكنة وألف : هي بلاد العراق وفارس والحبال وخراسان ، يحملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشليم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة - ويروى بالفتح - وسيم : هذا هو اسم البيت المقدس بالعبرانية ؛ إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت ، س : « داريوش » .

وكان خازنًا على بيت مال بهمن، وأخشوئرش^(١) بن كيرش بن جاماسب الملقب بالعالم، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب. فضم بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضم إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلاثمائة رجل، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له في أن يفرض^(٢) ما احتاج إليه، وفي إثباتهم. ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل، فأقام بها للتجهز^(٣) والاستعداد سنة، وانفتحت إليه جماعة عظيمة، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك، الذي كان بالشام وبيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب، صاحب الموصل وناحيتها، بن داريوش بن عبيري^(٤) بن تيري^(٥) بن روبا^(٦) ابن رابيا^(٧) بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن قودي^(٨) بن همول^(٩) بن دري بن قمائل^(١٠) بن صاما بن رغما^(١١) بن عمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا^(١٢) وبنو إسرائيل إلى جده سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسل إليه بذلك، فقدمه في جماعة كثيرة، ثم أتبعه، فلما توافقت العساكر ببيت المقدس، نُصِرَ بخترشه على بني إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة، فسباهم، وهدم البيت وانصرف إلى بابل، ومعه يوياحن^(١٣) بن يوياقيم ملك بني إسرائيل في ذلك الوقت، من ولد سليمان بعد أن ملك متنيا عم يوحينا، وسماه صدقيا.

(١) ت : « أخشونش » : س : « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .

(٢) ن : « يمرض » .

(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتجهز » .

(٤) كذا في س : ، ت « عبيري » ، وفي ط مهمل .

(٥) كذا في ح ، وفي ت : « تيري » ، وفي ط مهمل .

(٦) كذا في س ، وفي ت : « روبا » وفي ح : « وروبا » . (٧) كذا في ت .

(٨) كذا في س ، وفي ت « قودي » . (٩) ح : « هفول » .

(١٠) ح : « قمائل » . (١١) س : « زعما » .

(١٢) ح : « حزقيا » ، ت « حزقييل » ، ن : « حريفيا » .

(١٣) ت : « يوحينا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصر ثانية فظفر به ، وأخرب (١) المدينة والهيكل ، وأوثق صدقيا ، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمَل عينيه . فهكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصر - المسمى بخرشه - على بيت المقدس إلى أن مات - في قول هذا الذي حكينا قوله - أربعين سنة .

• • •

ثم قام من بعده ابن يقال له أولرودخ ، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن أولرودخ سنة ، فلما ملك ٦٥٢/١ بلتشصر خلط في أمره ، فعزله بهمن وملك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش الماذوي ، النسوب إلى ماذى بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمي ، من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذى عند ما مضى جامر إلى المشرق ؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق (٢) بنبي إسرائيل ، ويطلق لهم التزول حيث أحبوا ، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولّى عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال النبي عليه السلام ، فولى أمرهم ، وكان ملك كيرش على بابل وما يتصل بها (٣) ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون - من وقت غلبة بختنصر إلى انقضاء أمره وأمر ولده وملك كيرش الغيلمي - معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصر ، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قبيل بهمن رجل من قرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخرشه عند توجهه إلى الشام من قبيل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصر محموداً ، فولاه ذلك الوقت بابل وناحيتها ؛ وكان السبب في ولايته - فيما زعم - أن رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السند والهند ٦٥٢/١

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .

(٢) ح : « أن ترفق » .

(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كرادشير^(١) بن دشكال خالفه ، ومعهم من الأتباع ستمائة ألف ، فولّى بهم
أخشويرش^(٢) الناحية ، وأمره بالمسير إلى كرادشير ، ففعل ذلك وحاربه ،
فقتله وقتل أكثر أصحابه ، فتابع له بهمن الزيادة في العمل ، وجمّع له بطوائف
من البلاد ، فلزم السوس^(٣) ، وجمع الأشراف ، وأطعم الناس اللحم ، وسقامهم
الحمر ، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر ، وعقد لمائة وعشرين
قائداً في يوم واحد الأثوية ، وصيّر تحت يد كل قائده ألف رجل من أبطال
الهند الذين يتعدّل الواحد منهم في الحرب بمائة رجل ، وأوطن^(٤) بابل ،
وأكثر المقام بالسوس ، وتزوج من سبئي بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتر ابنة
أبي جاويل ، كان ربّاهَا ابن عمّ لها يقال له مردنخي ، وكان أخاها من الرضاعة ،
لأن أمّ مردنخي أرضعت أشتر ، وكان السبب في تزوّجه إياها قتله امرأة كانت
له جلييلة جميلة خطيرة ، يقال لها وشتا^(٥) ، فأمرها بالبروز ليزاها الناس ،
ليعرفوا جلالتها وجمالها ، فامتنعت من ذلك فقتلها ، فلما قتلها جزع لقتلها
جزعاً شديداً ، فأشير عليه باعتراض نساء العالم ، ففعل ذلك ، وحبّبت إليه أشتر
صنعاً لبني إسرائيل ، فترعم النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابناً
فسماه كيرش ، وأن ملّك أخشويرش كان أربع عشرة سنة ، وقد علّمه مردنخي
التوراة ، ودخل في دين بني إسرائيل ، وفهم عن^(٦) دانيال النبي عليه
السلام ومن كان معه حينئذ ، مثل حننيا وميشايل وعازريا ، فسألوه بأن
يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال : لو كان معي منكم ألف نبيّ
ما فارقني منكم واحد ما دمت حياً . وولّى دانيال القضاء ، وجعل إليه
جميع أمره ، وأمره أن يُخْرِج كلَّ شيء في الخزائن مما كان يختصّر أخذه
من بيت المقدس ويردّه ، وتقدم في بناء بيت المقدس ، فبُني وعمّر في أيام

٦٥٤/١

(١) س : « كراذشير » .

(٢) س : « إخشوارش » .

(٣) ضبطه ياقوت : « يضم أوله وسكون نازيه ، وسين مهملة أخرى ، بلفظ السوس الذي

يقع في الصوف » . وقال : « بلدة بجزرستان ، فيها قبر دانيال النبي عليه السلام » .

(٤) أوطن بابل : اتخذها محلاً وسكناً .

(٥) ت ، س : « وشتا » .

(٦) ح : « أمر » ، ت : « من » .

كيرش بن أنخشوريش . وكان ملك كيرش ، مما دخل في ملك بهمن وخرماني
اثننتين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش ، وكان موت كيرش
لأربع سنين مضيئة من ملك خرماني ، فكان جميع ملك كيرش بن أنخشوريش
اثننتين وعشرين سنة .

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصر وما كان من أمره وأمر
بني إسرائيل .

وأما السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة ؛ فمن ذلك
ما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج
عن ابن جريج ، قال : حدثني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، أنه سمعه يقول :
كان رجل من بني إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا
لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال :
ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أي رب ، أرني هذا الرجل الذي جعلت
هلاك بني إسرائيل على يديه . فأرني في المنام مسكيناً يبائل يقال له بختنصر ،
فانطلق بمال وأعبده له - وكان رجلاً موسراً - فقيل له : أين تريد ؟ فقال :
أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيره ، فجعل
يدعو المساكين (٢) ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه ، فقال :
هل بقي مسكين غيركم (٣) ؟ فقالوا : نعم مسكين بفتح آل فلان مريض ، يقال
له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا بنا ، فانطلق (٤) حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟
قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فراضه حتى برئ ، وكساه
وأعطاه نفقة ، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي :
ما يبكيك ؟ قال : أبكي أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزئك !

(١) سورة الإسراء ٥٥ .

(٢ - ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقي . . . »

(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أظعتنى (١) . فجعل الأخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمتُ ما يمنحك أن تعطيتني ما سألتك ؛ إلا أن الله عز وجل يريد أن يُنفذ ما قضى وكتب في كتابه .

و ضرب الدهر من ضربه (٢) ، فقال صيحون (٣) ، وهو ملك فارس ببابل : لو أننا بعثنا طليعة إلى الشام ! قالوا : وما ضرك لو فعلت ! قال : فن ترون ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا لياكل في مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلدأ ، فكسره (٤) ، ذلك في ذرعه ، فلم يسأل ؛ فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى تنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبر متقدم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلاناً لمأ رأى أكثر أرض الله كراعاً ورجلاً جلدأ ، كسر ذلك في ذرعه (٥) ، ولم يسأل عن شيء ، وإني لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا — الذي ذكره سعيد بن جبير أنه قال لهم — فقال (٦) متقدم الطليعة لبختنصر : فضحتني ! لك مائة ألف وتترع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعته . و ضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدة نخيل إلى الشام ، فإن وجلوا مساعفاً ساغوا ، وإلا امتشوا (٧) ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرك

٦٥٦/١

٦٥٧/١

(١) م : التفسير : « أعطيتني »

(٢) ح : « ما ضرب » .

(٣) ح ، والتفسير : « صبور » .

(٤) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٥) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٦) التفسير : « قال لهم » .

(٧) امتشوا : انزعوا .

لو فعلت ! قال : فن° ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى ، فدعا بختنصر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا ، ورعى فى جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : على رسلكم حتى يأتى أصحابكم ، فإنهم فرسانكم ، أن ينغصوا عليكم شيئاً ! فأهلكوا حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه ، فقسمة فى الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا ! فلكوه^(١) .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصر إلى بنى إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .
 . ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى الحديث الذى ذكرنا إسناده قبل : أن بختنصر بعثه صيحاتين لحرب بنى إسرائيل حين قتل ملكهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحاتين قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال - فيما بلغنى : استخلف الله عز وجل على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبياً ، واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون .

* * *

وأما وهب بن منبه فإنه قال فيه ما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن مغفل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ٢٢ - ٢٣ (بولاغ)

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن لا يتهم
 عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول : قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه
 نبيا إلى بني إسرائيل : « يا إرميا ، من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن
 أصورك في بطن أمك قد سئلتك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ،
 ومن قبل أن تبلغ السعى نبيتك ^(١) ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ^(٢) ،
 ولأمر عظيم اجتبيتك ^(٣) . » فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل
 يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قبيل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا
 المحارم ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم من حاربي وجنوده ،
 فأوحى الله عز وجل إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، فاقصص عليهم
 ما أمرك به ، وذكركم نعيمي عليهم ، وعرفهم إحداهم . فقال إرميا : إني
 ضعيف إن لم تقوتي ، عاجز إن لم تبلغني ، مخطئ إن لم تسدّ دني ، مخذول
 إن لم تنصرتي ، ذليل إن لم تعزتي . قال الله عز وجل : ألم تعلم أن الأمور كلها
 تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلها والألسن بيدي ، أقلبها كيف شئت
 فطبيعي ! وأني أنا الله الذي لا شيء مثل ، قامت السموات والأرض وما فيهن
 بكلمتي ، وأنا كلّمت البحار ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت ^(٤) أمرى ،
 وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدّى حدّي ، تأتي بأموج كالجبال ، حتى
 إذا بلغت حدّي ألبستها مذلة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمرى ، إني معك ولن
 يصل إليك شيء معي ؛ وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقتي لتبلغهم
 رسالاتي ، ونستحق ^(٥) بذلك مثل أجر من أتبعك منهم ، لا ينقص ذلك من
 أجورهم شيئاً ، وإن تقصّر به عنها تستحق بذلك مثل وزر من تركت في
 عماء ؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر

(١) التفسير : « نبأتك » .

(٢) التفسير : « اخترتك » .

(٣) التفسير : « اختبأتك » .

(٤) كذا في ن والتفسير ؛ وفي ط : « ففعلت » .

(٥) التفسير : « ونستحق » .

بكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستيبكم^(١) يا معشر الأبناء .
 وسلّمهم كيف وجد آباءهم مغبّة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي !
 وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشقّ بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي !
 وأن اللوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها ، وأن هؤلاء القوم رتّعوا في مروج
 الهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولاً^(٢) يتعبّدونهم دوني ، ويحكمون
 فيهم بغير كتابي^(٣) ، حتى أجهلهم أمري ، وأنسّهم ذكري ، وغرّهم مني .
 وأما أمراؤهم وقادّتهم فبطروا نعمتي ، وأمنوا مكري ، ونسّوا عهدتي ،
 ٦٦٠/١ وغيروا سنّتي ، وادّان^(٤) لم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ، فهم
 يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البِدع التي يتدعون في ديني ، جرّاة
 على وغيرّة ، وفيرية على وعلى رُسلي ، فسبحان جلالى وعلوّ مكاني وعظمة شأنى !
 وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ! وهل ينبغي أن أخلق عباداً أجعلهم
 أرباباً من دوني ! وأما قرّاءهم وفقهاؤهم فيتعبّدون في المساجد ، ويتزيّنون^(٥)
 بعمارها لغيري لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها
 لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فكثيرون مقهورون مغرّون ، يخوضون مع
 الخائضين ، فيتمسّون على مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التي أكرمتهم بها ،
 ويزعمون أن لا أحدَ أوّلَى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر^(٥)
 ولا يذكرون كيف نصر آبائهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمري ، حين
 غيّر المغيرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدقوا حتى عزّ
 أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولت لهم ،
 وصفححت عنهم لعلّهم يرجعون ، وأكثرت ومددت لهم في العمر لعلّهم يتفكرون^(٦) ،
 فأعذرت . وفي كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

(١) ت : « يستيبكم » . ح : « يتبليكم » .

(٢-٣) التفسير : « ليمبدهم دوني ، وتحكموا فيهم بغير كتابي » .

(٣) التفسير : « نادان » .

(٤) كذا في ت ، ن ، و التفسير ، وفي ط : « يتدينون » .

(٥) كذا في التفسير ، وفي ط : « تعبر » .

(٦) التفسير : « يتفكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدو ، فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني . فحى مني هذا ! أبي يتمرسون ! أم إياي يخادعون ! فإني أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنه يتحير فيها الحليم ، ويضلل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم . ثم لأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قِطْع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيرانُ النور ، وكأن حملة فرسانه كزير (١) العقبان .

٦٦١/١

ثم أوحى الله عز وجلّ إلى إرميا أنتى مهلك بنى إسرائيل بياث - وبياث أهل بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام - فلما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقيت (٢) فيه التوراة ، ومن شرّ آياى يوم ولدت فيه ، فما أبقيتُ آخر الأنبياء إلا لما هو شرّ على ، لو أراد بي خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عز وجلّ تصرع الخضر وبكاهه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشقّ عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا ربّ ؛ أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسرّ به ، فقال الله تعالى : وعزّتى (٣) وجلالى لا أهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا آمر ربى بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

ثم أتى ملك بنى إسرائيل فأخبره بما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح ؛ وقال : إن يعدّ بنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمتها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته .

٦٦٢/١

ثم لأنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشرّ ، وذلك حين اقرب هلاكهم ، فقلّ الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين (٤) أظنهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم :

(١) الكزير : صوت فى الصدر كصوت الخنثى . (٢) ن والتفسير : « لقيت » .

(٣) التفسير : « وعزّتى العزيزة » . (٤) ن : « حيث » .

يا بنى إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمستكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمة لهم بكم ، فإن ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه . فأبوا عليه أن يتزعوا عن شئ مما هم عليه . وإن الله ألقى في قلب بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالغ ابن عابر - ونمرود صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذى حاجه فى ربه - أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج فى سبائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ، فلما فصل سائراً أتى ملك بنى إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا ، أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك ألا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر فى ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربى لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عز وجل ملكاً من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفته . ١١٣/١ وأمره بالذى يستفتيه فيه . فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد (١) تمثل له رجلاً من بنى إسرائيل ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من بنى إسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى ، فأذن له ، فقال له الملك : يا نبي الله ، أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى ، وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به ، لم آت إليهم إلا حسناً ، ولم آلهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتى إياهم إلا إسقاطاً لى ، فأفتنى فيهم يا نبي الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصل ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك ، فكث أياماً ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل الذى كان جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال . أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى ، فقال له نبي الله : أو ما طهرت (٢) لك أخلاقهم بعد ، ولم ترمهم الذى تحب ! قال : يا نبي الله ، والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتونها أحد من الناس إلى أهل رحمة

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « قد » بدون الواو ، وفى التفسير : « وكان قد تمثل » .

(٢) طهارة الأخلاق : بعد ما عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبي : ارجع إلى أهلِكَ فأحسن إليهم ، وأسأل الله الذي يُصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويحببكم سخطه (١) . فقام الملك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر (٢) من الجراد ، ففرغ منهم بنو إسرائيل فرعاً شديداً ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل فدعا إرميا فقال : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني بربّي وأثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده ، فقمعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يأن لهم أن يُفيعوا من الذي هم فيه ! فقال الملك : يا نبي الله ، كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن ما لهم (٣) في ذلك سخطي ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبه ، قال له النبي : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله ، رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد غضبي عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكنني غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي هو بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله . قال إرميا : يا ملك السموات والأرض ؛ إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من إرميا أرسل (٤) الله عز وجل صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، وحُصِف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين معادك الذي وعدتني ! فنودي : يا إرميا ؛ إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفثيتك التي أفتيت بها رسولنا . فاستيقن النبي أنها

(١) ح : « ويحببكم من سخطه » .

(٢) ح : « في أكثر » . التفسير : « كأمثال الجراد » .

(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « ما لهم » ، التفسير : « ما بهم » .

(٤) التفسير : « فما خرجت الكلمة من في إرميا حتى أرسل » .

فُتِيَاهِ الَّتِي أَفْتَى بِهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهِ .

وطار (١) إرميا حتى خالطَ الوحوش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرَّب بيت المقدس ؛ ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم تُرسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقتلوا فيه التراب حتى ملئوه . ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبائا بني إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ كُلِّهِمْ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ صَبِيٍّ ، فَلَمَّا خَرَجْتَ غَنَائِمَ جِنْدِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْسِمَهَا (٢) فِيهِمْ ، قَالَتْ لَهُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَكَ غَنَائِمُنَا كُلُّهَا وَأَقْسِمِ بَيْنَنَا هَذِهِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ففعل فأصاب كل رجل منهم أربعة غلطة— وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وحنانيا ، وعزارييا ، وميشائيل — وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبولون ابن يعقوب ، ونفثال بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقى من بني إسرائيل . وجعلهم بختنصر ثلاث فرق ؛ فثلثا أقر بالشام ، وثلثا سسى ، وثلثا قتل . وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بإحداشهم وظلمهم .

٦٦٦/١

فلما ولي بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبائا بني إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوة (٣) وسلّة تين ، حتى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك ، فقال : أتى يحيى هذه الله بعد موتها ! فأماتته الله مائة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثم إن إرميا » . . .

(٢) كذلك في التفسير وق ط : « يقسمهم » .

(٣) ت والتفسير : « زكرة » ، وهي زق صغير من آدم يجعل فيه الشراب .

الله وأمات حمارة معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له :
﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانظُرْ إِلَى طَمَائِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ - يقول لم يتغير - ﴿ وانظرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَمَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا مَا تُمُّ نَكُوهَا لَحْمًا ﴾ (١)
فنظر إلى حمارة يتصل ببعض إلى بعض - وقد كان مات معه - بالعروق والعصب ،
ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم
نظر إلى عصبه وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عاين من
قدرة الله ما عاين ، قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . ثم عمر الله
لأرميا بعد ذلك ، فهو الذي يرى بقلوات الأرض والبلدان (٢) .

٦٦٧/١

ثم إنَّ بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما
هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي كان رأى ، فدعا
دانيال ، وحنانيا وعزارييا ، وميشايل من ذراري الأنبياء ، فقال : أخبروني عن رؤيا
رأيتها ، ثم أصابني شيء فأنساها ، وقد كانت أعجبتني (٣) ما هي ؟ قالوا
له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبروني بتأويلها
لأنزعن أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه ،
وسألوه أن يعلمهم إياها ، فأعلمهم الذي سألم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيت
تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماه وساقاه من فخر ، وركبته وفخذه
من نحاس ، وبطنه من فضة ، و صدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد .
قال : صدقتم . قالوا : فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبتك ، فأرسل الله عليه صخرة
من السماء فدقته ، فهي التي أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا :
تأويلها أنك أريت ملك الملوك ، فكان بعضهم أئین ملكا من بعض ،
وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض ، وبعضهم كان أشد ملكا من بعض ،

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) الخبير في التفسير ١٥ : ٢٩ - ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضا في ٥ :

(٣) ٤٤٧ - ٤٥٤ (المعارف) .

(٣) ح : « كان أعجبتني » .

فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان الحديد كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلكك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته ، نبياً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : أرأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإننا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا على قنّ بهم ، وصرفنّ وجوههنّ إليهم ، فأخرجهم من بين أظهرنا أو أقتلهم ، قال : شأنكم بهم ، فمن أحبّ منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ، فأخرجهم . فلما قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحسن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزارييا ، وميشايل .

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر ، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل : أرأيتم هذا البيت الذي أخرجت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلهم كانوا من ذراريّ الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصواً فسلطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كأنهم بكرمهم ويمتعهم^(١) ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكتهم الله وسلط عليهم غيرهم .

قال : فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلى أطلع إليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً ، فإنني قد فرغت من الأرض ومن فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلنّ أو لأقتلنكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته ليريه

ضعفه وهو انه عليه—بعوضةٌ فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأمّ دماغه ؛ فما كان يتقرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أمّ دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله : إذامت فشقوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلتني ؟ فلما مات شقوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاصّة بأمّ دماغه ليُرى الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى إيلياء المسجد المقدّس ، فبتوا فيه وربّلوا^(١) وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون — والله أعلم — أن الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلحقوا بهم .

• • •

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله ؛ كانت التوراة قد استُبيحت منهم فحرقت وهلكت ، وكان عزير من السبائا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحّد^(٢) منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالقلوات يبكي ؛ فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال : يا عزير ما يبكيك ؟ قال : أبكى على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلّط علينا عدونا ، فقتل^(٣) رجالنا ، وأخرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره — أو كما قال — فعلام أبكى إذ لم أهلك على هذا ! قال : أفتحب أن يردّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصمّ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عزير فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمّد إلى المكان الذي وعده ، فجلس فيه ، فأناه ذلك الرجل بإناء فيه ماء — وكان ملكا بعثه الله إليه — فستاه من ذلك الإناء ، فثلث التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وستنها وفرائضها

(١) ربّلوا : كثر عددهم .

(٢) ح : « وانقطع » .

(٣) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

وحدودها ، فأحبّوه حبّاً لم يحبّوه شيئاً قطّ ، وقامت التوراة^(١) بين أظهرهم ،
 وصلّح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عزّير مؤديّاً لحقّ الله ، ثم قبضه الله على
 ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله
 عليهم فبعث فيهم نبياً كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلمهم ويأمرهم
 بإقامة التوراة وما فيها .

• • •

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبه في أمر بختنصر وبنى إسرائيل وغزوه
 لإياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

(١) ح : « وقام أمر التوراة » .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حدثت عن هشام بن محمد، قال : كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبتهم فيها ، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلا - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا بن أحنيا^(١) بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا - قال هشام : قال الشرقى : وشلتيل أول من اتخذ الطفشيل - أن اثت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم الآلهة دوني ، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي .

قال : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل - وهو « نبوخذ نصر » فعربته العرب - وأخبره بما أوحى الله إليه وقص عليه ما أمره به ، وذلك في زمان معد بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليهم بالتجار والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها .

فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حبيرا^(٢) على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسا وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت إليه طوائف منهم مسالين مستأمنين ، فاستشار بختنصر فيهم برخيا ، فقال : إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن إليهم .

قال : فأنزلم بختنصر السواد^(٣) على شاطيء الفرات ، فابتوا موضع عسكرهم بعد ، فسموه الأنبار^(٤) . قال : وخلصني عن أهل الحبير^(٥) ، فاتخذوها منزلا حياة

(١) كذا في ت ، وفي س : « أحنيا » ، وفي ابن الأثير ١ : ١٥٣ : « أحنيا » .

(٢) الحبير : شبه الحظيرة . (٣) السواد هنا : رستاق العراق .

(٤) مدينة على الفرات ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل إنما سمى الأنبار لأن بختنصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيه » .

(٥) في الأصول : « الحيرة » ، وصوابه من معجم البلدان ٣ : ٣٧٨ .

بختنصر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وبقي ذلك الحير خراباً^(١) .

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم قتلهم ، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء ، وعدا أهل الراس^(٢) على نبيهم فقتلوه ، وعدا أهل حضور^(٣) على نبيهم فقتلوه ، فلما اجتمعوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بختنصر على بني إسرائيل ، فلما فرغ من إخراج المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نفساً ، فأوردهم أرض بابل أرى فيما يرى النائم—أو أمر بعض الأنبياء أن يأمره—أن يدخل بلاد العرب فلا يستحي فيها إنسياً^(٤) ، ولا بهيمة ، وأن ينتسف ذلك نفساً ، حتى لا يبقى لهم أثرًا . فنظم بختنصر ما بين إيلة والأبلة خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذى روح أتوا عليه وقتلوا عليه . وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله قد أنذر قومكما ، فلم ينتهوا ، فعادوا بعد الملوك عبيدا ، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس ، وقد تقدمت إلى أهل عربية بمثل ذلك فأبوا إلا الحاجة ، وقد سلطت بختنصر عليهم لأنقم منهم ، فعليكما بمعد بن عدنان ، الذى من ولده محمد الذى أخرجه في آخر الزمان ، أخيم به النبوة ، وأرفع به من الضعة .

فخرجتا تطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصر ، فلحقا عدنان قد تلقاهما ، فطوياه إلى معد ، ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فحملة برخيا على البراق ، وردف خلفه ، فانتها إلى حران من ساعتها ، وطويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان ، فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق ، فهزم بختنصر عدنان ، وسار في بلاد العرب ، حتى قدم إلى حضور واتبع عدنان ، فانهى بختنصر إليها ،

(١) الخبر في معجم البلدان ٣ : ٣٧٧ - ٣٨٠ ، عن هشام ، وفيه : « فابتنوا في موضعه وسبوا الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً » وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر .

(٢) الراس : بئر ، ويروى أن قوماً كذبوا نبيهم ورسوه في هذه البئر (ياقوت) .

(٣) حضور ، بالفتح ثم الضم : بلدة باليمن ، من أعمال زبيد . . . ونقل ياقوت عن

الهيكل : « لما قصد بختنصر بلاد العرب ودعها وغرب المعمور أتصل الله أهل حضرة » وقال :

« هكذا رواها بالألف الملوثة » . (٤) ت « إنساناً » .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربية إلى حَضُور ، فخذق
 الفريقان ، وضرب بختنصر كمينًا - وذلك أول كمين كان فيما زعم - ثم نادى
 مناد من جوف السماء : يا ثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن
 بين أيديهم ، فقدموا على ذنوبهم ، فنادوا بالويل ، ونهى عدنان عن بختنصر
 ونهى بختنصر عن عدنان ، وافترق من لم يشهد حَضُور ، ومن أفلت قبل
 الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك ، وفرقة قصدت لوبار
 وفرقة حضر العرب ، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
 كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، كافرة الأهل ، فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم
 في آخروقة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الحرب ، ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا ﴾ انتقامنا
 منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم
 ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرَوْا كُضُوبًا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَأَرَجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾
 إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَاكِينِكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ .
 فلما عرفوا أنه واقع بهم أقرؤا بالذنوب ، فقالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . فَمَا
 زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ ١١ ﴾ موقى وقتلى بالسيف

٦٧٤/١

فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربية (٢) فألقاهم بالأنبار ،
 فقيل أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط

فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا حياة بختنصر ،
 فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل صلوات
 الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحجَّ وحجَّ الأنبياء معه ، ثم خرج معد حتى
 أتى ريسوب فاستخرج أهلها ، وسأل عَمَّانَ بَنِي من ولد الحارث بن مُضاضِ
 الجرهمي ، وهو الذى قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيل
 له : بئى جوشم بن جلهمة ، فتزوج معد ابنته معانة ، فولدت له نزار بن معد .

٦٧٥/١

(١) سورة الأنبياء ١١ - ١٥ .

(٢) عربية ؛ بالتحريك ؛ هى فى الأصل اسم لبلاد العرب ؛ اظفر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ما كرهه والحوادث التي كانت
في أيام ملكه التي جرت على يديه ويدغيره من عماله
في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أن بشتاسب بن
كبي هراسب لما عقد له التاج ، قال يوم ملكك : نحن صارفون فكرنا وعملنا
وعلمنا إلى كل ما ينال به البر . وقيل : إنه ابنتي بفارس مدينة قنسا ، وبلاد
الهند وغيرها بيوتاً للنيران ، ووكل بها الهرايذة^(١) ، وإنه رتب سبعة نفر من عظماء
أهل مملكته مراتب ، وملك كل واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت
ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من ملكه فادعى النبوة ، وأراد على قبول
دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدقه ، وقيل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب
ادعاه حياً ، فكُتِبَ في جلد اثني عشرة ألف بقرة حنصراً في الجلود ، ونقشا
بالذهب ، وصيّر بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر ، يقال له دزنيشت ،
ووكّل به الهرايذة ، ومنع تعليمه العامة . وكان بشتاسب في أيامه تلك
مهادناً لخرزاسف بن كبي سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضرب
من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف
دابة موقوفة بمتزلة الدواب التي تنوب^(٢) على أبواب الملوك ، فأشار زرادشت على
بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه ، وبعث إلى الدابة والموكل بها ،
فصرفهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف ، فغضب من ذلك - وكان ساحراً عاتياً -
فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتاباً غليظاً عنيفاً ، أعلمه فيه أنه
أحدث حدثاً عظيماً ، وأنكر قبوله ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه
إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

(١) الهرايذة : هم خدم النار ؛ أو حكام الجويس الذين يصلون بهم ؛ واحده الهريد
(المعرب ٣٥١) . (٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جمع إليه أهل بيته وعظماء أهل مملكته، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن لهراسب. فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، وأعلمه أنه غير مُمَّسِك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض، مع كل واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحصى كثرة، ومع بشتاسب يوهذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل لهراسب جميعاً، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وبيدرفش الساحر، فقتل في تلك الحروب زرين، واشتد ذلك على بشتاسب، فأحسن الغناء عنه ابنته إسفنديار، وقتل بيدرفش مبارزة، فصارت الدبيرة على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خرزاسف هارباً، ورجع بشتاسب إلى بلخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم^(١)، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيَّره في الحصن الذي فيه حبس النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كرمان وسجستان، وصار منها إلى جبل يقال له طميدر^(٢) لدراسة دينه والنسك هناك، وخطف لهراسب أباه مدينة بلخ شيخاً قد أبطله الكبير، وترك خزائنه وأمواله ونسائه مع خطوط امرأته، فحملت الجراسيس الخبر إلى خرزاسف، فلما عرف جمع جنوداً لا يُحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ، وقد أمل أن يجد فرصة من بشتاسب وبملكته. فلما انتهى إلى تخوم^(٣) ملك فارس قدَّم أمامه جوهرمز أخاه — وكان مرشحاً للملك بعده في جماعة من المقاتلة كثيرة — وأمره أن يَغْدَ السير حتى يتوسط المملكة ويوقع بأهلها، ويغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك اللماء واستباح من الحرم ما لا يحصى، وأتبعه خرزاسف فأحرق اللواوين، وقتل لهراسف والهرابذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسي ابتين لبشتاسب، يقال لإحداهما: خمانى، وللأخرى باذافره، وأخذ — فيما أخذ — العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه

(١) ت : « فرزم » ، ح : « قجوم » ، س « فرارم » .

(٢) كذا في ت ، س .

(٣) التخوم : جمع تخم ؟ بفتح التاء وضمها : الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود .

درفش كايبان ، وشخص متبعاً لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميندر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعاً؛ فيقال إنه لما اشتد به الأمر وجهه إلى إسفنديار جاساب حتى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعده عقيد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذي فعل لهراسب به ، وقلده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خزراسف .

٦٧٩ / ١ فلما سمع إسفنديار كلامه ككفر^(١) له خاشعاً ، ثم نهض من عنده ، فتولى عرض الجند وتميزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلته مشغولاً بتعبته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار بهم نحو عسكر الترك ، فلما رأته عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضت إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتى خالط القوم ، وأكب عليهم بالطعن ، فلم يكن إلا هنيهة حتى ثلم في العسكر ثلثة عظيمة ، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من الحبس ، فانهزموا لا يلؤون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خزراسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدم حصون الترك ويحرق مدنهم ، ويقتل أهلها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقذ السبايا . ووجهه معه ما احتاج إليه من القواد والعظماء .

٦٨٠ / ١ فذكروا أن إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يترمه أحد قبله ، وأنه قام — من حراسة جنده ، وقتل ما قتل من السباع ، ورمى العنقاء المذكورة — بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التي يسمونها دزروئين — وتفسيرها بالعربية الصفيرية — عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أمواله وسبي نساءه ، واستنقذ أختيه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغناء

(١) كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للدهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطاطم رأسه ويتطامن تعظيماً .

في تلك الحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرونش ومهرين ابن ابنته . ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسروذ ، ومهرروذ ، ونهرا آخر لهم عظيماً ، وإن إسفنديار دخل أيضاً مدينة كانت لفراسياب ، يقال لها وهشكند^(١) ، ودوخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ، وإلى التبت وباب صول ، ثم قطع البلاد وصير كل ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظف على كل واحد منهم خراجاً يحمله إلى بشتاسب في كل سنة ، ثم انصرف إلى بلخ .

ثم إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجهه إلى رسمت بسجستان ، فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : قد كان بشتاسب جعل الملك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغراه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف إلى أبيه ، فقال له : هذا رسم متوسطاً بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رق الملك ، فسر إليه فأتى به ، فسار إسفنديار إلى رسم فقاتله ، فقتله رسم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثني عشرة سنة .

وذكر بعضهم أن رجلاً من بني إسرائيل ؛ يقال له سمي كان نبياً ، وأنه بعث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخد^(٢) ، وكان سمي يتكلم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين ، ويكتب بالفارسية ما يقول سمي بالعبرانية ، ويدخل جاماسب معهما في ذلك ، وبهذا السبب سمي جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخد بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيف^(٣) ابن فردواسف بن اربحد بن منجدسف^(٤) بن جخشنش بن فياويل بن الحدي ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر . وقيل إن بشتاسب وأباه لراسب كانا على دين الصابئين ، حتى أتاه سمي

(١) كذا في س ، وقت : « وحسكك » .

(٢) كذا في ح . (٣) كذا في ت . (٤) كذا في ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة ، فكان ممن رتب بشتاسب من نفر السبعة المراتب الشريفة ، وساهم عظماء بهكا بهند^(١) ومسكنه دهستان^(٢) من أرض جرجان ، وقارن الفلهوى ومسكنه ماهناوند^(٣) ، وسورين الفلهوى ومسكنه سجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرى .

* * *

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف

مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماء بالهاء خائصة : قسبة البلد ؛ ومنه قبيل : ماء البصرة وماء الكوفة

وماء فارس ؛ ويقال لهاوند وهردان وم : ماء البصرة » . وانظر لهاوند فى معجم البلدان - ماء البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عن زعم أن قابوس كان في عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح .

فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سموه ^(١) ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما ^(٢) قوتى من ملكهم ، وجمعت من أمرهم .

قال : فزعم أهل اليمن أنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادى الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلاً من أهل بيته - يقال له عمرو - أن يعبر هو وأصحابه ، فعبروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادى ، وكتب في صدره بالمسند : « هذا الصنم لياسر أنعم الحميرى ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلفن ذلك أحد فيعطب » .

قال : ثم ملك من بعده تبع ، وهو ثبان أسعد ، وهو أبو كرب بن ماكى كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع ، وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذى المنار ابن الراثش بن قيس بن صيق بن سبأ . قال : وكان يقال له الراثد .

قال : فكان تبع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجهاً من اليمن في الطريق الذى سلكه الراثش ، حتى خرج على جبل طيب ، ثم سار يريد الأتبار ، فلما انتهى إلى الحيرة - وذلك ليلا تحير ، فأقام مكانه وسمى ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولم يجدام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انقل إليهم بعد

(١) ح : « سمى » .

(٢) ت ، ن : « لما » .

ذلك ناس من طيبي و كلب و السككون و بلنحارث بن كعب و إياد . ثم توجه إلى الأنبار ثم إلى الموصل ، ثم إلى أذربيجان ، فلقى الترك بها فهزمهم ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذرية ، ثم انكفأ راجعاً إلى اليمن . فأقام بها دهرأ ، وهابته الملوك وعظمته وأهدت إليه . فقدّم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتحف ، من الحرير والمسك والعود وسائر طرّف بلاد الهند ، فرأى ما لم يَر مثله ، فقال : ويحك ! أكل ما أرى في بلادكم ! فقال : أبيت اللعن ! أقل ما ترى في بلادنا ، وأكثره في بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصبها وكثرة طرّفها ، فألى بيمين ليغزّرتها . فسار بحمير مساحلاً^(١) ، حتى أتى الركائك وأصحاب القلانس السود ، ووجه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ في جمع عظيم فأصيب ، فسار تَبَع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها^(٢) ورجعته منها في سبع سنين ، وأنه خلّف بالتَّبَت^(٣) اثني عشر ألف فارس من حمير ، فهم أهل التبت ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تَبَعاً خرج في العرب يسير ، حتى تحيّرُوا بظاهر الكوفة ، وكان منزلاً من منازلهم ، فبقي فيها من ضعفة الناس ، فسميت الحيرة لتحيرهم ، وخرج تَبَع سائرأ ، فرجع إليهم وقد بنوا وأقاموا ، وأقبل تَبَع إلى اليمن وأقاموا هم ، ففيهم من قبائل العرب كلتها من بني لحيان ، وهذيل وتميم ، وجعفي وطبي ، و كلب .

(١) مساحلاً ، أي سائرأ تجاه الساحل . وفي الأصول : « مساحلاً » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بثاسب ابن ابنه أردشير بهمن ، فذكر أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على الوفاء ، ودائون رعيّتنا بالخير ؛ فكان يدعى أردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقب بذلك فيما قيل—لتناوله كل ما مدّ إليه يده من الممالك التي حوله ، حتى ملك الأقاليم كلها . وقيل إنه ابنتي بالسواد مدينة ، وسماها آباد أردشير هي القرية المعروفة بهميّنا من الزاب الأعلى ، وابنتي بكوردجـلّة مدينة وسماها بهمن أردشير^(١) ، وهي الأبلّة ، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه ، فقتل رسم وأباه ديستان وأخاه إزواره^(٢) وابنه فرمرز^(٣) ، واجتبي الناس لأرزاق الجند ونفقات الهرايذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر ، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الآخر أردشير بن بابك وولده ، وأمّ دارا خماني بنت بهمن .

فحدث عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بثاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بثاسب ؛ وكان—فيما ذكر وامتواضعاً مرضياً فيهم ، وكانت كتبه تخرج من أردشير : « عبد الله وخادم الله ، السائس^(٤) لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة في ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا في بطن أمّه ، فلكوا خماني شكراً لأبيها بهمن ، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح ، وكان من أعظم ملوك الفرس — فيما قالوا — شأنًا ، وأفضلهم تدبيراً ، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده ، وكانت أم بهمن أستوريا^(٥) ، وهي

(١) ذكرها ياقوت ؛ وقال : « كورة واسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصمعي : « بهمشير » تعريب « بهمن أردشير » . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة الموراء في شرقها تجاه الأبلّة .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « قرداد » ، س : « قرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستوريا » .

أستار بنت ياثير^(١) بن شمعي بن قيس بن ميثا^(٢) بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور^(٣) بن بحرث بن أفيح بن إيشى بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فتحس من ولد رُحْبِعم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملكاً أنخاها زربابل بن شلتايل^(٤) على بنى إسرائيل، وصير له رياسة الجالوت، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أخته إياه ذلك، فتوفى بهمن يوم توفى وله من الولد : ابناه دارا الأكبر وساسان ، وبناته : خماني التي ملكت بعده، وفرنك^(٥) وبهمن دخت^(٦)، وتفسير « بهمن » بالعربية « الحسن النية »، وكان ملكه مائة واثنى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبي هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خماني بنت بهمن ، وكانوا ملكوها حباً لأبيها بهمن ، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهاؤها وفرسيتها ونجدتها— فيما ذكره بعض أهل الأخبار— فكانت تلقب بشهرزاد^(٧) . وقال بعضهم : إنما ملكت خماني بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سأله أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حَمَلًا في بطنها ، وساسان ابن بهمن في ذلك الوقت رجل يتصنع للملك لا يشك فيه . فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحق بإصطخر ، فترهد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برعوس الجبال يتعبّد فيها، واتخذ غُشيمة، فكان يتولّى ماشيته بنفسه ، واستشنت^(٨) العامة ذلك من فعله ، وفضعت به ، وقالوا : صار ساسان راعياً ، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرعى ، وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشي بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحْبِعم بن سليمان بن داود .

وقيل : إن بهمن هلك وابنه دارا في بطن خماني ، وأنها ولدته بعد أشهر من

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا في ت . (٣) ت ، س : « صاروده » .

(٤) ت : « سلبايل » . (٥) كذا في س ، وفي ت : « قريك » .

(٦) ح : « بهمن رحمت » ، س : « بهمن زحمت » .

(٧) س : « شهرزاد » . (٨) ح : « استصعبت » .

ملكها وأُنِفَت من إظهار ذلك، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهرًا نفيسًا، وأجرته في نهر الكُتْر من إصطخر. وقال بعضهم: بل نهر بلُخ، وإن التابوت صار إلى رجل طحان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجده الرجل أتى به امرأته، فسرت به بحمالة ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر أمره حين شب، وأقرت خماني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف؛ فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتقلت^(١) خماني وصارت إلى فارس^(٢) وبنّت مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشًا بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفرًا، فقمعت الأعداء، وشغلتهم عن تطرف شيء من بلادها، ونال رعيثها في ملكها رفاة وخفضًا. وكانت خماني حين أغزت أرض الروم سبى لها منها بشر كثير، وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنائى الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة إصطخر بنيانًا على بناء الروم منيفًا معجبًا، أحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر، والثاني على المدرجة التي تسلك فيها إلى دارايجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان. وإنما أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل؛ فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيثها في الخراج. وكان ملكها ثلاثين سنة.

• • •

ثم نرجع الآن إلى :

(١) ح : « وانتقلت » .

(٢) ت ، س : « أرض فارس » .

ذكر خبر بني إسرائيل

ومقابلة تاريخ مدة أيامهم إلى حين تصرفها بتاريخ
مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبل سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس
من سبايا بني إسرائيل الذين كان يختصّر سباهم وحملهم معه إلى أرض بابل ،
وأن ذلك كان في أيام كيرش بن أخشويرش وملكه ببابل من قبيل بهمن بن
إسفنديار في حياته وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني ، وأن خماني
عاشت بعد^(١) هلاك كيرش بن أخشويرش ستاً وعشرين سنة في ملكها ، تمام
ثلاثين سنة . وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خرابه باختصّر
إلى أن عمّر - فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار - سبعين سنة ،
كل ذلك في أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه ، وبعضه
في أيام خماني ، على ما قد بين في هذا الكتاب .

وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب ، وأنكر ذلك من قبله بعضهم ،
وقال : كى أرض إنما هو عمّ بلد بشتاسب ، وقال : هو كى إرش أخو كيقاوس
ابن كيبه بن كيقاوس الأكبر ، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجي
ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبه بن كيقاوس الأكبر . قال : ولم يملك
كى أرض قط ، وإنما كان مملوكاً على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل
من قبيل كيقاوس ، ومن قبيل كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ، ومن قبيل
لهراسب من بعده . وكان طويل العمر ، عظيم الشأن ، ولما عمّر بيت
المقدس ورجع إليه أهله من بني إسرائيل كان فيهم عزير - وقد وصفت
ما كان من أمره وأمر بني إسرائيل - وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس ؛
إما رجل منهم ولما رجل من بني إسرائيل ، إلى أن صار الملك بناحتهم لليونانية
والروم بسبب غلبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتل دارا بن دارا . وكانت
جملة مدة ذلك - فيما قيل - ثمانياً وثمانين سنة .

ونذكر الآن :

(١) ح : « ثم إن خماني ملكت » .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر

ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان ينسب بجهرزاد -
يعنى به كريم الطبع - فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطاً لمملكته ،
قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدون إليه الخراج ، وأنه ابنتى بفارس مدينة سماها
دارا بيجرد ، وحذف^(١) دواب البرد ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، وأنه من حبه
إياه سمّاه باسم نفسه ، وصير له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين^(٢)
محموداً فى عقله ، وأنه شجر بينه وبين غلام تربى مع دارا الأصغر ، يقال
له برى^(٣) شرّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، فقيل : إن الملك سقى
برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القواد ،
كانوا عاونوه على برى ما كان منهم ، وكان ملك دارا اثنتى عشرة سنة .

٦٩٣/١

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند
بنت هزارمرد بن بهرادمه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : لن ندفع أحداً فى
متهوى الملكة ، ومن تردى فيها لم نكف عنه . وقيل إنه بنى بأرض الجزيرة
مدينة دارا ، واستكسب أخوا برى واستوزره لأنسه^(٤) كان به وبأخيه ، فأفسد
قلبه على أصحابه ، وحمله على قتل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة
والعامة ، ونفروا عنه ، وكان شاباً غراً حميماً حقوداً جباراً .

وحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا
ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرة فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر
على تنفئة^(٥) ذلك ، وقد مله أهل مملكته وشموه ، وأحببوا الراحة منه ، فلحق كثير
من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر ، فأطلعوه على عورة دارا ، وقووه عليه ،

٦٩٤/١

(١) الخلف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .

(٣) كذا فى ن (٤) ح ، ن : « لأنه كانت به » .

(٥) على تنفئة ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقنتلا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزء من اجترأ على ملكي . وتزوج ابنته روشك بنت دارا، وغزا الهند وشارك الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السّواد ، فحمل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعاً .

قال : وذكر غير هشام أن دارا بن دارا لما ملك أمر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة سماها دارنوا ، وهي التي تسمى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كل ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلومس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية ، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة ، وأن فيلومس هلك ، فلك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوءه^(١) صنيعه في تركه حمل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج^(٢) وغيره، وأنه إنما دعاه إلى حبس ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولخان وكرة وقفيز من سمسم ، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبي ، وأنه إنما ينبغي^(٣) له أن يلعب بالصولخان والكرة اللذين بعث بهما إليه ، ولا يتقلد الملك ، ولا يتلبس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك ، وتعاطى الملك واستعصى عليه ، بعث إليه من يأتيه به في وثاق ، وأن عدة جنوده كعدة حبّ السمسم الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم^(٤) ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولخان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه في جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغي له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقى الكرة إلى الصولحان ، واحترازه^(١) إياها ؛ وشبهه الأرض بالكرة ، وأنه محتاز مُلْكَ دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيزه من الأرض ، وأنّ نظره إلى السمسم الذى بعث به إليه كنظره إلى الصولحان والكرة لدَسَمه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرَّةٍ من خردل ، وأعلمه فى ذلك الجواب أنّ ما بعث به إليه قليل ؛ غير أنّ ذلك مثل الذى بعث به فى الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنوده فى كل^(٢) ما وصف به منه .

٦٩٦/١

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع إليه جنده ، وتأهب لمحاربة الإسكندر ، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا .

وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشدّ القتال ، وصارت الدبّرة^(٣) على جند دارا ، فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا ، يقال لهما كانا من أهل هَمَدان ، طعنا دارا من خلفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يؤسّر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتى وقف عنده ، فراه يوجد بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابّته حتى جلس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهمّ قطّ بقتله ، وأن الذى أصابه لم يكن عن رأيه ، وقال له : سلّنى ما بدا لك فأضعفك فيه ، فقال له دارا : لى إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتّكا بى - ومماهما وبلادهما - والأخرى أن تزوّج ابنتى روشنك . فأجابته إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من دارا ما انتهكا ، وتزوّج روشنك وتوسّط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

* * *

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أنّ الإسكندر هذا الذى حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم^(٤) واسمها هلاى^(٥) ، وأنها حمّلت

٦٩٧/١

(١) ط : « واجتراره » وما أثبتته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « نيا » .

(٣) الدبّرة : الهزيمة .

(٤) ت ، ح ، « الزنج » .

(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وَجَدَ نَن رِيحَهَا وَعَرَقَهَا وَسَهَكَهَا^(١)، أمر أن يَحْتَالَ لذلك منها ، فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية « سندر » ، فطبخت لها ففصلت بها وبمائها ، فأذهب ذلك كثيراً من ذلك النتن ، ولم يذهب كله ، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها ، وعافها وردّها إلى أهلها ، وقد علقته منه فولدت غلاماً في أهلها ، فسمته باسمها واسم الشجرة التي عُسِلت بها ، حتى أذهبت عنها ننتها : « هلاى سنروس » ، فهذا أصل الإسكندروس .

قال : وهلك دارا الأكبر ، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر ، وكانت ملوك الروم تؤدّي الخراج إلى دارا الأكبر في كل سنة ، فهلك أبو هلاى ملك الروم جد الإسكندر لأمه ، فلما صار الملك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة : إنك أبطأت علينا بالخراج الذى كنت تؤدّيه ويؤدّيه من كان قبلك ، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة . فرجع إليه جوابه : أنى قد ذبحت الدجاجة ، وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الأطراف ، فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت نأجزناك . فعند ذلك نافر دارا وناجزه القتال ، وجعل الإسكندر لحاجبي دارا حكمهما على الفتك به ، فاحتكما شيئاً ، ولم يشترطاً أنفسهما ، فلما التقوا للحرب ، طعن حاجبا دارا دارا في الوقعة ، فلحقه الإسكندر صريعاً ، فنزل إليه وهو بأخير رمق ، فسمح التراب عن وجهه ووضع رأسه في حجره ، ثم قال له : إنما قتلتك حاجباك ، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف وحرّ^(٢) الأحرار وملك الملوك ، عن هذا المصرع ؛ فأوصيني بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشك ، ويتخذها لنفسه ويستبقى أحرار فارس ، ولا يولّى عليهم غيرهم . فقبل وصيته وعمل بأمره ، وجاء اللذان قتل دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما ، ووفى لهما ثم قال لهما : قد وفيت لكما كما اشتراطتما ولم تكونا اشتراطتما أنفسكما ، فأنا قاتلكما ، فإنه ليس ينبغى لقتلة الملوك أن يُستبقوا إلا بدمّة لا تخضّر . فقتلتهما .

(١) السهك : رائحة العرق .

(٢) ح : « ياحر » .

وذكر بعضهم أن ملك الروم في أيام دارا الأكبر كان يؤدّي إلى دارا
 الإناوة فهلك ، وملك الروم الإسكندر ، وكان رجلاً ذا حزم وقوة ومكر ؛
 فيقال إنه غزا بعض ملوك المغرب فظفر به ، وآنس لذلك من نفسه القوة^(١) ،
 فنشز على دارا الأصغر ، وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج ،
 فحمى دارا لذلك ، وكتب إليه كُتُباً عنيفة^(٢) ، ففسد ما بينهما وسار كلُّ
 واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا في الحد . واختلفت بينهما الكتب
 بالرسائل ، ووجيل الإسكندر من محاربة دارا ؛ ودعاه إلى المودعة ، فاستشار
 دارا أصحابه في أمره ، فزيّنوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه . وقد اختلفوا في
 الحد وموضع التقائهما ؛ فذكر بعضهم أن التقاءهما كان بناحية خراسان ٦٩٩/١
 مما يلي الخزر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلص إليهما السلاح ، وكان تحت
 الإسكندر يومئذ فرس له عجيب يقال له بوكفراس^(٣) ، ويقال إن رجلاً
 من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرق الصفوف ، وضرب الإسكندر
 ضربة بالسيف خيف عليه منها ، وإنه تعجب من فعله وقال : هذا من فرسان
 فارس الذين كانت تُوصف شدتهم ، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه ،
 وكان في حرسه رجلان من أهل همدان ، فراسلا الإسكندر والتمسا الحيلة لدارا
 حتى طعناه ، فكانت منيته من طعنهما^(٤) إياه ، ثم هربا .

فقيل إنه لما وقعت الصيحة ، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب في أصحابه ،
 فلما انتهى إلى دارا وجدّه يجود بنفسه ، فكلّمه ووضع رأسه في حجره ، وبكى
 عليه ، وقال له : أتيت من مأمّنك ، وغدّ ربك ثقاتك ، وصرت بين أعدائك
 وحيداً ، فسأني حوائجك فأني على المحافظة على القرابة بيننا - يعني القرابة بين
 سلم وهيرج ابني أفريدون - فيما زعم هذا القائل - وأظهر الجزع لما أصابه ،
 وحمد ربه حين لم يمتله بأمره ، فسأله دارا أن يتزوج ابنته روشناك ، ويرعى
 لها حقّها ، ويعظم قدرها ، وأن يطلب بثأره ، فأجابته الإسكندر إلى ذلك .

(١) ح : « بالقوة » .

(٢) س : « أبو كفراس » .

(٣) ح : « طعنتهما » .

(٤) ح : « كتابا عنيفا » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثيا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ،
 وأن ينادى عليهما : هذا جزاء من اجترأ على ملكه، وغش أهل بلده .
 ويقال : إن الإسكندر حمل كتباً وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم
 ونجوم وحكمة ، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية .

وزعم بعضهم أن دارا قُتِل وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنودارا^(١)
 وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان ملك دارا أربع عشرة سنة .
 وذكر بعضهم أن الإتاوة التي كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس
 كانت بيضاً من ذهب ، فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك
 الخراج ، فبعث إليه : إنني قد ذهبت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
 البيض ، وأكلت لحمها فأذن بالحرب . ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا .
 وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

* * *

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فلهم يقولون : هو الإسكندر بن
 فيلقوس ، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطربوس ، ويقال : ابن مصرم
 ابن هرمس بن هردس بن ميظون^(٢) بن روى بن ليطي^(٣) بن يونان بن يافت بن
 ثوبة بن سرحون بن رومية بن زنط^(٤) بن توقييل^(٥) بن رومي^(٦) بن الأصفر بن اليغز
 ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . فجمع بعد مهلك
 دارا ملك دارا إلى ملكه ، فلك العراق والروم والشام ومصر ، وعرض جندة
 بعد هلاك دارا فوجدهم فيما قيل - ألف ألف وأربعمائة رجل ، منهم من جنده
 ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف .

وذكر أنه قال يوم جلس على سريره : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقنا
 خلاف ما كان يتوعدنا به ، وأنه هدم ما كان في بلاد الفرس من المدن والحصون
 وبيوت النيران ، وقتل الهرايذة ، وأحرق كتبهم ودواوين دارا ، واستعمل
 على مملكة دارا رجالاً من أصحابه ، وسار قداماً إلى أرض الهند ، فقتل ملكها
 وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

(١) كذا في ج .

(٢) كذا في ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا في ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التَّبَّت والصبين ، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية في أربعمائة رجل يطلب عين الخلد ، فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بشهر زور .

وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في قول بعضهم ، وحُجِّل إلى أمه بالإسكندرية .

وأما الفرس فلما تزعم أن مُلْك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصاري تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهرأ ، ويزعمون أن قتل دارا كان في أول السنة الثالثة من مُلْكهِ .

٧٠٢/١

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جى ، بنيت على مثال الحية ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهن مدينة هراة ومدينة مرؤ ومدينة سمرقند ، وبأرض بابل مدينة اروشك بنت دارا ، وبأرض اليونانية في بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدناً أخر غيرها .

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنة الإسكندروس ، فأبى واختار النسك والعبادة ، فلدت اليونانية عليهم—فيما قيل—بطلميوس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانية بعد الإسكندر وحياة الإسكندر إلى أن تحول الملك إلى الروم المصاص لليونانية ، ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خربت بلادهم الفرس والروم ، وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

ثم كان الملك ببلاد الشام ومصر ونواحي المغرب بعد بطلميوس بن لوغوس لبطلميوس ديناوس^(١) أربعين سنة .

٧٠٣/١

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس فيلافطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أفيانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس ساطر^(٢) سبع عشرة سنة .

(١) كذا في ح ، وفي ت : « ديناوس » . (٢) ت « بياطر » .

ثم من بعده لبظلميوس الأحندر^(١) إحدى عشرة سنة .
 ثم من بعده لبظلميوس الذي اختفى عن ملكه ثمانى سنين .
 ثم من بعده لبظلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .
 ثم من بعده لبظلميوس قالوبطرى^(٢) سبع عشرة سنة .
 فكل هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى
 بظلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم
 المفقانيون^(٣) .

ثم ملك الشام بعد قالوبطرى -- فيما ذكر الروم - المصاص ، فكان أول من
 ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوستوس ستاً وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه
 اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام
 الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين .

(١) ح : « الأحندر » ، س : « الأحشدر » ، ابن الأثير : « الأعشدر » .
 (٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .
 (٣) كذا فى ت ، س ، وفى ن : « القفانيون » .

ذكر أخيار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التاريخ على ملكهم .

فاختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفي عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملوكاً إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال — فيما حدثت عنه : ملك بعد الإسكندر يلاقس^(١) سلقيس ، ثم أنطيوخس . قال : وهو الذي بنى مدينة أنطاكية . قال : وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة ، قال : وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس ؛ حتى خرج رجل يقال له أشك ، وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّي ، فجمع جمعاً كثيراً وسار يريد أنطيوخس ، فزحف إليه أنطيوخس ، فالتقى ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، فصار في يده من الموصل إلى الرّي وأصبهان ، وعظمه سائر ملوك الطوائف لنسبه ، وشرّفه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدعوا به في كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله .

٧٠٥/١

ثم ملك بعده جودرز بن أشكان . قال : وهو الذي غزا بني إسرائيل المرّة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم — فيما ذكر أهل العلم — قتلهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله عنهم النبوّة وأنزل بهم الدّل . قال : وقد كانت الروم غزت بلاد فارس ، يقودها ملكها الأعظم يلتمس أن يسرك بثأرها في فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيوخس ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو^(٢) أردوان ، الذي قتله أردشير

(١) كذا في س ، وقد تباين الأثير : «بلاقس» . (٢) ح ، ن : «ابن» .

ابن بابك ، فكذب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزْو بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعاً . فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولى عليهم صاحب الحضْر - وكان ملكاً من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة - فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هيَّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها . فكان الذي ولي إنشاءها الملك قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصّر ، وهو أجلى مَنْ بقى من بنى إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم - بزعمه - عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التي وجددهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فمظّمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهي عندهم إلى اليوم .

قال : ولم يزل ملك فارس متفرّقاً حتى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبيّن مدة ملك القوم .

٧٠٦/١

* * *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بعد الإسكندر مُلك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون^(١) لكل من يملك بلاد الجبل ويمدحونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون^(٢) الذين يُدعون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتي سنة وستاً وستين سنة .

فلك من هذه السنين أشك بن أشجان عشر سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفي سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل مَنْ في مدينة بيت المقدس ، وسبي ذراريهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتى لم يترك بها حجراً على حجر .

٧٠٧/١

(١) ح : « يخضعون » . (٢) ن : « الأشغانون » ، ت : « الأسغانون » .

- ثم ملك جودرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
 ثم ملك بيزن الأشغاني ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك جودرز الأشغاني ، تسع عشرة سنة .
 ثم ملك نرسي الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك هرمز الأشغاني ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك أردوان الأشغاني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك كسرى الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك بلاش الأشغاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك أردوان الأصغر الأشغاني ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير بن بابك .

□ □ □

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرّق الإسكندر المملكة بينهم ، وتفرّد بكل ناحية من مملكتك عليها من حين ملكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر في يد الروم . وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك مملّكا على الجبال وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، فكانوا ملوكاً عليها وعلى الماهات^(١) والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت بتقدمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قُصِدَ لذكورهم في كتب سير الملوك ، فاقْتَصَرَ على تسميتهم دون غيرهم .

٧٠٨/١

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأوريشليم بعد إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنو ماكهم من لدن الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له ، مائتين وستاً وستين سنة .

□ □ □

قال : فن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت لأولادهم بعد ذلك الغلبة

(١) ت : « الماهات » . س : « المهان » .

على السواد أشك بن حره بن رسيان^(١) بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان^(٢) بن ٧٠٩/١
 إسفنديار بن بشتاسب . قال : والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم :
 أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبه بن كيقباد ، وكان مائة وعشرين
 ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة .
 ثم ملك جودرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشرين سنة .
 ثم ملك بيرن بن جودرز ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم جودرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة .
 ثم نرسه بن جودرز الأصغر ، أربعين سنة .
 ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة .
 ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة .
 ثم بهافرید الأشكاني ، تسع سنين .
 ثم بلاش الأشكاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن
 سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جده كيبه بن كيقباد . ويقال :
 إنه كان أعظم الأشكانية ملكاً ، وأظهرهم عزاً ، وأسانهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً
 للملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلب على كورة إصطخر لاتصالها بأصبهان ،
 ثم تخطى إلى جور وغيرها من فارس ، حتى غلب عليها ، ودانت له ٧١٠/١
 ملوكها هبة ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير .

• • •

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشام ومصر بعد الإسكندر تسعون
 ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن ، وهم الأشكانيون . قال :

(١) كذا في س . (٢) كذا في ن ، وفات : « رزان » وف س : « زرام » .

فلك من الأشكانيين أقفور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أورش
الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك ، اثنتين وستين سنة .

ثم سابور بن أقفور - وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام -
ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم جوذر بن سابور بن أقفور الذي غزا بني إسرائيل طالباً بثأر يحيى
ابن زكرياء ، ملك تسعاً وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم جوذر بن أبزان بن بلاش ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسی بن أبزان ، أربعاً وثلاثين سنة .

ثم عمه الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعاً وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم ابنه أردوان بن بلاش ، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك ، خمساً

وخمسين سنة .

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف في النواحي خمسمائة

وثلاثاً وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

فكان من (١) ذلك - فيما زعمته الفرس - لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وإلحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيين - ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصراني فإنها تزعم أن ولادتها إياه كانت لمضى ثلثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفِعَ اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيفًا وخمسين سنة .

قال : وزعموا أن يحيى اجتمع (٢) هو وعيسى بنهر الأردن وله ثلاثون سنة ، وأن يحيى قتل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برنخيا (٣) أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوجين بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهي أم يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أم مريم ، فأت عمران بن ماثان وأم مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها ، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده . واسم أم مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع (٤) ابنة فاقود . وكفلها زكرياء ، وكانت منسأة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازر بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رجيم بن سليمان بن داود ، ابن عم مريم .

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلخمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

(١) ح : « في » . (٢) ن : « صبح » .

(٣) ن : « يرخنا » . (٤) ن : « الأشباع » .

مریم۔ فیما بلغنی عن نسیہا۔ ابنة عمران بن یاشہم بن أمون بن منشا بن حزقیاء
ابن أحرزق بن یوثام بن عزریاء بن أمصیا بن یاوش بن أحرزیہو بن یارم بن
یہشافاظ بن أسا بن أبیا بن رُحْبَعُم بن سایمان۔ فولد لזکریاء یحیی ابن خالة
عیسی بن مریم ، فنبیٌ صغیراً ، فساح ، ثم دخل الشام یدعو الناس ، ثم
اجتمع یحیی وعیسی ، ثم افترقا بعد أن عمّد یحیی عیسی .

٧١٣/١

وقیل : إن عیسی بعث یحیی بن زکریاء فی اثنی عشر من الحوارین یعلّمون
الناس : قال : وكان فیما نہوہم عنه نکاحُ بنات الأخ ، فحدثنی أبو السائب ،
قال : حدثنا أبو معاویة ، عن الأعمش ، عن المنہال ، عن سعید بن جبیر ،
عن ابن عباس ، قال : بعث عیسی بن مریم یحیی بن زکریاء ، فی اثنی
عشر من الحوارین یعلّمون الناس ، قال : فكان فیما نہوہم عنه نکاحُ ابنة
الأخ . قال : وكان للملکھم ابنة أخٍ تُعجبه ، یرید أن یتزوجها ، وكانت لها
کلّ یوم حاجة یقضیها ، فلما بلغ ذلك أمّہا قالت لها : إذا دخلت علی الملک ،
فسألك حاجتک فقولی : حاجتی أن تدبّح لی یحیی بن زکریاء . فلما دخلت
علیه سألتها حاجتہا ، قالت : حاجتی أن تدبّح لی یحیی بن زکریاء ، فقال :
سلیني غیر هذا ، قالت : ما أسألك إلاّ هذا ، قال : فلما أبتُ علیہ دعا
یحیی ، ودعا بطست فذبّجه ، فندرت قطرة من دمه علی الأرض ، فلم تزل
تغلی حتی بعث الله بختنصر علیہم ، فجاءته عجوز من بنی اسرائیل ، فدلّته
علی ذلك الدم ، قال : فألّی الله فی قلبه أن یقتل علی ذلك الدم منهم حتی
یسکن ، فقتل سبعین ألفاً منهم من سنّ واحدة ، فسکن .

٧١٤/١

حدثنا موسی بن ہارون الهمدانی ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السدی ، فی خبر ذکره عن أبی مالک وعن أبی صالح ،
عن ابن عباس - وعن مرّة الهمدانی ، عن ابن مسعود - وعن ناسٍ من
أصحاب النبی صلی الله علیہ وسلم ، أن رجلاً من بنی اسرائیل ، رأى فی النوم
أنّ خرابَ بیت المقدس وهلاک بنی اسرائیل علی یدي غلام یتیم ، ابن أرملة
من أهل بابل ، یدبّعی بختنصر ، وكانوا یصدّقون فتصدّق رؤیاهم ، فأقبل
یسأل عنه ، حتی نزل علی أمّہ وهو یحتطب ، فلما جاء وعلی رأسه حزمة

حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت ، فكلمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشترِ بهذه طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشرَبوا ؛ حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أمانة ، إن أنتِ مُلِّكْتِ يوماً من الدهر ؛ قال : تسخرني ! قال : إني لا أسخرُ بك ؛ ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ! فكأتمته أمه ، فقالت : وما عاينك إن كان ؛ وإلا لم ينقصك شيئاً ! فكذب له أمانة ، فقال : أرايت إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بيني وبينك ! فاجعل لي آيةً تعرفني بها ، قال : ترفع صحيفتك على قصبَةٍ فأعريفُك بها . فكساه وأعطاه .

ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكرياء ، ويُدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونَه ، وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت إلى الحارية حين جلس الملك على شرايه ، فألبستها ثياباً رفاقاً حدرأ ، وطيبتنها ، وألبستها من الخلي ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطها ذلك سألته أن تؤتي برأس يحيى بن زكرياء في طست ، ففعلت ففعلت تسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيتني ما سألتك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكرياء ، فأوتى برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحها ! سليني غير هذا ! قالت : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما أبت عليه ، بعث إليه فأتى برأسه ، والرأسُ يتكلم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحلُّ لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرفق الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضاً ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة ،

وهو في ذلك يغلي ، وبلغ صيحاته^(١) فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشاً ، ويؤمّر عليهم رجلاً ، فأتاه بختنصر ، فكلمه ، وقال : إن الذي كنت أرسلت تلك المرّة ضعيف ، فإني قد دخلت المدينة ، وسمعت كلام أهلها ، فابعثني ، فبعثه فسار بختنصر ، حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يطيقهم ، فلما اشتد عليه المقام ، وجاع أصحابه أراد الرجوع ، فخرجت إليه^(٢) عجوز من عجائر بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأق به إليها ، فقالت : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع يجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرايتك إن فتحت لك المدينة ، أتعطيني ما أسألك ، فتقتل من أمرتك بقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقيم على كل زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكرياء ، فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا من جوانبها ، فقالت له : كف يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كف يدك ، فإن الله عز وجل إذا قتل نبي لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضى قتله . فأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكف عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة فله جزئته تلك السنة ، وأعانه على^(٣) خرابه الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسرّاتهم ، وذهب بدانيال وعلياً وعزريا^(٤) وميشائيل ؛ هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدّم أرض بابل

(١) ت : « صيحين » ، ن : « صنجابن » .

(٢) ح : « إليهم » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ت : « وعزوباء » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صيحاتين قد مات ، فَلَكَ مكانه ، وكان أكرمَ الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدَهم الجحوس ، فوشوا بهم إليه ، فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم ، وأمر بخدّ فخدّ ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبع ضار ليأكلهم ، فقالوا : انطلقوا فلأننا كل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً ، والسبع مقرش ذراعَيْه بينهم لم يخذش منهم أحداً ، ولم ينكأه شيئاً ، فوجدوا معهم رجلاً ، فدعاهم فوجدوهم سبعة ، فقال : ما بال هذا السابع ؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع - وكان ملكاً من الملائكة - فلطمه لطمه فصار في الوحش ، فكان فيهم سبع سنين (١) .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي روي عن ذكر في هذه الأخبار التي رويت وعمن لم يذكر في هذا الكتاب ، من أن يختصر ، هو الذي ٧١٨/١
غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء - عند أهل السير والأخبار والعلم بأمر الماضين في الجاهلية ، وعند غيرهم من أهل الملل غلط ؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون على أن يختصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وتخریب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مبين ، وذلك أنهم يعدون من لدن تخریب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمراتها في عهد كيرش بن أخشوريش أصهبذ بابل من قبيل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، ثم من قبيل ابنته خماني سبعين سنة ، ثم من بعد عمراتها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة .

(١) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود في مدة خراب بيت المقدس ،
وأمر بختنصر ، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على
بيت المقدس والشام وهلاك^(١) دارا ، وتخالقهم في مدة ما بين ملك الإسكندر
ومولد يحيى ، فترعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى
من الاختلاف في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت .
والنصارى تزعم أن يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأن الذي قتله
ملك لبني إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروديا ، كانت
امرأة أخ له ، يقال له فيلفوس ، عشيقها فوافقت^(٢) على الفجور ، وكان لها
ابنة يقال لها دمنى^(٣) فأراد هيردوس أن يوطأ امرأة أخيه المسماة هيروديا ، فنهاه
يحيى وأعلمه أنه لا تحل له ، فكان هيردوس معجباً بالابنة ، فألهته يوماً ،
ثم سألتها حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحباً له بالفضول ما تأمره به ، فأمرته أن
يأتيها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أسقط في يده ،
وجزع جزعاً شديداً .

٧١٩/١

. . .

وأما ما قال في ذلك أهل العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ
منه ما قاله هشام بن محمد الكلبي .

وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا
سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك - يعني
بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس - يُحدثون الأحداث ،
ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ؛ حتى
كان آخراً من بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن
مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أدي
ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن
يرخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهياشاط بن أسا بن أييا بن رجيم

٧٢٠/١

(١) ح : « وإهلاك » . (٢) ح : « فرافقت » .

(٣) ت : « دمنى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمنى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام - وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء - ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ؛ حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رموس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إني كنت حلفت بإلهي :

لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ؛ إلى ألا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإن نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلي ، وسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ولا تكتُموني شيئاً من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبيل منا ؛ ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي ؛ فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعائة وسبعين روحاً من رموسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتى بسبعائة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنينهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ، ويلكم ! أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألا أترك منكم نافع نار ؛ أني ولا ذكراً إلا قتلته ! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبي

٧٢٢/١

منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطلعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقته فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خسر ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوس

وخلا في بني إسرائيل . ثم قال : يا يحيى بن زكرياء ، قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قتل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أبقي من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بإذن الله ، ورفع نبوزرادان عنهم القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك^(١) السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر والذى بسط الأرض وألقى فيها رواسي لا تزول ؛ فكذلك ينبغي لربى أن يكون ويكون ملكه . فأوحى إلى رأس من رهوس بقية الأنبياء أن نبوزرادان حبور صلوق - والحبور بالعبرانية حديث الإيمان - وأن نبوزرادان قال لبني إسرائيل : إن عدو الله خردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره . وإنى فاعل ، لست أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبجها ، حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ؛ حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل .

٧٢٣/١

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزرادان : ارفع عنهم ، فقد بلغنى دماؤهم ، وقد انتصمت منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد ؛ وهى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله ببني إسرائيل ؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) . و«عسى»^(٤) من الله حق ، فكانت الواقعة الأولى بختنصر وجنوده ، ثم رد

(١) ط : « يستمسك » ، وما أثبتته من ت :

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ - ٨ .

(٤) من قوله تعالى في آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لهم الكفرة عليهم ، ثم كانت الواقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهي كانت
أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسأهم ؛
يقول الله عز وجل : ﴿ وَلا يُتَبَّرُ وَا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴾^(١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام .
قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يلبان خادمة الكنيسة ،
فكانت مريم إذا نفذ ماؤها - فيما ذكر - وماء يوسف أخذ كل واحد منهما
قلته ، فانطلق إلى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه ، فيملاً قلته ، ثم ٢٢٤/١
يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرئيل - وكان أطول
يوم في السنة وأشدّه حرّاً - نفذ ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا
نستقي ! قال : إنّ عندي لفضلاً من ماء أكني به يومى هذا إلى غد ، قالت :
لكنى والله ما عندي ماء ، فأخذت قلته ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت
المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثله الله لها بشراً سوياً : فقال لها :
يا مريم ، إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت :
﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾^(٢) ، وهي تحسبه رجلاً من بنى
آدم فقال : إنما أنا رسول ربك ، قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
وَلِنَجْمِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾^(٣) ، أى أن الله قد
قضى أنّ ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفض في جيبيها ،
ثم انصرف عنها ، وملاّت قلته .

قال : فحدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري ، قال حدثنا إسماعيل
ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، ابن أخي وهب ،

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة مريم ١٨ .

(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهباً قال : لما أرسل الله عزَّ وجلَّ جبرئيل إلى مريم ، تمثّل لها بشراً سوياً . فقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ ، ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرّحيم ، واشتملت على عيسى .

قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجّار ، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا في ذلك ، فكانا يلبيان معالجته بأنفسهما وتجميره وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، فكان لا يُعلم من أهل زمانها أحدٌ أشدَّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفضّح به ، ولم يدرك على ماذا يضع^(١) أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبرائها ، وأنها لم تغيب عنه ساعة قطُّ ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها . فلما اشتدَّ عليه ذلك كلّمها ، فكان أولُ كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع في نفسي من أمرك أمر قد حرصت على أن أميته ، وأكتمه في نفسي ، فغلبتني ذلك ، فرأيتُ أن الكلام فيه أشنى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدثيني : هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر إنّما كان من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ! أو لم تعلم أن الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده ! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكني أعلم أن الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كُن فيكون . قالت له مريم : أو لم تعلم أن الله عزَّ وجلَّ

(١) ت ، ن : « بصح » .

خلقت آدم وامرأته من غير ذكرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل ، وأنه لا يسهه أن يسأفها عنه ؛ وذلك لما رأى من كتابها لذلك . ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رقة^(١) جسمها وإصفرار لونها ، وكلف وجهها ، وتواء بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوا^(٢) ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها - وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى - فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خيراً لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى ؛ فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف^(٣) شيء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع ٧٢٧/١ بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرى حمار - يعنى مزود الحمار - في أصل نخلة ؛ وذلك في زمان الشتاء ، فاشتدت على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدقين بها^(٤) .

فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾^(٥) ، فكان الرطب يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء .

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله حين ولدت بكل أرض مقلوبة منكوسة على رءوسها ، ففرغت الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له ، في لجة خضراء ، يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثل بحجب النور التي من دون الرحمن ، فأتوه وقد خلاست ساعات من النهار ، فلما

(١) ت : « دقة » . (٢) ن : « وقتلوك وولئك » .

(٣) الإكاف ، ككتاب وغراب : برذعة الحمار .

(٤) الخبر في التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .

(٥) سورة مريم ٢٤ - ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعتهم ، فرزع من ذلك ، ولم يرههم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتاً ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث في الأرض حدث أصبَحَتُ الأصنام منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعونٌ على هلاك بني آدم منها ؛ كنا ندخلُ في أجوافها فنكلّمهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التي تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغرتَها في أعين بني آدم ، وأذلتها وأدناها ، ذلك وقد خشينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أننا لم نأتك حتى أحصينا الأرض ، وقلبنا البحار وكلّ شيء قوينا عليه ؛ فلم نزد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إن هذا الأمر عظيم ، لقد عامت بأني كتبتّه ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فرّ فيهنّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدّين بذلك المكان ، علم أن ذلك الحدث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه ؛ فإذا فوقه رهوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك .

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما بجنتكم حتى أحصيت الأرض كلّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والحوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغت في ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتبتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي ، ولا وضعته قطّ ، إلا وأنا حاضرها ؛ وإني لأرجو أن أضلّ به أكثر مما يهتدي به ، وما كان نبيّ قبله أشدّ علىّ وعليكم منه .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمّونه من أجل نجم طلع أنكره ، وكان قبل ذلك يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللّبان ، فرؤوا بملك من ملوك الشام ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بال الذهب والمرّ واللّبان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها ؟ قالوا : تلك أمثاله ؛ لأنّ الذهب هو سيدّ المتاع كلّّه ، وكذلك هذا النبيّ هو سيدّ أهل زمانه ، ولأنّ المرّ يُجبرُّ به

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشفي به الله كلَّ سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره .

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله ، فقال : اذهبوا ، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك ، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى ، فلقيتهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تعلموه مكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقته ؛ فانصرفوا في طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر ، فهي الربوة التي قال الله :

﴿ وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(١) ﴾ .

فكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً ، كانت تلتقط السبيل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السبيل في منكبها الآخر ، حتى تمَّ لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ فكان أول آية رآها الناس منه أن أمه كانت نازلةً في دار دهقان من أهل مصر ، فكان ذلك الدهقان قد سرقت له خزانة ، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين ، فلم يتهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما أن رأى عيسى حزنَ أمه بمصيبة صاحب ضيافتها ، قال لها : يا أمه ، أتحبين أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم يا بُنَيَّ ، قال : قولي له يجمع لي مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عيَّد إلى رجلين منهم : أحدهما أعمى والآخر مقعد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك ، قال عيسى عليه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ، بعثوا الأعمى ، حتى قام به ، فلما استقل قائماً حاملاً هوى المقعد إلى كوة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتالا للمالك البارحة ، لأنه استعان الأعمى بقوته ، والمقعد بعينيه ، فقال

المقعد والأعمى : صدق ، فرداً على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدهقان في خزانته ، وقال : يا مريم خذي نصفه ، قالت : إني لم أخلق ذلك ، قال الدهقان : فأعطيه ابنك ، قالت : هو أعظم مني شأنًا ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرض ابنه له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام لم يحذروهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان ، فيه صفان من جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهما ، وهو يعشى ، فكلما أمر يده على جرة امتلأت شراباً ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فرح الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ، فأوحى الله عز وجل إلى أمه مريم ، أن اطلعي به إلى الشام ، ففعلت الذي أمرت به ، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحي على ثلاثين سنة ، وكانت نبوته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يطق منه شيئاً ، فتشبث له برجل ذي سن وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثلين كما تمثل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس .

٧٣١/١

* * *

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشى إليه ؛ وإنما كان يبدأوهم بالدعاء إلى الله عز وجل ، فجاءه إبليس في هيئة يبهر الناس حسنها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، وما لوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان في قوله : إن شأن هذا الرجل لعجيب^(١) ؛ تكلم في المهد ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشفى المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهلت أيها الشيخ ، وبس ما قلت ! لا ينبغي لله أن يتجلى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بس ما قلنا ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغي لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرغوا

٧٣٢/١

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خير ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجت مريم إلى جانب الحراب لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَأَتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿ في شرق الحراب ، فلما طهرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . فلما رأته فرغت منه وقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿ - تقول زانية - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) . فخرجت ، عليها جلبابها ، فأخذ بكميتها ، فنفع في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة في صدرها ، فحملت ، فأنتها أختها امرأة زكرياء ليلة تزورها ، فلما فتحت لما الباب التزمتها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريم أشعرت أني حبل . قالت مريم : أشعرت أني أيضاً حبل . قالت امرأة زكرياء : فإني وجدت ما في بطنى يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) . فولدت امرأة زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب الحراب الشرق منه ، فأنت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : ألبأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : ﴿ يَا كَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ .

vrr/1

(١) سورة مريم ١٦ - ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نَسِيًا : نَسِيَ ذَكَرِي ، وَمَنْسِيًا ، تقول : نَسِيَ أَثْرِي ، فلا يرى لي
أثر ولا عين . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ ، جبرئيل : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتِكَ مَرِيًّا ﴾ ، والسرى هو النهر . ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِيَجْدِغِ الذَّنْخَلَةِ ﴾ ،
وكان جددًا منها مقطوعًا فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في المحراب نهرًا
فساقطت النخلة رطبًا جنيًا ، فقال لها : كُلِّي واشربي وقرّي عينًا ، ﴿ فَأَمَّا
تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقليل لها :
٧٣٤/١ لا تزيد على هذا ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن
مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتمون ، فدعوها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا
يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ يقول عظيمًا ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَفِيًّا ﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون!
وكانت من بني هارون أخي موسى ؛ وهو كما تقول : يا أبا بني فلان ؛
إنما تعني قرابته . فقالت لهم ما أمرها الله ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ،
أشارت إليه - إلى عيسى - فغضبوا وقالوا : لَسَخَرَيْتُهَا بِنَا حِينَ تَأْمَرْنَا
أَنْ نَكَلِّمَ هَذَا الصَّبِيَّ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زَانَاهَا! ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْوَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فتكلم عيسى فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ ^(١) فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها
أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبه له
الشيطان في صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله
حتى تفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ،
فدخل فيها وبقي من رذائه هُدْبٌ ، فمرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا :
ياراعي ، هل رأيت رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُذب رذائه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمشاير ، وليس تجد يهوديًا إلا تلك الهدية في رذائه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق في الأرض صنم يعبد من دون الله إلا أصبح ساقطًا لوجهه .

٧٣٥/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبًا يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعامًا ، فقال : احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده^(١) ، ويمسح أيديهم بشيابه ، فتعاضموا ذلك وتكأروه ، فقال : ألا من ردّ عليّ شيئًا الليلة مما أصنع فليس منّي ولا أنا منه ! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم في أسوة ؛ فإنكم ترون أنّي خيركم ، ولا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبدّل بعضكم نفسه لبعض ؛ كما بذلت نفسي لكم . وأما حاجتي التي أستعينكم عليها ، فتدعون الله لي ، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلكي ، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ، حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يُوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نصرُ فنكثير السمّ ، وما نطيق الليلة سمًّا ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه ! فقال : يُذْهَب بالراعي وتترق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ، ينعتي به نفسه ، ثم قال : الحقّ لي كفرن بي أحدكم ، قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ؛ وليبعثني أحدكم بدرهم بسيرة ، وليأكلن ثمنى . فخرجوا فترقوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فركوه ، ثم أخذه آخر فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك ،

٧٣٦/١

فبكى ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لي إن
 دلتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّهم عليه - وكان
 شُبّه عليهم قبل ذلك - فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا
 يقودونه ، ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئ المجنون ،
 أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ،
 حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا
 ماشبّه لهم ، فكث سبعا . ثم إن أمه والمرأة - التي كان عيسى يداويها فأبرأها
 الله من الجنون - جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ،
 فقال : على من تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إني قد رفعني الله
 إليه ، ولم يُصنني إلاّ خيراً ، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم ، فأمرُ الحواريين أن
 يلقوني إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذي
 كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على
 ما صنع ، فاخنته وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألم عن غلام
 يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان
 منكم يحدث بلغة قوم^(١) فلينذرهم وليدعه .

٧٣٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ،
 عن وهب بن منبه اليمانيّ ، قال : توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات
 من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : عن ابن إسحاق : والنصارى
 يزعمون أنه توفاه الله سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه الله . فقال له : اهبط ،
 فأنزل على مريم المجدلانية في جبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن
 عليك أحد حزناً ، ثم لتجمع^(٢) لك الحواريين ، فبشّهم في الأرض دُعاةً
 إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الحبل حين

(١) ح : « قومه » .

(٢) ن : « ثم ليجمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعت له الخواريين ، فبشهم وأمرهم ، أن يلبغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة الطعام والمشرب ، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً ، وتفرق الخواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التي أهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجه من الخواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم ، فطرس الخوارى ومعه بولس — وكان من الأتباع ، ولم يكن من الخواريين — إلى رومية ، ٧٣٨/١ وأندرايس ومشى (١) إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس — وهي فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة ؛ وهي إفريقية ، ويوحنا إلى دفسوس (٢) ؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوريثليم ، وهي إيليا بيت المقدس ، وابن تالما إلى العرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر دون أفريقية ، ويهوذا — ولم يكن من الخواريين — إلى أريوبس (٣) ، جعل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سليم الأنصارى ، ثم الزرقى ، قال : كان على امرأة منّا نذرٌ ؛ لتظهرن على رأس الجماء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرت معها ، حتى إذا استويانا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عايه حجيران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجله ؛ فيهما كتاب بالمسند ، لا أدري ما هو ! فاحتلت الحجرتين معي ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهيطاً ثقلاً على ، فألقيت أحدهما وهبطت

(١) ت : « وشى » ، ن : « ومشى » .

(٢) كذا في ط ؛ وفي ياقوت : « أنسوس » ، بضم الهزرة وسكون الفاء والسينان مهملتان والواو ساكنة ؛ بلد بغير طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف .

(٣) ت : « أريفس » ، ن : « أريوبس » .

بالآخر ، فعرضته على أهل السريانية : هل يعرفون كتابه^(١) ؟ فلم يعرفوه ، وعرضته على مَنْ يكتب بالزبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممن يعرفه ألقيته تحت نابت لنا ، فكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون^(٢) الخرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجت إليهم الحجر ، فإذا هم يقرءونه ، فإذا هو^(٣) بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان ، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوا على بقية الحواريين يشتمونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم — وكانوا تحت يديه ، وكان صاحب وثن — فقيل له : إن رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله « قد أراه العجائب ، وأحيا لهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وحلقت لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً^(٤) » بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : وشحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من أمره وأمرهم ! فوالله لو علمت ما خلقت بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسأهم عن كدين عيسى وأمره ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس^(٥) فغيته ، وأخذ خشبته التي صلب عليها ، فأكرمها وصانها لما مسها منه ، وعدا على بني إسرائيل ، فقتل منهم قتل كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصل النصرانية في الروم .

وذكر بعض أهل الأخبار أن مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغوستوس ، وأن أغوستوس عاش بعد ذلك بقية ملكه ،

(١) ن : « كتابه » . (٢) ت : « يبتغون » .

(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيرا » .

(٥) ح : « سرجس » .

وكلان جميع ملكه ستا وخمسين سنة - قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس في ذلك الوقت اقيصر ،
والمملك على بيت المقدس من قبيل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه
رُسُل ملك فارس الذين وجههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غلطا ،
وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقربوا إلى المسيح أظافاً معهم من ذهب ،
ومرّ وليبان ، وأنهم نظروا إلى نجمة قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقربوا
الأظاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرهم كاد المسيح ،
فظابه ليقته ، فأمر الله الملك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة
ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر ، فلما مات
هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملك مكانه
أركلاوس ابنه ، وذهب من كان يطلب نفس الغلام ، فانصرف به إلى
ناصره من فلسطين ليتم قول شعيا النبي : من مصر دعوتك . ومات أركلاوس ، وملك
مكانه هيردوس الصغير ، الذي صلب شبه المسيح في ولايته ، وكانت الرياسة
في ذلك الوقت للملك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قبيلهم ؛ إلا
أنهم كانوا يلقبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقبون بقيصر ، وكان ملك
بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوستوس
دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومي يقال له : فيلاطوس من قبيل قيصر ،
وكانت رياسة الجالوت ليون بن بهوثن .

٧٤١/١

قال : وذكروا أن الذي شبهه بعيسى وصلب مكانه رجل إسرائيل ،
يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما
منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأيام ؛ ومنها بعد ذلك خمس
سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع

المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى

قال أبو جعفر : زعموا أن مُلْك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد
طياريوس إلى جايوس بن طياريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .
ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .
ثم ملك بعده نيرون ، الذى قتل فطرس وبولس ، وصلبه منكسا ، أربع
عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .

ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذى وجهه إلى بيت المقدس عشر
سنين . ولمضى ثلاث سنين من ملكه وتام أربعين سنة من وقت رفع عيسى
عليه السلام وجه أسفسيانوس ابنة ططوس إلى بيت المقدس ، حتى هدمه وقتل
من قتل من بنى إسرائيل غضبا للمسيح

٧٤٢/١

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس ، سنتين .

ثم من بعده دو مطيانوس ، ست عشرة سنة .

ثم من بعده نارواس^(١) ، ست سنين .

ثم من بعده طرايانوس^(٢) ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده هدريانوس ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده ططورس^(٣) بن بطيانوس ، اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده مرقوس وأولاده ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده قودوموس^(٤) ، ثلاث عشرة سنة .

(١) ت : « باذاوس » ، س : « نادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودموس » ، س : « قوروموس » .

- ثم من بعده فرطناجوس ، ستة أشهر .
 ثم من بعده سيروس^(١) ، أربع عشرة سنة .
 ثم من بعده أنطيناوس^(٢) ، سبع سنين .
 ثم بعده مرقيانوس ، ست سنين .
 ثم بعده أنطيناوس ، أربع سنين .
 ثم الحسندروس ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم غسميانوس^(٣) ، ثلاث سنين .
 ثم جورديانوس ، ست سنين .
 ثم بعده فليفسوس ، سبع سنين .
 ثم داقبوس ، ست سنين .
 ثم قالوس ، ست سنين .
 ثم بعده والريريانوس وقاليونوس^(٤) ، خمس عشرة سنة .
 ثم قلوديوس ، ستة .
 ثم من بعده قريطاليوس ، شهرين .
 ثم أورليانوس ، خمس سنين .
 ثم طيقطوس ، ستة أشهر .
 ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
 ثم فرايوس ، ست سنين .
 ثم قوروس وابناه ، سنتين .
 ثم دو قلطيانوس ، ست سنين .
 ثم محمديانوس ، عشرين سنة .
 ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين عشرين سنة .

٧٤٣/٩

(١) ت : « سيروس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطيناوس » .
 (٣) ح : « عبانوش » ، س : « عبانوس » ، ن : « عبانوس » .
 (٤) ت : « قاليوس » .

ثم اليانوس المناق ، سنتين .
 ثم يويانوس ، سنة .
 ثم والمطيانوس وغرطيانوس ، عشرين سنين .
 ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
 ثم تياداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
 ثم أرقديوس وأنوريوس ، عشرين سنة .
 ثم تياداسيس الأصغر والنطيانوس ست عشرة سنة .
 ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
 ثم لاون ، ست عشرة سنة .
 ثم زانون ، ثماني عشرة سنة . ثم أنسطاس ، سبعا وعشرين سنة .
 ثم يوسطنيانوس ، سبع سنين .
 ثم يوسطنيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
 ثم يوسطينس^(١) اثني عشرة سنة .
 ثم طيباريوس ، ست سنين .
 ثم مريقيس وتاداسيس ابنه ، عشرين سنة .
 ثم فوقا الذي قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
 ثم هيرقل الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين سنة .
 فن لادن عُمير بيت المقدس بعد تخريبه^(٢) بختنصر إلى الهجرة—على قولهم—
 ألف سنة ونيف ، ومن مُلك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيف وعشرون سنة ،
 من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده
 إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس
 وثمانون سنة وأشهر .

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بني إسرائيل يحيى بن زكرياء كان
 في عهد أردشير بن بابك لثماني سنين خلت من ملكه ، وأن بختنصر إنما صار
 إلى الشام لقتال اليهود من قبيل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « بوسطين » ، س : « بوسطيس » .

(٢) ابن الأثير : « بعد أن أخربه بختنصر » .

نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالملك
— فيما ذكر هشام بن محمد — دنو من دنا من قبائل العرب من ريف
العراق ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك .

فحدثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصر انضم الذين كان
أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقية الحيرة
خرابا ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً ، لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ،
ولا يقدم عليهم قادم ، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من
قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان ؛ فلما كثر أولاد معد
ابن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملئوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع
والريف فيما يليهم من بلاد اليمن وشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى
نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو ،
من بقايا بني عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة^(٢) ، وهو الغيطريف بن ثعلبة بن
امرئ القيس بن مازن بن الأزدي^(٣) .

وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهيم بن تيم الله
ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحلاف بن قضاعة ،
ومالك بن زهير بن عمرو بن فهيم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، في جماعة من

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقية الحيرة » . . . (٢) ت « حارثة » .

(٣) في معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنيومان
فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعة ولا أسلم ولا بارق ولا أزد عمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل
غسان ، وإن كان من أولاد مانق » .

قومهم ، وألخيفار^(١) بن الحيق^(٢) بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان ،
في قنص كلها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمّثان بن عوذ مائة بن يتقدم
ابن أفضى بن دُعَمِيّ بن إِيَاد بن نزار بن معد بن عدنان ، وزُهْر^(٣) بن
الحارث بن الشل^(٤) بن زهر بن إِيَاد وصُبح ، بن صبيح^(٥) بن الحارث بن
أفضى بن دُعَمِيّ بن إِيَاد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التَنُوخ — وهو
المقام — وتعاقلوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يبدأ على الناس ، وضمتهم
اسم تَنُوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عمارة من العماثر .

قال : وتَنَخ عليهم بطون من نُمارة بن لخم . قال : ودعا مالك بن زهير
جدّ يَمّة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن أدوس الأزدي إلى التَنُوخ معه ،
وزوجه أخته لميس ابنة زهير ، فتنخ جدّ يَمّة بن مالك وجماعة ممن كان بها
من قومهم من الأزدي ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزدي حلفاء دون سائر
تَنُوخ ، وكلمة تَنُوخ كلها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان
ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر ، وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن
دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ،
وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمّوا ملوك الطوائف ؛ لأن كل ملك منهم كان ماكه قابلا من
الأرض ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوه قريب منه ، له من
الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغيّر أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ،

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الخفتار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيرة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « الشل » وفي ابن خلدون : « اليل » .

(٥) في ط من غير نقط ؛ وما أثبتته عن ابن خلدون .

وظعموا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤسائهم بالمسير^(١) إلى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ؛ فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلائه من الناس ، فوجدوا الأرمانيين — وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل — يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نيفر^(٢) — وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية — فلم تدن لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لشمود إرم ، ثم سموا الأرمانيين ؛ وهم بقايا إرم ، وهم تبتط السواد . ويقال لدمشق : إرم .

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قنص بن معد ، وإليهم ينسب عمرو بن عدى بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نمار بن نخم . وهذا قول مضر^(٣) وحماد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت في قنص ابن معد شيء أثبت من قول جبير بن مطعم : إن النعمان كان من ولده . قال : وإنما سميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الأهرام^(٤) ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا قهم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن قهم بن تيم الله ، وغطقان بن عمرو بن الطمّثان ، وزهر بن الحارث وصبح ابن صبيح ؛ فيمن تنخ عليهم من عشائهم وحلقائهم على الأنبار ، على ملك الأرمانيين ، فطلع نمار بن قيس بن نمار ، والنجدة — وهم قبيلة من العماليق يدعون إلى كندة — وملكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا قهم ومن حالفهم ، وتنخ معهم على نيفر على ملك الأردوانيين ، فأزلم الحير الذي كان بناه

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نسبة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

بختنصر لتجار العرب الذين وُجِدوا^(١) بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالمة الأنبار وطالمة نيفر على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تبع - وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب - في جيوشه ، فخلّف بها من لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يتقوا على المضيّ معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضموا إلى هذا الحير ، واختلطوا بهم ؛ وفي ذلك يقول كعب بن جعيل بن عَجْرَة بن قُمير بن ثعلبة بن حوف بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن عَتَم بن تغلب بن وائل :

وَعَزًّا تُبِعُ فِي جَعِيرَ حَتَّى نَزَلَ الْحَيْرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنُ

وخرج تبع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرهم على حالهم ، وانصرف راجعاً إلى اليمن ، وفيهم من كل القبائل من بني لحيان ، وهم بقايا جرهم ؛ وفيهم جعفي ، وطيء ، وكلب ، وتميم ؛ وليسوا إلا بالحيرة - يعني بقايا جرهم . قال ابن الكلبي : لحيان بقايا جرهم .

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيته ، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدّر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمون عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم ، وكان منزله مما^(٢) يلي الأنبار . ثم مات مالك ، فلك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم هلك عمرو بن فهم ، فلك من بعده جدّيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن عَتَم^(٣) بن دؤس الأزدي .

قال ابن الكلبي : دؤس بن عدنان بن عبد الله بن نصر بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن

(١) كذا في ح ، وفي ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيها » .

(٣) في ط « غام » ، وللصواب يا أئمة من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

• • •

قال ابن الكلبي : ويقال إن جدّيمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بني ويار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جدّيمة من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نكايّة ، وأظهرهم حزماً ، وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برّص ، فكنتت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسمّيه به وتنسبه إليه إعظاماً له ، فقيل : جدّيمة الوضّاح ، وجدّيمة الأبرش ؛ وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحتها ، وعين التّمّر ، وأطراف البرّ إلى الغويّير^(١) والقطّططانة وحقّية وما والاها ، وتجنّبيّ إليه الأموال ، وتقدّ إليه الوفود ، وكان غزاً طسماً وجدّيساً في منازلهم من جعرّ وما حولهم ؛ وكانت طسم وجدّيس يتكلمون بالعربية ، فأصاب حمان بن تبع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسم وجدّيس باليمامة ، فانكفأ جدّيمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تبع على سرية لجدّيمة فاجتاحتها ، وبلغ جدّيمة خبرهم ، فقال جدّيمة^(٢) :

رُبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرَفَعَنْ بُرْدِي شِمَالَاتٍ^(٣)
فِي فَتْرٍ أَنَا كَالنُّهْمِ فِي بَلَايَا غَزْوَةٍ بَاتُوا^(٤)
مُمٌّ أَبْنَا غَانِمِي نَعْمٍ وَأُنَاسٌ بَعْدَنَا مَاتُوا
نَحْنُ كُنَّا فِي مَمَرِهِمْ إِذْ مَرَّ الْقَوْمُ خَوَاتُ
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمْ نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا^(٥)

(١) ط : « النعمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة في سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغاني ١٤ ، ٧٣ ، والمؤتلف للكمدي ٣٤ . والحزاة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف في الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح والنفث في « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتور : جمع فتى ، وكالنهيم : حافظهم . (٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَنَا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا قَالَ مِنَّا قَاتِلٌ صَاتُوا
 وَلَنَا أَلْبِيدُ أَلِيمَادُ الَّتِي أَهْلَهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
 مُبِيَّةُ الْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ ذَاكُمْ قَوْمِي وَأَهْلَاتِي (١)
 قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسَطَهُمْ نَاعِمًا فِي غَيْرِ أَصْوَاتِ
 فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ فَسَتَّبِكْنِي بُنْيَاتِي
 أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرَ رَبِّي الْكَافِتِ الْفَاتِ

يعنى بالكافت الذى يكفت أرواحهم ، والقات الذى يفتيهم (٢) أنفسهم ؛
 يعنى الله عز وجل .

قال ابن الكلبي : ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل .
 قال : وفي مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر
 في الجاهلية :

أَضْحَى جَدِيمَةٌ فِي بَيْرِينَ مَنَزَلِهِ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي دَهْرِهَا عَادُ

٧٥٢/١

فكان جديمة قد تنبأ وتكهن ، واتخذ صنمين ؛ يقال لهما : الضيزنان —
 قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف — وكان يستقى بهما ويستنصر بهما
 على العدو ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك
 العين ، فكان يغازيهم ؛ فذكر بلخزيمة غلام من لحم في أخواله من إياد
 يقال له عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن
 عم بن نسارة بن لحم ، له جمال وظرف ، فغزاهم جديمة ، فبعث إياد قوماً
 فسقوا سدة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا في إياد ، فبعث
 إلى جديمة : إن صنميك أصبحا فينا ، زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا
 ألا تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدى بن نصر تدفعونه إلى . فدفعوه إليه مع الصنمين ، فانصرف

(١) ط : « ثبوة » . وفي البيت وما بعده إقراء ، وانظر حواشى ط .

(٢) ط : « يفتهم » .

عنهم ، وضمّ عدياً إلى نفسه ، وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش ابنة مالك
أخت جذيمة ، فمشقته وراسلته ، وقالت : يا عدى ، اخطبني إلى الملك ،
فإن لك حسباً وموضعاً ، فقال : لا أجتري على كلامه في ذلك ، ولا أطمع
أن يزوجنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضره ندمائه ، فاسقيه
صرفاً ، واسق القوم مزاجاً ، فإذا أخذت الخمر فيك فيه ، فاخطبني إليه ، فإنه
لن يردك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوتك فأشهد القوم ؛ ففعل القتي ما أمرته
به ، فلما أخذت الخمر مأخذها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف
٧٥٣/١ إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرّجاً بالخلق ، فقال له جذيمة
— وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس ، قال
أى عرس ! قال : عرس رقاش ! قال : من زوجكها ويحك ! قال :
زوجنيها الملك ، فضرب جذيمة بيده على جبهته ، وأكب على الأرض ندامة
وتلهفياً ، وخرج عدى على وجهه هارباً ، فلم ير له أثر ، ولم يُسمع له
بذكر ، وأرسل إليها جذيمة ، فقال :

حدّثيني وأنت لا تكذّبيني أبحر زنيّت أم بهجين !
أم ببعد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون
فقلت : لا بل أنت زوجتني امرأ عربياً ، معروفًا حسيباً ، ولم تستأمرني
في نفسي ، ولم أكن مالكة لأمرى ؛ فكف عنها ، وعرف عذرها .
ورجع عدى بن نصر إلى إباد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية
متصيديين ، فرى به فتى منهم من هنب فيما بين جبلين ، فتنكس فأت ،
واشتمت رقاش على حبل (١) ، فولدت (٢) غلاماً ، فسماه عمراً ورشحه (٣) ؛
حتى إذا ترعرع عطّرتّه وألبسته وحلته ، وأزارته خالته جذيمة ، فلما رآه أعجب
به ، وألقبت عليه منه مقة ومحبة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم .
فخرج جذيمة متبدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكثية ، فضربت له أبنية
في روضة ذات زهرة وعُدُر (٤) ، وخرج ولده وعمرو معهم يمتنون الكمأة ،

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا في ابن الأثير ، وفي ط : « نكح » .

(٣) رشحه ، أي ربه . (٤) غدر : جمع غدير .

٧٥٤/١ فكانوا إذا أصابوا كفاة جديده أكلوها ، وإذا أصابها عمرو وخباها في حَجْرَتِهِ (١) فانصرفوا إلى جديده يتعادون ، وعمرو يقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فضمه إليه جديده والتزمه ، وسرّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلّ من فضة وطوق ، فكان أولَ عربيّ ألبس طوقاً ، فكان يسمى عمراً ذا الطوق ، فبينما هو على أحسن حاله ، إذ استطارته الجنّ فاستهوته ، فضرب له جديده في البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان من بَلْقَيْنِ - يقال لهما : مالك وعقيل ، ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن جسر ابن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة - من الشام يريدان جديده ، قد أهديا له طُرْفًا ومتاعاً ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قبنة لهما يقال لها : أمّ عمرو ، فقدمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان شاحب ، قد تلبّد شعره ، وظالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجاء حتى جلس حَجْرَةً (٢) منهما ، فمدّ يده يريد الطعام ، فناولته القبنة كُرَاعاً (٣) ، فأكلها ثم مدّ يده إليها ، فقالت : « تعطى العبد كُرَاعاً في الذراع » ، فذهبت مثلاً ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكت زَقْمَهَا (٤) ، فقال عمرو بن عدى :

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

٧٥٥/١

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْحَبِينَا (٦) !

فقال مالك وعقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإني أنا عمرو بن عدى ، ابن تنوخية ، اللخمي ، وغداً ما ترياني في نماره غير معصى .

(١) الحجزة : معقد الإزار ، وفيت : « حجرتة » . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستدق الساق من البقر . الغم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكى الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ؟ وهما في مملته ص ٢١١ - بشرح التبريزي .

(٦) في المملقات : « لا تصحبينا » .

فنهضوا إليه فضمّاه وغسلا رأسه، وقلّما أظفاره، وأخذوا من شعره وألبسناه
 بما كان معهما من الثياب وقالوا: ما كنا لنهدّي بلحديمة هدية أنفسنا
 عنده، ولا أحبّ إليه من ابن أخته، قد رده الله عليه بنا. فخرّجا به، حتى
 دفعا إلى باب جديمة بالحيرة، فبشّراه، فسرى بذلك سروراً شديداً؛ وأنكره
 لحال (١). ما كان فيه، فقالوا: أبيت اللعن! إن من كان في مثل حاله يتغيّر.
 فأرسل به إلى أمّه، فكثّ عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال: لقد رأيتُه يوم
 ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة، فأعادوا عليه
 الطوق، فلما نظر إليه قال: «شبّ عمرو عن الطوق»، فأرسلها مثلاً، وقال
 للمالك وعقيل: حُكِّمَكُما، قالوا: حُكِّمْنَا منادمتك ما بقينا وبقيت!
 فهما ندماناً جديمة اللذان ضُربا مثلاً في أشعار العرب، وفي ذلك يقول
 أبو خراش الهذلي:

لعمرك ما ملّت كَيْشَةُ طَلْعِي وَإِنْ نَوَانِي عِنْدَهَا لَقَلِيلُ (٢)
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا نَدِيمَا صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
 وقال مُتَمِّمُ بن نويرة:

وَكَأَنَّ كَدِّمَانِي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا (٣)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

• • •

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب
 ابن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العمليّ— ويقال العمليّ، من

(١) ن: «بحال».

(٢) ديوان الهذليين ٢: ١١٦. والثواء: المقام، وبعد البيت الأول وقبل الثاني:

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةِ لَاهِيَا وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
 وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمِّمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧.

عاملة العماليق ، فجمع جديمة جموعاً من العرب ، فسار إليه يريد غزاته ، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام ، فالتقوا ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، فقتل عمرو بن ظرب ، وانقضت جموعه ، وانصرف جديمة بن معه سالمين غانمين ، فقال في ذلك الأعور بن عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي :

كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَرْبِيٍّ لَمْ يَمَسَّ مَلِكًا وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرِّايَاتُ مُخْتَفِقًا ^(١)
لَاقَى جَدِيمَةَ فِي جَاوَاهِ مُشْعِلَةً فِيهَا حَرَّاشِفٌ بِاللَّيْرَانِ تَرْتَشِقُ ^(٢)

فلكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة ، وقال في ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبي :

أَتَعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْمُتَقِيٍّ وَبَيْنَ مَجْرٍ نَائِلَةَ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعارية الأولى ، وتزيد وسليح ابني حلدوان ابن عمران بن الحاف بن قضاة ، ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصرأ حصيناً على شاطئ الفرات الغربي ، وكانت تشتتو عند أختها ، وتربع ببطن النجار ، وتصير إلى تدمر . فلما أن استجمع لها أمرها ، واستحکم لها ملكها ، أجمعت لغزو جديمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأى ودهاء وإرب : يا زباء ؛ إنك إن غزوت جديمة فلنما هو يوم له ما يعده ، إن ظفرت أصبت نارك ، وإن قتلت ذهب ملكك ، والحرب سجال ، وعثراتها لا تستقال ^(٣) ، وإن كعبك لم يزل سامياً على من ناؤك وسامك ، ولم ترى بؤساً ولا غيراً ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزباء : قد أديت النصيحة ، وأحسنت الروية ، وإن الرأى ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جديمة ، ورفضت ذلك ، وأتت

(١) البيهقي في شرح المقامات للشريشي ٢ : ٥

(٢) الجاهلي : الكتيبة . والحرف : الرجالة ؛ شبهوا بجماعة الجراد .

(٣) ح : « تقال » .

أمرها من **بجوه الختل** (١) والخذع والمكر. فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصل بلادها ببلادها . وكان فيما كتبت به : أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبيح في السماع ، وضعف في السلطان ، وقلة ضبط المملكة ، وإنما لم تجد ملكها موضعاً ، ولا لنفسها كفتاً غيرك ، فأقبل إلى ، فاجمع ملكي إلى ملكك ، وصل بلادى ببلادك ، وتقلد أمرى مع أمرك .

فلما انتهى كتاب الزباء إلى جذيمة ، وقدم عليه رسلها استخفته ما دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه ، وجمع إليه أهل الحجي والنهي ، من ثقات أصحابه ، وهو بالبقعة من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعته إليه الزباء ، وعرضته عليه ، واستشارهم في أمره ، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ، ويستولي على ملكها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر (٢) بن جذيمة بن قيس بن ربي (٣) بن نمارة بن لخم . وكان سعد تزوج أمةً لجذيمة ، فولدت له قصيراً ، وكان أريباً حازماً ، أثيراً عند جذيمة ، ناصحاً ، فخالفهم فيما أشاروا به عليه ، وقال : « رأيت فاتر ، وغدر حاضر » ، فذهبت مثلاً . فرادوه الكلام ونازعه الرأي ، فقال : « إني لأرى أمراً ليس بالخصا ولا الزكا » (٤) ، فذهبت مثلاً . وقال لجذيمة : اكتب إليها ، فإن كانت صادقةً فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكثها من نفسك ، ولم تقع في جبالها ، وقد وترتها ، وقتلت أباهاً . فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير ، فقال قصير :

إني أمرؤ لا يميلُ العجزُ تزويتي إذا أتت دون شيء مرةً الوذم

فقال جذيمة : لا واكنك امرؤ رأيت في الكين لا في الضح ، فذهبت مثلاً . فدعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره ، فشجعه على المسير ،

(١) ح : « الخيل » .

(٢) في الأغاني وابن خلدون والشريشي : « عمرو » .

(٣) كذا في س وفي ابن خلدون : « إربي » .

(٤) من قول العرب للزوج زكا وللزوجة خصا ؛ ومنه : « ما أدري كم حدثني ابن عن

رسول الله صل الله عليه وسلم : أخصا أم زكا » . وانظر اللسان - خصا .

وقال : إن (١) نُمارة قومي مع الزبَاء ، ولو قد روا لصاروا معك ، فأطاعه وعصى
قصيراً ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » ، وفي ذلك يقول نهشل بن حمرى
ابن ضمرة بن جابر التميمي :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطْعَمَ بِالْبَقْتَيْنِ قَصِيرٌ (٢)
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبَ أَمْرِي وَأَمْرِهِ وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورٌ (٣)
تَمَنَّى تَيْشِيًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورٌ

وقالت العرب : « ببقّة أبرم الأمر » ، فذهبت مثلا ، واستخلف
جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه ، وجعل عمرو بن عبد الجين الجرمي
معه على خيوله ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي .
فلما نزل الفرضة دعا قصيراً ، فقال : ما الرأي ؟ قال : « ببقّة تركت الرأي » ،
فذهبت مثلا ، واستقبلته رُسُلُ الزبَاء بالهدايا والأطاف ، فقال : يا قصير ،
كيف ترى ؟ قال : « حَظَرٌ يسيرٌ في حَظَبٍ كبير » (٤) ، فذهبت مثلا ،
وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ، وإن أخذت
جنينك وأحاطت بك من خلفك ، فإن القوم غادرون ، فاركب العصا -
وكانت فرساً لجذيمة لا تجارى - فإننى راكبها ومسايرك عليها . فلقبت الخيول
والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر إليه جذيمة مولياً
على متنها ، فقال : « ويل أمه حنزمًا على ظهر العصا ! » ، فذهبت مثلا ،
فقال : يا ضلّ ما تجرى به العصا ! وجرت به إلى غروب الشمس ثم تقمقت ،
وقد قطعت أرضاً بعيدة ، فبنى عليها بُرجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب :
« خير ما جاءت به العصا » ، مثل تضربه .

وسار جذيمة ، وقد أحاطت به الخيول ، حتى دخل على الزبَاء ، فلما

(١) ح : « إنما » ، وكذا في ابن الأثير .

(٢) الأبيات في اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) في ط : « فلما تبين » ، وأثبت ما في ياقوت واللسان .

(٤) في مجمع الأمثال ن ١ : ٢٣٢ : « خطب يسير » .

رأته تكشفت فإذا هي مضمفورة الإسب^(١)، فقالت: يا جذيمة « أدأب عروس ترى ! »^(٢)، فذهبت مثلاً، فقال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى، فقالت: « أما وإلهي ما بنا من عدم موماس، ولا قلة أواس، ولكنه شيمة ما أناس »^(٣). فذهبت مثلاً، وقالت: إني أنبت أن دماء الملوك شفاء من الكلب، ثم أجلسه على نطح، وأمرت بطست من ذهب، فأعدته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه قطعاً، وقد امت ٧٦١/١ إليه الطست، وقد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه - وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا في قتال، تكرمة للملك - فلما ضعفت يدها سقطتا، فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لانصيتوا دم الملك، فقال جذيمة: « دعوا دما ضيعة أهله »، فذهبت مثلاً، فهلك جذيمة واستبقت^(٤) الزباء دمه، فجعلته في بيس^(٥) قطن في ربة لها، وخرج قصير من الحن الذي هلكت العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالخيرة، فقال له قصير: أدائر أم ثائر^(٦)، قال: لا، بل ثائر سائر، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عدى، فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا، وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدى، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عدى في ذلك:

(١) ت، س: « الامت »، ح: « السوة »، والاسب: شعر الامت.

(٢) كذا في الطبري وابن الأثير وتجارب الام ٩، وفي المتالين من الأشراف ١١٤:

« أدأب عروس »، وفي المسموي ٢: ٩٤: « أمي متاع عروس »؛ وبعدها في الأغاني ١٤: ٧٤: « بل أرى متاع أمة لكما غير ذات خفر ».

(٣) في الأغاني: « شيمة من أناس ».

(٤) كذا في ح، وفي ط: « واستشفت »، وفي المسموي: « استصفت ».

(٥) كذا في ط، وفي المسموي: « وجعلته في برنية ».

(٦) في الميدان: « أثار أنت ».

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الْجِنِّ لِلْسَّلَامِ بَعْدَ مَا
فَلَمَّا ارْعَوْى عَنْ صَدْنًا بِاعْتِرَافِهِ
تَتَابَعِ فِي غَرْبِ السَّفَاهِ وَكَلَّمَا (١)

فقال عمرو بن عبد الجن مجيباً له :

أَمَا وَدِمَاءَ مَائِرَاتٍ تَحَالُهَا عَلَى قَلَّةِ الْعُزَى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ أَيْبِلَ الْأَيْبِلِينَ الْمَسِيحَ بَنَ مَرِيماً ٧٦٢/١

— قال : هكذا وجد الشعر ليس بنام ؛ وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث :

« لقد كان كذا وكذا » —

— فقال قصير لعمرو بن عدى : تهبأ واستعد ، ولا تُطِيلَ دمَ خالك .

قال : وكيف لي بها وهي أمتع من عقاب الجوى ؟ فذهبت مثلاً ، وكانت الزبباء سألت كاهنة لها عن أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكك بسبب غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ؛ ولن تموت بيده ، ولكن حتفك بيدك ، ومن قبله ما يكون ذلك . فحدّرت عمراً ، واتخذت نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فسجأتى أمر دخلت النفق إلى حصنى . ودعت رجلاً مصوراً أجود أهل بلادها تصويراً ، وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهّزته وأحسنته إليه ، وقالت له : سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متكرراً ، فتخلو بحشمه ، وتنضم إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبت عمرو بن عدى معرفة ، وصوره جالساً وقائماً ، وراكباً ومتفضلاً ، ومتسلحاً ببيته ولبسته وثيابه ولونه ؛ فإذا أحكمت ذلك ، فأقبل إلى .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو ، وصنع الذى أمرته به الزبباء ، وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجهته له من الصور على ما وصفت له ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحدّرت ،

(١) التتابع : الإسراع فى الشر ، واللجاجة ، وفى ح : « تتابع » . وكلم : ذهب فى سرعة .

وعلمت علمه . فقال قصير لعمر بن عدى : اجْدَعْ أَنِّي وَاضْرِبْ ظَهْرِي ،
وَدَعْنِي وَإِيَّاهَا . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني !
فقال قصير : « نَحَلَّ عَنِّي إِذَا وَخَلَكَ ذَمٌّ » ، فذهبت مثلاً .

قال ابن الكلبي : كان أبو الزبَاء اتَّخَذَ النِّفْقَ لَهَا وَلِأَخْتِهَا ، وَكَانَ الْحِصْنَ
لِأَخْتِهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَمْرُو ، فَأَنْتَ أَبْصَرُ ، فَجَدَعُ
قَصِيرِ أَنْفِهِ ، وَأَثَرَ بَظْطِهِ ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : « لِمَكَرٍ مَا جَدَعُ أَنْفَهُ قَصِيرٌ » ،
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَلَمِّسُ :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاصَّ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَهْسُ (١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدى بن زيد :

كَقَصِيرٍ إِذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ جَدَعُ أَشْرَافَهُ لِشُكْرِ قَصِيرٍ

فلما أن جدع قصير أنفه وأثر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ،
وأظهر أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكرّ بخاله جذيمة ، وغرّه من
الزبَاء ، فسار قصير حتى قدم على الزبَاء ، فقبل لها : إن قصيراً بالباب ،
فأمرت به فأدخل عليها ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ، فقالت :
ما الذى أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أننى غررت خاله ،
وزينت له السير إليك ، وغششته وما لأتاك عليه ؛ ففعل بى ما ترى ! فأقبلتُ
إليك ، وعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفته وأكرمته ،
وأصابته عنده بعض ما أُرادت من الخزم والرأى والتجربة والمعرفة بأموار الملوك ؛

(١) من أبيات في الحماسة ٢ : ٦٥٨ - بشرح المرزوق . ويهس : رجل من فزارة كان
يحق ؛ فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ،
فإذا سئل عن ذلك قال :

الْبَسْتُ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لِبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فتوصل بما صوره من حاله عند التماس إلى أن طلب بدماء إخوته .

فلما عرفت أنها قد استرسلت إليه ، ووثقت به ، قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ، فابعثيني إلى العراق لأحمل ما لي وأحمل إليك من بُزُوْزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارا ، فتصيين في ذلك أرباحاً عظماً ، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحته ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ؛ وأتى الخيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهزني بالبرِّ والطرف (٢) والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزبَاء فتصيب (١) ثأرك ، تقتل عدوك . فأعطاء حاجته ، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها ، فرجع بذلك كله إلى الزبَاء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأت ، وسرها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى ، فسار حتى قدم العراق ، ولتى عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزبَاء ؛ ولم يترك جهنماً ، ولم يدع طرفة ولا متاعاً قدر عليه إلا حمّله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرًا الخبير ، وقال : اجمع لي ثقات أصحابك وجندك ، وهيئ لهم الغرائر والمسوح — قال ابن الكلبي : وقصير أول من عمل الغرائر — واحمِل كل رجلين على بعير في غرارين ، واجعل معقد رءوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزبَاء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة (٣) فن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزبَاء تريد النفق جعلتها بالسيف .

٧٦٥/١

ف فعل عمرو بن عدى ، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير ، ثم وجه الإبل إلى الزبَاء عليها الرجال وأسلحتهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدم قصير إليها ، فبشّرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإني

(١) ح : « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » .

(٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلاً . وقال ابن الكلبي : وكان قصير يكمنُ النهار^(١) ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل . فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَاً وَبَيْدَاً ! أَجْدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا !
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيداً مرّاً على بواب المدينة وهو تَبَطَّى بيده منخسة ، فنخس بها الغرائر التي تليه ، فنصيب خاصرة الرجل الذي فيها ، ففصرط . فقال البواب بالنَّبَطِيَّةِ « بشتابسقا »^(٢) يعنى بقوله : « بشتابسقا » : في الجوالق شرّاً وأرعِب^(٣) قلباً ، فذهبت مثلاً ، فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ، ودلّ قصير عمراً على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة ! ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدى على باب النفق ، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمراً قائماً ، فعرفته بالصورة التي كان صورها لها المصور فصّت خاتمها ، وكان فيها سَمٌ - وقالت : « بيدي لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت مثلاً ، وتلقّاها عمرو بن عدى ، فجلّلتها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفأ راجعاً إلى العراق ، فقال عدى بن زيد في أمر جذيمة وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدى إياها قصيدته :

أَبْدَلْتِ الْمَنَازِلُ أُمَّ عُفِينَا تَقَادَمَ عَهْدَهَا أُمَّ قَدْ بَلَيْنَا
إلى آخرها .

وقال الخبيل ، وهو ربيعة بن عوف السعدي :

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

(١) ح : « النهار » .

(٢) ت ، ح : « بستا » .

(٣) ت ، س : « ورابع » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَائِلَ بَيْنَهُ
 طَابَتْ بِهِ الزَّبَاءُ وَقَدْ جَمَّاتَ لَهَا
 حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا يَخْشُونَ
 حَتَّى تَفْرَعَهَا بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
 وَأَبُو حَذِيفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمْعِهِ
 وَلَهُ مَعْدٌ وَالْعَبَادُ وَطَيِّبٌ
 يَسِبُّ النَّجَابَ وَالزَّرَائِعَ حَوْلَهُ
 فَاتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنْ لَهُ
 فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ حُمِّ قِضَاؤُهُ
 مَنْ لَا يُزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ
 دُورًا وَمَشْرَبَةٌ لَهَا أَنْفَاقُ^(١)
 مِنْ آلِ دُومَةَ رَشَلَةَ مِمَّنَّاقِ
 عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مَخْرَاقُ^(٢)
 شِعْبُ النَّبِيطِ فَحَوْمَةٌ فَأَفَاقُ
 وَمِنْ الْجُنُودِ كِتَابٌ وَرِفَاقُ
 جُرْدًا كَانَ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ^(٣)
 يَمَّا أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ
 رَفْدًا أَمِيلَ إِنْأَوُهُ مَهْرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا قَهْقَلًا وَابْنَ رَاعِي
 فَلَمَّا أَتَتْهَا الْعِيدُ قَالَتْ أَبَارِدُ
 وَنَحْنُ خَتْنَا نَبْتَ زَبَا بِمِنْجَلِ^(٤)
 مِنْ التَّمْرِ هَذَا أُمُّ حَدِيدٍ وَجَنْدَلِ

وقال عبد باجر^(٥) - واسمه بهرا من العرب العاربة؛ وهم عشرة أحياء : عاد ،
 وثمود ، والعماليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم^(٦) ، والمود^(٧) ، وجرم ، ويقطن ،
 والسلف قال : والسلف دخل في حمير -

٧١٨/١

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تفرعها » .

(٣) الزرائع : جمع زريعة ؛ وهي الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو

الحليل ؛ وفي ط : « البرائع » ، وما أثبتته من س .

(٤) ط : « غنينا » ، وما أثبتته من ت .

(٥) ت : « ناجر » .

(٦) قال السهيلي : « يقال : يفتح الهمة وكسر الميم وبضم الهمة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛

ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لَا رَكِبْتَ رَجُلًا مِنْ بَيْنِ الدُّلَى لَقَدْ رَكِبْتَ مَرَّ كَبًا غَيْرَ الْوَطِيِّ
 عَلَى الْعِرَاقِيِّ بِصَقًّا مِنَ الطَّوِيِّ (١) إِنْ كُنْتَ غَضِبِي فَأَغْضِبِي عَلَى الرَّكِيِّ
 . وَعَاتِبِي الْقَيْمَ عَمْرُو بْنَ عَدِي .

فصار الملك بعد جدديمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن ثمارة بن نلم ، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من تجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون ؛ وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدى ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأطول ؛ لا يدين للملوك الطوائف بالمغازي والعراق ، ولا يدينون له ؛ حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس .

وإنما ذكرنا في هذا الموضوع ما ذكرنا من أمر جدديمة وابن أخته عمرو بن عدى لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن ؛ أنه لم يكن لملكهم نظام ، وأن الرئيس منهم إنما كان ملكاً على مخالفه ومحجره ، لا يجاوز ذلك ؛ فإن نزع منهم نازع ، أو نبغ منهم نابغ (٢) فتجاوز ذلك - وإن بعدت مسافة سيره من مخالفه - فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطن ، ولا آباءه ، ولا لأبنائه ، ولكن كالذي يكون من بعض من يشرّد من المتلصّصة ، فيُغير على الناحية باستغفاله أهلها ، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات ؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن ؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخالفه ومحجره أحياناً فيصيب مما يمرّ به ثم يتشمر (٣) عند خوف الطلب ، راجعاً إلى موضعه ومخلافه ، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه بالطاعة ، أو يؤدّي إليه خراجاً ؛ حتى كان عمرو

(١) ت : « الوطى » .

(٢) ح : « تابع » .

(٣) ح : « يشمر » .

ابن عدى الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جدِّيمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتَّصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحى العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفأهم أمرَ مَنْ وليتهم من العرب ؛ إلى أن قَتَلَ أبرويز بن هرمز النعمانَ بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جدِّيمة وعمرو ابن عدى من أجل ذلك ؛ إذ كُنَّا نريد أن نسوق تمام التاريخ على مُلك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما رُوِيَ من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلاً . وكان أمرُ آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعملهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعلماً مثبتاً عندهم فى كنائسهم وأسفارهم .

٧٧٠/١

وقد حَدَّثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : إني كنت أستخرج أخبارَ العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغَ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنينهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها .

فأما ابن حميد ، فإنه حدثنا فى أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غير الذى ذكره هشام ؛ والذى حدثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا نذكرها بعدُ — عند ذكر أمر الحبشة ، وغلبتهم على اليمن وتعبير سَطِيح وشقِّ وجوابهما عن رؤياه — ثم ذكر فى خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سَطِيح وشقِّ وجوابهما إياه ، وقع فى نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهرز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فن بقيت ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم .

٧٧١/١

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضًا كان في أيام ملوك الطوائف ، وأن فناء جديس كان على يد حسان بن تبع ، إذ كنا قدمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ، الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحدثت عن هشام بن محمد . وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طسمًا وجديسًا كانوا من ساكني اليمامة ؛ وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرًا ، لم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشائعة ، وكان عليهم ملك من طسم ظلم غشوم ، لا ينهاه شيء عن هواه ، يقال له عملوق ، مضرًا بجديس ، مستذلًا لهم .

وكان مما لقوا من ظلمه واستذلاله ؛ أنه أمر بالأتهددي بكر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها ، فقال رجل من جديس ، يقال له الأسود بن غفار لرؤساء قومه : قد ترون ما نحن فيه من العار والذل الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه ؛ فأطيعوني فإني أدعوكم إلى عز الدهر ، ونفي الذل . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إني صانع للملك ولقومه طعامًا ، فإذا جاءوا نهضنا إليهم بأسيافنا وانفردت به فقتلته ، وأجهز كل رجل منكم على جليسه ، فأجابوه^(١) إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعد طعامًا ، وأمر قومه فانتصروا سيوفهم ودفنوها في الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم ، فخذوا سيوفهم ، ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئًا ؛ وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء ، فشدوا على العامة منهم ، فأفنونهم ، فهرب رجل من طسم يقال له رباح^(٢) بن مرة ، حتى أتى حسان بن تبع ، فاستغاث به ، فخرج حسان في حمير ،

(١) ح : « فأجابوا » .

(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لي أختاً متزوّجة في جديس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها ، إنها لتبصرُ الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنّي أخاف أن تنذر القوم بك ، فرأ أصحابك ، فليقطع كلُّ رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت حميمير . فقالوا : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة ، معه كتيف يتعرفها^(١) ، أو نعل يخصفها . فكذّبوها ؛ وكان ذلك كما قالت ، وصبّحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم .

٧٧٣/١

وكانت اليمامة تسمى إذ ذاك جنّاً والقرية ؛ وأنى حسان باليمامة ابنة مرة ، فأمر بها ففقت عيناها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد في عروق عينيك ؟ قالت : حنجير أسود يقال له الإثمّد ، كنت أكتحل به . وكانت فيما ذكروا أولّ من اكتحل بالإثمّد ، فأمر حسان بأن تسمى جو اليمامة^(٢) .

وقد قالت الشعراء من العرب في حسان ومسيره هذا ، فن ذلك قول الأعمش^(٣) :

كُونِي كَمَثَلِ الَّذِي إِذْ غَابَ وَأَفِدَهَا أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةَ جَزَعًا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذُّنْبِيُّ إِذْ سَجَمًا^(٤)
إِذْ قَلَبَتْ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِمُفْرَقَةٍ إِذْ يَرُفَعُ أَلَالَ رَأْسِ الْكَلْبِ فَارْتَفَعًا^(٥)

(١) يتعرفها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نيشاً .

(٢) انظر القصة في شرح ديوان الأعمش ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ - ٧٤ ؛ من قصيدة مطلقها :

بَأَنْتِ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعًا وَاحْتَلَّتِ الْعَمْرُ فَأُلْجِدَيْنِ فَالْفَرَعَا

(٤) الذنبي : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

• إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةَ لَيْسَتْ بِكَادِبَةٍ •

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفَى آيَةٌ صَنَعًا !
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَهَدَمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَأَتَضَعَا
ومن ذلك قول النمر بن تولب العمكلي :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءِ وَبَيْتِهِ
وَفَتَاتِهِمْ عَزْزِ عَشِيَّةِ آنَسَتْ
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ
وَرَأَتْ مُقَدَّمَةَ الْخَمِيسِ وَقَبْلَهُ
فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوْ غَدَوَةٌ
كَانُوا كَأَنْعَمٍ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا
قَالَتْ يَمَامَةٌ أَحْمِلُونِي قَائِمًا^(١)
وَالْخَلِّ وَالْخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُنْمَعْ^(٢)
مِنْ بَعْدِ مَرَأَى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
أَصْلًا وَجَوْ آمِنٌ لَمْ يُفْزَعْ^(٣)
رَقَصَ الرَّكَّابِ^(٤) إِلَى الصَّبَاحِ يُتْبِعُ
صُبْحُوا بِذَيْفَانِ السَّمَامِ السُّنْفَعِ
يَلْتَوُونَ زَادَ الرَّايِبِ الْمَتَمَعِ
إِنْ تَبَعْتُوهُ بَارِكًا بِي أَصْرِعِ

٧٧٥/١ وحسان بن ثبّع ، الذي أوقع بجديس ، هو ذو معاهر ، وهو ثبّع بن ثبّع
ثبان أسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن تبّع بن أقرن ؛ وهو أبو تبّع بن حسان
الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة ، وكما الكعبة ، وأن الشعب من المطابخ
إنما سمي هذا^(٥) الاسم لنصبه المطابخ في ذلك الموضع وإطعامه الناس ؛ وأن
أجياداً إنما سمي أجياداً ، لأن نخيله كانت هنالك ؛ وأنه قدم يثرب فنزل منزلاً
يقال له منزل الملك اليوم ، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية من
شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار ، وأنه وجّه ابنه حسان إلى السند

(١) ذكر ابن بدر بن شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثاني والثالث .

(٢) ابن بدر بن :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ
تَقْلِيْبَ ذِي وَصْلٍ لَهُ وَمُسَمَعُ

(٣) ابن بدر بن : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إمام » .

(٥) ت : « جهاد » .

وسميرا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فرّ سمر بسمرقند فأقام عليها حتى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبي وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوفى حسان بها، فن أهل اليمن من يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبع بالأموال والغنائم.

• • •

وما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم.

تم الجزء الأول من تاريخ الطبرى، ويليه الجزء الثانى
وأوله: ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

فهرس الموضوعات

صفحة	
٩	القول فى الزمان ما هو
	القول فى كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله
١٩ - ١٠	إلى آخره
٢١ - ٢٠	القول فى الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار.
	القول فى هل كان الله عزّ وجلّ خلق قبل خلقه الزمان والليل
٢٦ - ٢٢	والنهار شيئاً غير ذلك الخلق
	القول فى الإبادة عن فناء الزمان والليل والنهار وألّا شىء يبقى
٢٧	غير الله تعالى ذكره
	القول فى الدلالة على أن الله عزّ وجلّ القديم الأول قبل كلّ
٣١ - ٢٨	شىء وأنه هو المحدث كلّ شىء بقدرته تعالى ذكره
٣٦ - ٣٢	القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله
٤٦ - ٣٧	القول فى الذى نثى خلق القلم
	القول فىما خلق الله فى كلّى يوم من الأيام السنة التى ذكر
٦٠ - ٤٧	الله فى كتابه أنه خلق فىهن السموات والأرض وما بينهما .
	القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه وفى بدء خلق
٨٠ - ٦١	الشمس والقمر وصفتهما، إذ كانت الأزمنة بهما تعرف .
	ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا
٨٢ - ٨١	والأرض ما بين ذلك
	ذكر الخبر عن غمط عدوّ الله نعمه ربه واستكباره عليه
٨٣	وادعائه الربوبية

صفحة

٨٤	القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانته والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية
٨٥ - ٨٨	ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسوَّلت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزَّ وجلَّ
٨٩ - ١٠٥	القول في خلق آدم عليه السلام
١٠٦ - ١١٢	القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام
١١٣ - ١١٦	القول في قدرة مدة مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عزَّ وجلَّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض
١١٧ - ١٢٠	ذكر الوقت الذي خلق فيه آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط فيه إلى الأرض
١٢١ - ١٣٦	القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها
١٣٧ - ١٥١	ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض
١٥٢ - ١٥٤	ذكر ولادة حواء شيئاً
١٥٥ - ١٦٤	ذكر وفاة آدم عليه السلام
١٦٥ - ١٧٨	ذكر الأحداث التي كانت في أيام نبي آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد
١٧٩ - ١٩٣	ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام
١٩٤ - ٢١٥	ذكر بيوراسب، وهو الأزدهاق
٢١٦ - ٢٣٢	ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام

٢٥٠ - ٢٣٣	ذکر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم
٢٧١ - ٢٥١	ذکر أمر بناء البيت
٢٧٨ - ٢٧٢	ذکر الخیر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك ، والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه
٢٨٧ - ٢٧٨	ذکر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات
٢٩٢ - ٢٨٧	أمر عمرو بن كوش بن كنعان
٣٠٧ - ٢٩٢	ذکر لوط بن هاران وقومه
٣١١ - ٣٠٨	ذکر وفاة سارة بنت هاران وهاجر أم إسماعيل وذكر ، أزواج إبراهيم عليه السلام وولده
٣١٣ - ٣١٢	ذکر وفاة إبراهيم عليه السلام
٣١٥ - ٣١٤	ذکر خیر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
٣٢١ - ٣١٦	ذکر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده
٣٢٩ - ٣٢٢	ذکر أيوب عليه السلام
٣٦٤ - ٣٣٠	ذکر يعقوب وأولاده
٣٧٦ - ٣٦٥	قصة الخضر وخبره وخبر موسى وقته يوشع عليهم السلام
٣٨٤ - ٣٧٧	منوشر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه
٤٣١ - ٣٨٥	يذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشر بن منشخور من الملك من الأحداث

صفحة

- ٤٣٢ - ٤٣٤ ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام .
- ٤٣٥ - ٤٤٢ ذكر يوشع بن نون عليه السلام .
- ٤٤٣ - ٤٥٢ ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث .
- ٤٥٣ - ٤٥٦ ذكر القائم بالملك ببابل من الفهرس بعد منوشهر .
- ٤٥٧ - ٤٦٠ ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع بن نون والأحداث التي كانت في عهد زو وكيقباز .
- ٤٦١ - ٤٦٦ إلياس واليسع عليهما السلام .
- ٤٦٧ - ٤٧٥ ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهب بن صوف ، وطالوت وجالوت .
- ٤٧٦ - ٤٨٥ ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .
- ٤٨٦ - ٤٨٨ ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٤٨٩ - ٤٩٥ ذكر ما انتهى إلينا من مغارى سليمان عليه السلام .
- ٤٩٦ - ٥٠٣ ذكر خبر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه .
- ٥٠٤ - ٥١٦ ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباز .
- ٥١٦ - ٥٣١ أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٥٣٢ - ٥٣٦ ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب .
- ٥٣٧ - ٥٥٧ ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس .
- ٥٥٨ - ٥٦٠ ذكر خبر غزو بختنصر للعرب .

- رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي
كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من
عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد مختصر
٥٦١ - ٥٦٥
- ذكر الخبر عن ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد
بهمن بن إسفنديار
٥٦٦ - ٥٦٧
- ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني
٥٦٨ - ٥٧٠
- ذكر خبر بني إسرائيل ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين
تصرتها بتأريخ مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس .
٥٧١
- خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر ،
وكيف كان هلاكه ، مع خبر ذي القرنين
٥٧٢ - ٥٧٩
- ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف .
ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف (وفيها
قصة عيسى ومريم عليهما السلام)
٥٨٠ - ٥٨٤
- ٥٨٥ - ٦٠٥
- ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه
السلام إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى .
٦٠٦ - ٦٠٨
- نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف .
٦٠٩ - ٦٢٨
- ذكر طسم وجديس
٦٢٩ - ٦٣٢